

اجاثا كريستي
الحادث



أجاثا كريستي
{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

الحَادث
Why Didn't They Ask Evans?

في طَريقه إلى المكان الذي سَيلْعب فيه مباراة كُرة «الجولف» أسْفَل مُنحدر صَخْري، لم يتوقّع «بوبي جونز» أن يجدَ رجلاً هناك لحظة احْتضاره، وقبْل أن يلْفظ الرجل أنْفاسه الأَخيرة سَأل «بوبي» هذا السُّؤال: لماذا لم يذْهبوا إلى «إيفانز» ويَسْألونه؟ وأَثار ذلك السّؤال فُضول «بوبي» وصديقته «فرانكي ديروينت» الخفيفة الظّل.

فقرَّر الصديقان أن يَشْتغلا بحلّ غموض الموقف أو ملابسات مَوْت الرجل. وهكذا يتعرَّضان للمخاطر طُوال الوقْت.

ثمن الكتاب

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	150 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	العراق	4000 دينار

ISBN 995338323-5



الحادث

تاليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

Why Didn't They Ask Evans?

(1934)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 3 -

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

الحادث

(37)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 212 9 961 00

www.inter-press.org

فاكس 665 212 9 961 00

Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي للصحافة – دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

Why Didn’t They Ask Evans?

(1934)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

شخصيات الرواية

"**روبرت جونز**" أو "**بوبي**" : ابن كاهن المنطقة

الليدي "**فرانسيس ديروينت**" أو "**فرانكي**" : ابنة اللورد "**مارتشنجتون ديروينت**"

"**بادجر بيدون**" : صديق "**بوبي**"

الدكتور "**جاسبر نيكلسون**" : طبيب أمراض عصبية

"**مويرا نيكلسون**" : زوجته

الفصل الأول
الحادث

رفع "بوبي جونز" كرته وأتى بأرجحة، ثم مهّد لضربة قصيرة وعاد بالمضرب ببطء إلى الخلف، ثم هوى به ضاربًا الكرة بسرعة البرق.

هل طارت الكرة فوق الممر من خط مستقيم وصحيح، مرتفعة في مسارها ومحلقة فوق المرتفع الرملي الذي في مسار الجولف لتستقر في نطاق رمية ماشي (نوع من عصي الجولف) من الرفعة الرابعة عشرة؟

لا، لم يحدث هذا، لم يكن قد رفعها جيدًا فاندفعت متدحرجة على الأرض لتستقر بثبات في المنخفض الرملي! لم تكن هناك جموع متحمسة لتزمجر استياء، ولم يبد الشاهد الوحيد للرمية أي قدر من الدهشة، والمبرر واضح تماما – لم يكن أحد سادة اللعبة الأمريكيين هو الذي أدى هذه الضربة، بل الابن الرابع لكاهن "مارتشبولت"، تلك البلدة الصغيرة الواقعة على ساحل "ويلز". تلفّظ "بوبي" بكلمة نابية احتجاجًا على ما حدث.

كان "بوبي" شابًّا حسن الطلعة في حوالي الثامنة والعشرين من العمر، ما كان لصديقه الحميم أن يصفه بالوسامة إلا أن وجهه كان شديد الجاذبية، ولعينيه البنيتين نظرات الوفاء غير المتكلف. قال متمتمًا بإحباط:

– أدائي يسوء يومًا بعد يوم. فقال رفيقه:

– لأنك تتعجّل. كان الدكتور "توماس" رجلا متوسط العمر أشيب الشعر ذا وجه أحمر بشوش، لم يقم قط بأرجحة كاملة قبل الرمي، بل كان يلعب برميات مستقيمة قصيرة إلى الوسط، وعادة ما كان يفوز على لاعبين أكثر ذكاء لكن أكثر اندفاعًا. ضرب "بوبي" الكرة بشراسة مستخدمًا مضربًا حديدي الرأس، ونجح في تسديد الضربة الثالثة. استقرت الكرة على مسافة قريبة من الرقعة التي بلغها الدكتور "توماس" بضربتين قويتين مشرفتين. قال "بوبي":

– حفرتك. ثم تقدما إلى المرتفع التالي. قام الطبيب بالرمي أولا – بضربة مستقيمة جيدة إلا أنها لم تحرز مسافة طويلة. تنهد "بوبي" ورفع كرته ثم عدّل وضعها وأخذ يؤرجح مضربه فترة طويلة وعاد إلى الخلف بقوة وأغمض عينيه ثم رفع رأسه وخفض كتفه اليمنى... فعل كل ما كان ينبغي له ألا يفعله – وأتى بضربة مثيرة للدهشة والضحك معا في منتصف المسار. تنفس بعمق راضيا.

تبددت كآبة لاعب الجولف من وجهه لتحل محلها فرحة لاعب الجولف المعروفة. قال "بوبي" بنبرة أعوزها الصدق:

– أعلم الآن ما كنت أفعله. رمية قوية صحيحة بدفعة صغيرة من الماشي وأصبح "بوبي" شبه مخدرٍ، فقد أحرز أربعة أهداف قصيرة بينما أحرز الدكتور "توماس" هدفاً طويلا واحداً. بكل حماس ممكن تقدم "بوبي" من التبّة السادسة عشرة، وفي هذا الموقع أيضاً فعل كل ما لا ينبغي له أن يفعله ولم تحدث معجزة في هذه المرة، بل حدث انحراف رائع مذهل كاد أن يكون فوق طاقة البشر للكرة جهة اليمين، وانعطفت الكرة في زوايا قائمة. قال الدكتور "توماس":

– لو كان مسار الكرة مستقيماً – يا إلهي! فقال "بوبي" بنبرة مشوبة بالمرارة:

– لو.. أهلا – أظنني قد سمعت صرخة، آمل ألا تكون الكرة قد اصطدمت بأحد. دقق النظر إلى اليمين. لم تكن الإضاءة كافية لأن الشمس كانت على وشك المغيب، وبالنظر إليها مباشرة كان من الصعب عليه رؤية أي شيء بوضوح. كذلك كان هناك قدر من الضباب الصاعد من البحر، وكانت حافة الصخرة على قيد بضعة أمتار قليلة منه. قال "بوبي":

– الممشى يمتد بمحاذاة هذه البقعة، إلا أنه من غير الممكن أن تكون الكرة قد طارت كل هذه المسافة، ومع ذلك أظن بالفعل أنني قد سمعت صرخة، ألم تسمعها أنت؟ لكن الطبيب لم يكن قد سمع شيئاً.

ذهب "بوبي" بحثاً عن كُرته. واجه صعوبة في الاهتداء إليها، ولكنه وجدها في التربة بعد عناء. كان من غير الممكن ضربها؛ إذ كانت مختبئة في شجيرة وزَّال. دفعها بمضربه بضع مرات قبل أن يلتقطها ويصيح لرفيقه بأنه قد تنازل عن الحفرة. توجه الطبيب إليه؛ إذ كانت التبة التالية عند حافة الصخرة تماماً. كانت السابعة عشرة هي الأكثر صعوبة بالنسبة إلى "بوبي" على وجه التحديد؛ لأنه عندها يتعين ضرب الكرة بحيث تنطلق من فوق صدع ما. لم تكن المسافة طويلة بالفعل، لكن قوة جذب الأعماق من أسفل كانت هائلة. كانا قد عبرا ممر المشاة الذي أصبح الآن يمتد إلى الداخل عن يسارهما ملتفًّا حول حافة الصخرة تماماً.

أخذ الطبيب مضرباً حديدي الرأس ووقف على الجانب الآخر، والتقط "بوبي" نفساً عميقاً ثم سدَّد ضربته. تدحرجت الكرة إلى الأمام واختفت على شفا الهاوية، فقال "بوبي" بنبرة مشوبة بالمرارة:

– في كل قذفة قوية أرتكب ذات الخطإ الغبي المتهور. طاف حول الصدع يدقق النظر. تألق البحر على البصر من أسفل لكن لم تضع كل كرة في أعماقه. كان

الانحدار شديداً عند قمة الصخرة، ولكنه كان متدرجًا وعلى هيئة طبقات فيما دونها. سار "بوبي" ببطء بمحاذاة حافة الصخرة. كان يعرف أن هناك موضعًا واحداً يمكنه الهبوط منه زاحفًا بسهولة معقولة. الكاديون يفعلون ذلك: يلقون بأنفسهم فوق الحافة ثم يعودون إلى الظهور منتصرين لاهثين ومعهم الكرة المفقودة، وفجأة تيبس "بوبي" حيث كان ونادى على رفيقه:

– يا دكتور، أرجوك أن تأتي إلى هنا، ماذا يعني لك هذا؟ كانت على بعد حوالي اثني عشر متراً إلى أسفل كومة داكنة من شيء بدا أقرب شبهًا من ثياب قديمة. كبح الطبيب أنفاسه قائلا:

– يا إلهي! لقد سقط شخص ما من فوق الصخرة، لابد من أن ننزل إليه. زحف الرجلان معا جنبًا إلى جنب هابطين أسفل الصخرة، و "بوبي" الرياضي – بقدر أكبر – يساعد الطبيب. بلغا أخيراً تلك الكومة الداكنة المشؤومة. كانت رجلا في حوالي الأربعين من العمر لا يزال يتنفس على الرغم من أنه كان فاقد الوعي. فحصه الطبيب بلمس أطرافه وقياس نبضه وجذب جفنيه إلى أسفل. جثا بجانبه وأكمل فحصه إياه. رفع بصره إلى "بوبي" بعد ذلك، وكان واقفًا بجواره في حالة من الإعياء، وهز رأسه ببطء قائلا:

– ليس ثمة ما يمكننا أن نفعله من أجله، إنه مشرف على الموت، هذا المسكين أصيب بكسر في العمود الفقاري، حسنا، حسنا، أفترض أنه غريب عن المكان وأن هذا الممر غير مألوف له، وعندما تصاعد الضباب واصل السير فوق حافة الصخرة، لقد أخبرت مجلس المدينة أكثر من مرة بضرورة وضع سياج حديدي في هذا الموضع. وقف الطبيب ثانية ثم قال:

– سوف أمضي وآتي بنجدة وأجري الترتيبات اللازمة لرفع الجثة، سيحل الظلام قبل أن نعرف أين نكون، هلاّ بقيت هنا؟ وأومأ "بوبي" بالإيجاب، ثم سأل:

– أفهم أنه لا يمكن أن نفعل له شيئًا؟ وهز الطبيب رأسه قائلا:

– لا شيء إطلاقًا، النبض يضمحل بسرعة، لن يبقى على قيد الحياة لأكثر من عشرين دقيقة على أفضل الافتراضات، الأمر الممكن هو أن يستعيد وعيه قبل النهاية ومن المحتمل جداً ألا يستعيده أيضًا. ومع ذلك فاسرع "بوبي" يقول:

– من الأفضل أن أبقى، اذهب أنت، وإذا أفاق فهل هناك دواء أو أي شيء؟ هز الطبيب رأسه قائلا:

– لن يشعر بأي ألم، لن يشعر بأي ألم إطلاقًا. استدار الطبيب وبدأ يتسلق الصخرة صاعداً مرة أخرى. ظل "بوبي" يراقبه حتى اختفى عن الأنظار فوق قمة

الصخرة ملوحًا له بيده. سار "بوبي" خطوة أو اثنتين على الحافة الضيقة، ثم جلس فوق موضع بارز بالصخرة وأشعل سيجارة. لقد هزت هذه الواقعة أعصابه؛ إذ لم يكن حتى ذلك اليوم قد التقى بمريض أو بحالة وفاة.

أي حظ عثر في هذا العالم! موجة ضباب تجتاح المكان في أمسية جميلة وخطوة فوق فراغ وتنتهي الحياة، والضحية بادي الوسامة والصحة أيضًا ربما لم يعرف طوال حياته يوم ألم أو مرض. لم ينجح شحوب الموت المتسلل إليه في إخفاء عمق اسمرار بشرته. رجل عاش حياة الخلاء في خارج البلاد ربما. ظل "بوبي" يتأمله عن قرب أكبر: الشعر الكستنائي المتموج الذي بدأ الشيب يدب فيه عند الصدغين، والأنف الكبير والفك القوي والأسنان البيضاء الظاهرة من خلال الشفتين المنفرجتين، ثم المنكبان العريضان واليدان العضليتان القويتان. التفت الساقان إحداهما على الأخري بزاوية غريبة. ارتعد "بوبي" وأعاد عينيه إلى الوجه مرة أخرى. وجه ينطق بالجاذبية والمرح والحزم وعمق التفكير والفطنة، أما العينان فرأى "بوبي" أنهما ربما زرقاوان.

ومن اللحظة التي بلغت أفكاره فيها هذه النقطة فُتحت العينان فجأة. كانتا زرقاوين زرقة داكنة صافية نظرتا إلى "بوبي" رأسًا. لَم يكن بهما شيء من التردد أو التشوّش، بدتا واعيتين تمامًا. كانتا حذرتين وبدتا في ذات الوقت وكأنهما تطرحان استفسارًا معينًا. نهض "بوبي" مسرعًا واتجه إلى الرجل، وقبل أن يصل إليه تحدث هذا الآخر. لم يكن صوته واهنًا، بل خرج واضحًا مدويًا. قال:

– لماذا لم يطلبوا ذلك من "إيفانز"؟ ثم اجتاحه ارتعاش طفيف غريب أغمض على أثره الجفنان وهوى الفك إلى أسفل... لقد مات الرجل.

الفصل الثاني
بشأن الآباء

جثا "بوبي" بجواره، لكن لم يكن هناك أدنى شك. لقد مات الرجل. لحظة وعي أخيرة وسؤال مفاجئ وبعدهما النهاية. بقدر من التبرير أدخل "بوبي" يده في جيب الرجل المتوفى وأخرج منديل يد حريريًا غطّى به وجه الرجل بقدر من الهيبة. لم يكن هناك شيء آخر يفعله.

لاحظ بعد ذلك أنه في أثناء إخراج المنديل خرج شيء آخر من ذلك الجيب. كان صورة فوتوغرافية. نظر إلى الوجه الذي بها. كان وجه امرأة من النوعية الرائعة

الفتنة. امرأة شقراء ذات عينين متباعدتين. بدت أكثر قليلا من كونها فتاة صغيرة من المؤكد أنها دون الثلاثين، لكن نوعية جمالها الآسر أكثر من فتنتها هي التي استبدّت بخيال هذا الشاب. رأى أن هذا الوجه ليس من النوعية التي يمكن أن تُنسى بسهولة. بكل رقة ووقار أعاد الصورة إلى الجيب الذي خرجت منه، ثم جلس ثانية ينتظر عودة الطبيب.

مرَّ الوقت متثاقلا جدًا – أو هكذا بدا للشاب المنتظر على الأقل. كذلك كان قد تذكر شيئا ما في تلك اللحظة: كان قد وعد والده بالعزف على الأرغن في خدمة القدّاس المسائية في الساعة السادسة، وكانت الساعة تشير عندئذ إلى السادسة إلا عشر دقائق. من الطبيعي أن والده سوف يقدّر هذه الظروف، ومع ذلك تمنى لو أنه قد تذكر أن يحمّل الطبيب رسالة له، فقد كان جناب القس "توماس جونز" رجلا عصبي الطباع جداً، سريع الاهتياج بطبيعته، وعندما يشتد غضبه ينهار جهازه الهضمي مسببا له آلاما مبرحة. أما "بوبي" فعلى الرغم من أنه كان يعتبر والده أحمق عجوزاً إلا أنه كان شديد الإعجاب به. كذلك كان القس "توماس" يعتبر ابنه الرابع أحمق، شابًا جديراً بأن يرثى لحاله وأقل احتمالا مما كان "بوبي" يسعى للارتقاء بمستواه الشخصي. قال "بوبي" محدثا نفسه: "الوالد المسكين، سوف يذرع المكان ذهابا وعودة، لن يعرف ما إذا كان يبدأ الخدمة أو لا يبدؤها، سوف يوتر نفسه حتى تهاجمه تلك الآلام المعوية وعندئذ لن يتمكن من تناول عشائه، لن يكون والدي من المنطق بحيث يفهم أنني لا أحب أن أخذله ولن أخذله أبداً مالم يكن لأسباب قاهرة ، وعلى أية حال ما أهمية كل هذا؟ لأنه لن يرى الموضوع من هذه الزاوية، لا أحد بعد الخمسين لديه أي قدر من المنطق، يزعجون أنفسهم حتى الموت لأسباب تافهة لا أهمية لها، فهذا راجع إلى خطإ من التنشئة على ما أرى، وأصبح لا يسعهم غير ذلك، مسكين والدي العجوز! لديه من العقل ما يقل عما لدى فرخ صغير!

جلس هناك يفكر في أبيه بمشاعر اختلط فيها الحب بالإحباط، بدا له أن حياته في البيت تضحية ممتدة لأفكار والده الغريبة، وللسيد "جونز" ذاته بدا هذا الوقت نفسه تضحية طويلة من جانبه لا يفهمها أو يقدّرها أصغر الأبناء، وبذلك تختلف الآراء حول موضوع واحد. كم طال غياب الطبيب! من المؤكد أنه كان لابد من أن يعود بانقضاء هذا الزمن.

نهض "بوبي" ودق الأرض بقدميه على نحو مزاجي، ومن تلك اللحظة سمع شيئا ما من فوقه فرفع بصره إليه ممتنًا أن العون قد وصل وأن لا حاجة إلى خدماته

بعد الآن، ولم يكن القادم هو الطبيب، بل كان رجلا فوق الأربعين لم يكن "بوبي" يعرفه. قال هذا الرجل:

– اسمعني، هل ثمة خطب ما؟ هل وقع حادث؟ هل يمكنني المساعدة بأية طريقة كانت؟ وكان رجلا طويل القامة حلو الصوت لم يتمكن "بوبي" من رؤيته بوضوح تام بسبب الظلام الذي بدأ يتجمع مسرعا. أخبره بما حدث بينما شارك هذا الغريب في الحوار بتعليقات تنطق بالدهشة. سأل:

– أليس هناك شيء يمكنني القيام به؟ كأن أطلب نجدة أو شيئًا من هذا القبيل؟ أجابه "بوبي" بأن النجدة في الطريق، وسأل الآخر عما إذا كان قد رأى أية علامات تدل علي وصولها.

– لا شيء حاليًا. فاستطرد "بوبي" قائلا:

– أحيطك علما بأنني على موعد في تمام السادسة.

– ولا تريد أن ترحل من هنا. فقال "بوبي":

– لا، لا أريد، أعني أن هذا المسكين متوفًى وكل هذه الأمور، ومن المؤكد أنه ليس باستطاعتي أن أفعل شيئًا، لكن ومع كل ذلك... ثم توقف عن الكلام؛ إذ وجد أنه من الصعب – كالمعتاد – التعبير عن المشاعر المضطربة والمختلطة بالكلمات. إلا أن الآخر بدا متفهمًا الوضع. قال:

– إنني مقدّر ما تقول، انظر، سأنزل إليك ، أعني إذا أمكنني رؤية طريقي ، وسوف أبقى حتى يصل أولئك الرجال. فقال "بوبي" بنبرة امتنان:

– آه، صحيح؟ تعلم، إن الأمر يتعلق بوالدي، ليس من النوعية السيئة ولكن تأخيري عنه يُغضبه، هل يمكنك رؤية طريقك؟ إلى اليسار قليلا، والآن إلى اليمين هذا صحيح. ليس النزول صعبا جداً. ثم أخذ يشجع الآخر ببعض التوجيهات حتى أصبح الرجلان وجها لوجه فوق الهضبة الضيقة. كان القادم الجديد في حوالي الخامسة والثلاثين من العمر، وله وجه يوحي بالتردد، ويبدو طالبا له نظّارة أحادية الزجاجة وشاربا صغيرا. قال:

– أنا غريب في هذا المكان واسمي "**باسنجتون فرنش**" وقد أتيت إلى هنا لأعاين منزلا، يا لها من واقعة وحشية هذه التي حدثت! هل سار فوق الحافة أم ماذا؟ أومأ "بوبي" قائلا:

– تجمع قدر من الضباب، وهذا الممر خطر، حسنا، وداعًا، وأشكرك بحرارة، لابد لي من أن أسرع الرحيل، هذا كرم حقيقي منك. وأجاب الآخر:

– عفوا، أي إنسان في موقفي كان سيفعل الشيء نفسه، من المستحيل أن أترك

هذا المسكين مطروحًا أعني ليس مناسبًا إطلاقًا. بدأ "بوبي" يتسلق الممر المنحدر، وعندما بلغ القمة لوّح للآخر مودعا، ثم انطلق مسرعا عبر المنطقة الريفية، وحتى يقتصد الوقت قفز من فوق جدار فناء الكنيسة بدلا من أن يلتف من حوله إلى البوابة الواقعة على الطريق، وقد شاهد الكاهن هذا الفعل من خلال نافذة حجرة الاجتماعات واعترض عليه. كانت الساعة قد بلغت السادسة وخمس دقائق ولكن الناقوس كان لا يزال يقرع. أرجئت التبريرات والاعتذارات إلى ما بعد خدمة القدّاس. اتخذ "بوبي" مقعده أمام الأرغن العتيق لاهثا وبدأ يتعامل مع مقابض أنابيبه. قاد الترابط الفكري أصابعه إلى عزف لحن "تشوبن" الجنائزي، وفيما بعد عنّف الكاهن ابنه بدافع من الأسى أكثر من الغضب كما ذكر. قال:

– طالما لا يمكنك أن تؤدي مهمة على الوجه المطلوب فالأفضل لك يا عزيزي "بوبي"، ألا تقوم بها أساسا.. أعلم أنه يبدو أنك وجميع أصدقائك الشبّان لا فكرة لديكم عن قيمة الوقت، لكن هناك واحدا لا ينبغي لنا أن نتركه ينتظر. عرضت من تلقاء نفسك أن تقوم بمهمة العزف على الأرغن، لم أكرهك على ذلك ولكنك بدلا من ذلك، وبكل خوار وجبن فضلت أن تلعب مباراة. رأى "بوبي" ضرورة أن يقاطع والده قبل أن يتمادى في ظنونه بشأنه. قال بنبرة مرحة هادئة كعادته بغض النظر عن موضوع الحديث:

– آسف يا أبي، لست أنا المخطئ في هذه المرة، كنت أتولى حراسة جثة.

– كنت تفعل ماذا؟

– أتولى حراسة جثة رجل كان يسير فوق الصخرة، تعرف المكان حيث الصدع بالقرب من التبة السابعة عشرة، كان هناك قدر من الضباب في ذلك التوقيت ولابد من أنه واصل السير فسقط. فصاح الكاهن:

– يا إلهي! يا لها من مأساة! هل لقي الرجل حتفه على الفور؟

– لا، كان فاقد الوعي، توفي بعدما رحل الدكتور "توماس" مباشرة، ولكنني شعرت بأنه من واجبي أن أبقى هناك، لم يمكنني أن أرحل هكذا وأتركه، ثم أتى رجل آخر إلى المكان فنقلت المهمة إليه وأتيت إلى هنا عدوا بأقصى ما أمكنني من السرعة. تنهد الكاهن قائلا:

– آه يا "بوبي" العزيز! ألا يؤثر أي شيء في قسوة فؤادك التي تدعو إلى الأسى؟ هذا يحزنني أكثر مما يمكنني التعبير عنه، لقد التقيت وجها لوجه مع حالة وفاة... مفاجئة، وهانت تمزح في وصف ما حدث! لم يحرك لك ساكنا.. كل شيء.. كل شيء مهما بلغ من الرهبة ومن القدسية ليس أكثر من مزحة لجيلك. تململ "بوبي"

في وقفته... فمادام أبوه لا يمكنه أن يفهم أنه يمزح بشأن واقعة أثرت فيه بعمق شديد فهذا شأنه! فليس هذا من الأمور التي يمكن شرحها أو تبريرها. أمام موت أو مأساة يتعين على المرء أن يكف عن الكلام، لكن ماذا لك أن تتوقع؟ لا أحد فوق الخمسين يفهم أي شيء إطلاقًا؛ لأن لهؤلاء أفكارهم الشديدة الغرابة. قال "**بوبي**" محدثًا نفسه بإخلاص: "لابد من أن ذلك بسبب الحرب، أثرت في نفسيتهم ولم يعودوا إلى طبيعتهم ثانية. أحس بالخجل من أبيه وبالأسف عليه. قال بثقة واضحة لأن التبرير مستحيل:

– آسف يا أبي. أحس الكاهن بالأسف على ابنه – بدا خجولا.. ولكنه أحس بالعار نحوه. اعتبر أن الغلام لا إدراك له بجدية الحياة، فحتى اعتذاره كان مرحًا لا أثر للتوبة فيه. انتقلا في اتجاه مقر القس وكل منهما يبذل جهداً كبيراً لتبرير تصرُّف الآخر. قال القس محدثًا نفسه: "إنني أتساءل متى يجد "**بوبي**" شيئًا يعمله؟" بينما قال "**بوبي**" محدثا نفسه: "إنني أتساءل كم من الزمن سأحتمل البقاء هنا؟" ومع كل ذلك كان كل منهما معجباً بالآخر إلى حد بعيد.

الفصل الثالث
سفر بالقطار

لم ير "**بوبي**" التطورات المباشرة لمغامرته. ذهب في صباح اليوم التالي إلى وسط المدينة ليتقابل مع صديق له كان يفكر في افتتاح ورشة لإصلاح وتجديد السيارات، ورأى أن تعاون "**بوبي**" معه في هذا العمل سيكون مثمراً. بعد أن قام بإرساء جميع الأمور بما يرضي كل الأطراف، استقل "**بوبي**" قطار الساعة الحادية عشرة والنصف عائداً إلى بلدته بعد ذلك بيومين. صحيح أنه لحق بهذا القطار، لكن في الثانية الأخيرة؛ إذ وصل إلى محطة "**بادنجتون**" والساعة تدق معلنة الحادية عشرة وثماني وعشرين دقيقة، فأسرع إلى النفق وخرج منه إلى الرصيف رقم 3 في اللحظة التي كان القطار قد بدأ يتحرك فيها. قذف بنفسه إلى أول عربات القطار التي صادفته غير مبال بقاطعي التذاكر ولا بالحمّالين الذين كانوا خلفه مباشرة.

فتح باب إحدى المقصورات عنوة، فسقط على يديه وركبتيه. نهض من على الأرض، وأُغلق الباب من خلفه بيد أحد العاملين بالقطار، فوجد "**بوبي**" نفسه وجها لوجه مع الشاغل الوحيد للمقصورة. كانت هذه مقصورة إحدى عربات الدرجة الأولى، وبالركن المقابل للجرار جلست فتاة سمراء تدخن سيجارة. كانت

ترتدي تنورة حمراء وسترة خضراء قصيرة وبيريه أزرق لامع، وعلى الرغم من أنها كانت، إلى حد بعيد، تشبه قرد عازف الأرغن اليدوي بالشوارع (بعينيها السوداوين الطويلتين الحزينتين، ووجهها الحافل بالتجاعيد) إلا أنها كانت شديدة الجاذبية، وفي أثناء اعتذار "بوبي" الحار على ما صدر عنه توقف عن الحديث فجأة ليصيح:

– ماذا؟ إنك "فرانكي" ! لم أرك منذ أجيال.

– هذا صحيح، اجلس ودعنا نتحدث. فابتسم "بوبي" قائلا:

– تذكرتي بلون مختلف. فقالت "فرانكي":

– لا باس، سادفع الفرق عنك. فقال "بوبي":

– أثور لرجولتي لمجرد التفكير في ذلك؛ إذ كيف أسمح لسيدة بأن تدفع لي؟ فقالت "فرانكي":

– يبدو أن هذا هو كل ما أصبح يمكننا أن نفعله في هذه الأيام. وأجاب "بوبي" قائلا بنبرة بطولية عندما ظهر شكل بشري ضخم في زيه الأزرق بالباب قادم من الممر:

– سوف أدفع الفرق لنفسي ... ولكن "فرانكي" قاطعته بقولها:

– اترك الأمر لي. وابتسمت برقة إلى مفتش التذاكر الذي لمس قبعته وهو يتناول من يدها تذكرتها البيضاء ويثقبها قائلة:

– السيد "جونز" حضر حالا ليخبرني بشيء ما، هذا لا يهم، أليس كذلك؟

– لا باس يا سيدتي، أتوقع أنه لن يبقى هنا طويلا. ثم سعل المفتش بتعقل قبل أن يضيف:

– لن آتي ثانية إلا بعد محطة "بريستول" على أية حال. فقال "بوبي" بعد أن انصرف المفتش:

– ماذا أيضا يمكن للابتسامة أن تفعل؟! فهزت الليدي "فرانسيس ديروينت" رأسها متأملة، ثم قالت:

– لست واثقة بأن الابتسامة هي التي فعلت هذا، بل أعتقد أن عادة أبي في إعطاء كل من يلتقيهم عند سفره خمسة شلنات هي صاحبة هذا المفعول.

– ظننت أنك قد استغنيت عن المجيء إلى "ويلز".. كلية يا "فرانكي". فتنهدت "فرانسيس" قائلة:

– أنت تعلم يا عزيزي، إلى أي مدى من الممكن أن يتمسك الوالدان بالحياة بلا تغيير يذكر، أضف إلى ذلك الحمامات والحالة التي هي عليها، والفراغ وعدم وجود

من يمكنك زيارتهم؛ إذ أصبح الناس لا يحبون حياة الريف في هذه الأيام! يقولون إنهم يقتصدون ولا يمكنهم السفر إلي أماكن بعيدة، حسنا، ما أعنيه هو ماذا يمكن لفتاة أن تفعل؟ هزّ "بوبي" رأسه مقدراً المشكلة بأسى بينما استطردت "فرانكي" :

– بعد الحفل الذي ذهبت إليه في الليلة الماضية رأيت أن حتى البيت من غير الممكن أن يكون أسوأ.

– ماذا كان عيب الحفل؟

– لا شيء إطلاقا، كان مثل أي حفل آخر لكن أقرب شبهًا به، كان من المقرر أن يبدأ في "السافوي" في الثامنة والنصف، وصل بعضنا في حوالي التاسعة والربع تعرفنا هناك إلى بعض الناس، ولكننا انفصلنا عنهم في حوالي العاشرة حيث تناولنا العشاء وبقينا بعض الوقت، ثم ذهبنا إلى الـ" ماريونيت" ، ترددت إشاعة تقول إن المكان سيتعرض لهجوم ما ولكن شيئا لم يحدث، ساد هدوء قاتل، شربنا قليلا ثم توجهنا إلى حلبة مصارعة الثيران وكانت الأجواء هناك أكثر مللا، ثم ذهبنا إلى أحد المقاهي، وبعد ذلك إلى مطعم للسمك المقلي، ثم رأينا بعد ذلك أن نذهب ونتناول فطورنا مع عم "أنجيلا" ونرى ما إذا كان ذهابنا إليه سيصيبه بصدمة ولكنه لم يفاجأ ولم يصدم، بل أصيب بالملل وحسب، بعد ذلك عدنا إلى بيوتنا في حالة أشبه بالإحباط، صدقني يا "بوبي" ، الحياة ليست جيدة بدرجة كافية. فقال "بوبي" كابحًا إحساسًا بالحسد :

– لا أعتقد ذلك. لم يحلم "بوبي" قط ولا من أقصى لحظات أحلام يقظته بأن يتمكن من أن يصبح عضواً في الـ"ماريونيت" أو حلبة مصارعة الثيران. كانت علاقته بـ"فرانكي" من نوعية غريبة. عندما كانا طفلين كان هو وإخوته يلعبون مع الأطفال في القصر، والآن وقد بلغوا جميعًا مرحلة الشباب كادوا ألا يلتقوا إطلاقا، وعندما يلتقون لا يزالون يستخدمون الأسماء الأولى في مخاطبة بعضهم البعض، وفي مناسبات نادرة جداً عندما تعود "فرانكي" إلى البلدة يذهب "بوبي" وإخوته إليها ويلعبون التنس. لكن لا تدعى "فرانكي" وأخويها إلى بيتهم على اعتبار أنهم لن يجدوا فيه التسلية أو المتعة المفترضة، وعلى الجانب الآخر دائمًا ما يكون عدد زائد من الرجال مطلوبًا لمباريات التنس. ربما كان هناك قدر من التحفظ على الرغم من استخدام الأسماء الأولى. فربما كان آل "ديروينت" أكثر وداً مما ينبغي، كما لو كانوليبينوا أن "لا فرق هناك" . أما آل "جونز" فكانوا أكثر رسمية في تعاملهم معهم كما لو كانوا مصممين على ألا يطلبوا قدراً من الصداقة أكبر مما يتاح لهم .لم يصبح هناك شيء مشترك بين العائلتين سوى ذكريات طفولية معينة،

ومع كل ذلك كان "بوبي" شديد الولع بـ"فرانكي"، وكان يغمره السرور في المناسبات النادرة التي يجمع القدر فيها بينهما. قالت "فرانكي" بنبرة المهموم:

– لقد مللت كل شيء... أليس هذا هو الحال بالنسبة إليك أيضا؟ فكر "بوبي" قليلا قبل أن يجيب:

– لا، لا أعتقد ذلك. فقالت "فرانكي":

– كم أن هذا مدهش يا عزيزي! فقال "بوبي" مهتمًا بألا يوجد لديها انطباعًا مؤلمًا:

– لا أعني أنني مقبل على الحياة جدًّا فأنا لا أحتمل تلك النوعية من الناس المقبلة على الحياة بحماس. اقشعر بدن "فرانكي" لمجرد سماع تلك العبارة. قالت متمتة:

– اعلم، إنهم متسمون بالفظاعة. وأخذ كل منهما ينظر إلى الآخر متعاطفًا مع مشاعره. قالت "فرانكي" فجأة:

– بهذه المناسبة، ما كل هذه الأخبار عن الرجل الذي سقط فوق الصخور؟ فقال "بوبي":

– كان الدكتور "توماس" وأنا من عثرنا عليه. كيف علمت بالحادث يا"فرانكي"؟

– قرأت عنه في الصحيفة، انظر. وأشارت بإصبعها إلى بند صغير تحت عنوان: "حادث قاتل في ضباب البحر". تمّ تعرّف ضحية هذه المأساة التي وقعت في "مارتشبولت" في ساعة متأخرة من ليلة أمس عن طريق صورة فوتوغرافية كان يحملها ثبت أن هذه الصورة الفوتوغرافية للسيدة "ليوكيمان" تم الاتصال بالسيدة "كيمان" التي حضرت إلى "مارتشبولت" على الفور وتعرفت الضحية.. إنه شقيقها "أليكس بريتشارد" كان السيد "بريتشارد" قد عاد من "سيام" مؤخرًا. كان خارج "إنجلترا" مدة عشر سنوات وكان قد بدأ لتوه رحلة سيرا على قدميه، وسوف تنعقد جلسة التحقيق في "مارتشبولت" غدًا. عادت أفكار "بوبي" إلى وجه صاحبة الصورة الآسر. قال:

– أعتقد أنه من واجبي أن أدلي بشهادتي في التحقيق.

– كم أن هذا مدهش! سوف آتي وأسمعك. فقال "بوبي":

– لا أعتقد أنه سيكون هناك شيء مدهش فيه، كل ما في الأمر هو أننا عثرنا عليه.

– هل كان قد فارق الحياة؟

– لا، ليس عندئذ. توفي بعد ذلك بربع الساعة، وكنت معه بمفردي. توقف عن الكلام لحظة، فقالت "فرانكي" بذلك التفهُّم الفوري الذي افتقر والد "بوبي" إليه:

– مهمة كئيبة.

– من المؤكد أنه لم يكن يشعر بشيء.

– صحيح؟

– لكن مع ذلك... حسنا... بدا نابضاً بالحياة إلى حد بعيد... هذه النوعية من الأفراد... أسلوب نهاية بشع... مجرد خطوة خارج حافة الصخرة بسبب قدر ضئيل من الضباب وانتهى كل شيء. قالت "فرانكي":

– أقدر مشاعرك. نقلت إليه هذه العبارة الموجزة مدى تعاطفهامعه وتقديرها ظروفه. سألته:

– هل رأيت شقيقته؟

– لا، كنت بوسط المدينة مدة يومين، ذهبت لمقابلة صديق بشأن ورشة لإصلاح السيارات سنبدأ العمل بها، أنت تعرفينه، إنه "بادجر بيدون".

– أعرفه؟

– بالتأكيد، لابد من أنك تذكرين صديقنا "بادجر"، إنه أحول. قطبت "فرانك" حاجبيها، فواصل "بوبي" حديثه كي يساعدها على أن تتذكره:

– له ضحكة سخيفة بشعة: هاو – هاو – هاو – هكذا. لم تتمكن "فرانكي" من أن تتذكره مع ذلك. فقال "بوبي":

– سقط من فوق ظهر مهره ونحن صغار، وغاص رأسه في الوحل، واضطررنا إلى أن نسحبه من ساقيه. فقالت "فرانكي" في فيض من الذكريات:

– آه، تذكرت الآن، كان يتلعثم. فقال "بوبي" بكبرياء:

– ولا يزال.. فسألته "فرانكي":

– ألم تكن له مزرعة دواجن وفشل مشروعه؟

– هذا صحيح.

– ثم التحق بمكتب سمسرة أوراق مالية وصرفوه من الخدمة بعد شهر واحد؟

– إنه كذلك.

– ثم سافر إلى "أستراليا" وعاد منها؟

– نعم. فقالت "فرانكي":

– "بوبي"، أرجو ألا تكون مساهماً بمال في مشروعه هذا.

– ليس لدي أي مبلغ أساهم به فيه. فقالت "فرانكي" :
– هذا أفضل. فاستطرد "بوبي" قائلا:
– كان من الطبيعي أن يحاول "بادجر" الاهتداء إلى شخص معه رأس مال صغير يريد أن يستثمره، ولكن الأمر ليس بالسهولة التي تتوقعينها. قالت "فرانكي" :
– عندما تنظر حولك لا تصدق أن للناس أي قدر من العقل، لكن لهم. بدا "بوبي" أخيراً متفهماً مغزى هذه الملاحظات فقال:
– "فرانكي"، "بادجر" واحد من أفضل الناس، بل الأفضل على الإطلاق. فقالت "فرانكي" :
– أهم دائماً كذلك؟
– من تعنين؟
– الذين يذهبون إلى "أستراليا" ثم يعودون، من أين حصل على المال الذي يبدأ به هذا المشروع؟
– عمّة أو قريبة له توفيت، وتركت له مرآبا يتسع لست سيارات تعلوه شقة سكنية مكونة من ثلاث حجرات، وتمكّن أهله من تدبير مائة جنيه لشراء سيارات مستعملة، تذهلين لو علمت أمر الصفقات التي يمكن تحقيقها بالعمل في السيارات المستعملة. فقالت "فرانكي" :
– اشتريت إحداها ذات مرة، كانت تجربة مريرة، دعنا لا نتحدث عنها، لأي سبب أردت أن تترك الخدمة في سلاح البحرية؟ لم يقوموا بفصلك من الخدمة، أليس كذلك؟ وأنت في هذه السن. تورد وجه "بوبي" حرجا وقال بنبرة جشّاء:
– بسبب العينين.
– أذكر أنك دائماً ما عانيت المتاعب بسبب العينين.
– أعلم، ولكنني تمكنت من اجتياز الفحص الطبي، ثم أتت بعد ذلك الخدمة الخارجية – شدة الإضاءة وما إلى ذلك – أثرت فيهما لهذا اضطررت إلى الاستعفاء. فقالت "فرانكي" وهي تنظر من النافذة:
– أمر كئيب. وخيم صمت طويل قال "بوبي" بعده:
– ومع ذلك إنه أمر مخجل، عيناي ليستا متعبتين إلى هذا الحد، وأخبروني بأن حالتهما لن تسوء بقدر أكبر، وكان يمكنني مواصلة العمل بكل اقتدار. فقالت "فرانكي" :
– تبدوان بحالة جيدة. وظلت تنظر إلى عمق لونهما البني الصادق، فقال "بوبي" :

– بناء على ذلك سوف أبدأ العمل مع "**بادجر**". أومأت "**فرانكي**". فتح أحد خادمي القطار باب المقصورة معلنًا:

– وجبة ما بين الفطور والغداء الأولى. فقالت "**فرانكي**":

– هلاّ ذهبنا لتناولها؟ توجها إلى عربة الطعام. حاول "**بوبي**" أن يأتي تراجعًا استراتيجيًا في خلال الزمن المتوقع لمجيء مفتش التذاكر قائلا:

– لا نريد له أن يضغط على ضميره بأكثر مما ينبغي. ولكن "**فرانكي**" أجابته بأنها لا تتوقع أن يكون لمفتشي التذاكر أية ضمائر. بعد الخامسة بقليل توقف القطار عند محطة "**سيلهام**" وهي المحطة الخاصة ببلدة "**مارتشبولت**". قالت "**فرانكي**":

– ستكون السيارة في انتظاري، سوف أقوم بتوصيلك أيضًا.

– شكرًا، هذا سيوفر عليَّ حمل هذه الحقيبة الثقيلة لمسافة ثلاثة كيلومترات. فقالت "**فرانكي**":

– خمسة كيلومترات لا ثلاثة.

– ثلاثة كيلومترات لو سلكنا ممر المشاة المحاذي لمنطقة تعرُّج النهر.

– ذلك الممر الذي...

– نعم، الذي سقط الرجل منه. سألت "**فرانكي**" وهي تناول حقيبة ملبسها لخادمتها:

– من المفترض أن أحدًا لم يدفع به إلى أسفل، أليس كذلك؟

– دفع به إلى أسفل؟ يا إلهي لا، لماذا؟ فأجابت "**فرانكي**" بهدوء تام:

– كان هذا سيجعل الحادث أكثر إثارة، أليس كذلك؟

الفصل الرابع
التحقيق

عقدت جلسة التحقيق المتعلقة بجثة "**أليكس بريتشارد**" في اليوم التالي. أدلى الدكتور "**توماس**" بأقواله فيما يتصل بالعثور على الجثة. سأله المحقق:

– لم يكن قد فارق الحياة وقتئذ؟

– نعم، كان لا يزال يتنفس، إلا أنه لم يكن هناك أمل في شفائه. ثم تحدث الطبيب بتقنية عالية عن حالة المصاب، فتطوع المحقق بتبسيط المفهوم لهيئة المحلَّفين بأن سأل الطبيب:

– هل ما تعنيه هو – بلغتنا العادية – أن ظهر الرجل أصيب بكسر؟ وأجابه الطبيب بأسى:

– إذا راقك التعبير عن حالته بهذا. وذكر كيف أنه قد مضى ليعود بالعون اللازم تاركًا الرجل المحتضر في حراسة "**بوبي**".

– والآن فيما يتعلق بسبب هذا الحادث الأليم، ما رأيك يا دكتور "**توماس**"؟

– الاحتمال الأكبر (في غياب أي دليل على حالة الضحية الذهنية) هو أن المتوفى قد اتخذ في غفلته خطوة فوق حافة الصخرة. كان هناك ضباب متصاعد من البحر وفي هذه البقعة بالذات ينعطف الممر فجأة إلى اليابسة، قد لا يكون المتوفى قد لحظ الخطورة، بسبب الضباب، وواصل السير، وفي هذه الحالة خطوتان فقط كانتا كفيلتين بأن تتجاوزا به الحافة.

– ألم تكن هناك علامات على تعرضه للعنف؟ كأن يكون عنف ما قد وقع عليه من طرف ثالث؟

– ما يمكنني قوله هو إن جميع الإصابات التي به يبررها بالكامل ارتطام الجسد بالصخور التي تقع على عمق يبلغ خمسة عشر أو ثمانية عشر مترًا.

– يبقى موضوع الانتحار؟

– هذا ممكن تمامًا بالتأكيد، لكن لا يمكنني أن أقول شيئًا عما إذا كان المتوفى قد مشى سهوًا فوق الحافة أو ألقى بنفسه من فوقها. نودي على "**روبرت جونز**" بعد ذلك. ذكر "**بوبي**" أنه كان يلعب الجولف مع الطبيب، وأنه قذف بالكرة في اتجاه البحر، وكان الضباب يتصاعد في ذلك التوقيت وتعذرت الرؤية بسببه. ظن أنه سمع صرخة وتساءل لحظة عما إذا كان من الممكن أن تكون الكرة قد اصطدمت بأحد المارة بالطريق، ولكنه قرر أنه من المستحيل أن تكون الكرة قد طارت على مدى كل هذه المسافة.

– هل عثرت على الكرة؟

– نعم، على مسافة حوالي تسعة أمتار سابقة على الطريق. ذكر بعد ذلك كيف تحول إلى التبة التالية وكيف ضرب كرته نحو الصدع، وعند هذه النقطة أوقفه المحقق عن مواصلة الشهادة؛ لأنها ستكون تكرارًا لما ذكره الطبيب. إلا أنه استفسر منه بدقة عن الصرخة التي كان قد سمعها أو ظن أنه سمعها.

– كانت مجرد صرخة.

– صرخة استغاثة؟

– لا، مجرد صيحة، واقع الأمر أنني لم أكن متأكدًا أنني قد سمعتها.

– صيحة جزع إذن؟

– هذا أقرب إليها، تلك النوعية من الضجَّة التي تصدر عن المرء إذا ارتطمت به كرة على غير المتوقع.

– أو إذا اتخذ خطوة في الفراغ بينما يظن أنه على طريق؟

– نعم. ثم وبعد أن أكَّد "بوبي" أن الرجل توفي بعد حوالي خمس دقائق من رحيل الطبيب ليأتي بالعون المطلوب انتهت محنته. أصبح المحقق على أثر ذلك شغوفا بأن ينهي تحقيقا صريحا وواضحا تماما. نودي على السيدة "ليوكييمان".

أطلق "بوبي" لهاث خيبة أمل شديدة. أين الوجه الذي ظهر بالصورة الفوتوغرافية التي تدحرجت إلى خارج جيب ذلك الرجل؟ حدَّث "بوبي" نفسه بأن المصورين يرتكبون أسوأ أنواع الكذب. كان واضحا أن الصورة لابد من أن تكون قد التقطت منذ بضعة أعوام مضت، لكن حتى مع ذلك من الصعب أن يصدِّق أن ذلك الجمال المتباعد العينين الساحر من الممكن أن يكون لتلك المرأة الجامدة الملامح ذات الحاجبين الغائري التجاعيد والشعر الواضح أنه مصبوغ. تنبه "بوبي" فجأة لأن الزمن شيء مخيف. كيف – على سبيل المثال – ستبدو "فرانكي" بعد عشرين عاما؟ ارتعد جسده بقدر طفيف. كانت "أميليا كييمان" التي تقطن الشارع رقم 17 بمنطقة حدائق "ليونارد"، "بادينجتون"، تدلي بأقوالها في تلك الأثناء.

قالت إن المتوفى هو شقيقها الوحيد ويدعى "ألكسندر بريتشارد" وأن آخر مرة رأته فيها كانت في اليوم السابق على المأساة حيث أعلن لها أنه يعتزم القيام بجولة على القدمين في أرجاء "ويلز"، وأن شقيقها كان قد عاد من الشرق مؤخرا.

– هل بدا بحالة ذهنية سعيدة وطبيعية؟

– نعم، تماما، كان "أليكس" مرحا دائما.

– على حد علمك، لم يكن بذهنه شيء؟

– آه، أنا واثقة بأنه لم يكن بذهنه أي شيء، وكان منطلقا إلى رحلته.

– لم تكن لديه أية ضائقات مالية، أو أية متاعب من أية نوعية في حياته في الآونة الأخيرة؟ فأجابت السيدة "كييمان":

– واقع الأمر أنه لا يمكنني الإدلاء بأية أقوال عن ذلك؛ لأنه كان قد عاد توًّا ولم أكن قد رأيته قبل ذلك منذ عشر سنوات، ولم يكن من محبي كتابة الخطابات، ولكنه اصطحبني إلى المسرح ودعاني إلى تناول الغداء معه في "لندن" وقدم لي بعض الهدايا؛ لهذا لا أعتقد أنه من الممكن أن يكون في ضائقة مالية، كما أنه

كان مرحًا جدًّا بحيث لا يمكنني أن أعتقد أنه كانت لديه متاعب من أية نوعية أخرى.

– ماذا كانت مهنة شقيقك يا سيدة "كييمان"؟ بدا على السيدة قدر من الإحراج ثم قالت:

– حسنًا، لا يمكن القول إنني أعرف تمامًا، إنها التنقيب كما كان يسميها، نادرًا ما تواجد في "إنجلترا".

– لا تعرفين أي سبب يؤدي به إلى الانتحار؟

– لا، لا، ولا يمكنني أن أقتنع بانه قد أقدم على شيء كهذا، لابد من أنه حادث.

– بماذا تفسرين أن شقيقك لم تكن معه أية أمتعة، ولا حتى حقيبة ظهر؟

– لم يحب حمل حقائب الظهر، كان يعتزم إرسال الطرود بالبريد كل يوم وآخر، أرسل طردًا بالبريد في اليوم السابق على رحيله، محتويًا على متعلقات ليلية وزوج جوارب إلا أنه وجهه إلى "دربيشير" بدلا من "دنبيشير" لذلك وصل إلى هنا اليوم فقط.

– آه، هذا يوضح نقطة غامضة إلى حد ما. واصلت السيدة "كييمان" حديثها موضحة كيف أنه قد تم الاتصال بها عن طريق المصورين الذين تم الاهتداء إلى أسمائهم من الصورة التي كانت بجيب شقيقها، وأنها قد أتت برفقة زوجها إلى "مارتشبولت" وأنها تعرفت – على الفور – الجثة وأنها لشقيقها المذكور، وبينما تنطق بالعبارة الأخيرة تنشقت بصوت مسموع وبدأت تبكي. حدثها المحقق ببضع كلمات من قبيل المواساة ثم صرفها.

توجه بعد ذلك إلى هيئة المحلفين. أصبحت مهمته هي القول بكيفية لقاء هذا الرجل حتفه، ولحسن الحظ بدا الأمر غاية في البساطة، فلم يكن ثمة ما يشير إلى أن السيد "بريتشارد" كان مهمومًا أو مكتئبا أو بحالة ذهنية يحتمل معها الانتحار بل على العكس كان بصحة جيدة وحالة معنوية مرتفعة وكان متطلعًا إلى قضاء عطلته، وكانت المأساة متمثلة في أنه عندما يتصاعد الضباب من البحر يصبح الممر الموازي للصخرة خطرًا، وربما يشاركونه الرأي في أنه قد حان الوقت لعمل اللازم بشأن هذا الطريق، وجاء حكم هيئة المحلفين فوريًا:

"نرى أن المتوفى قد لقي حتفه ببليّة، ونود أن نضيف إلى حكمنا هذا بندًا ملحقًا هو: أننا نرى أنه ينبغي لمجلس المدينة أن يتخذ على الفور الخطوات اللازمة لوضع سور أو سياج حديدي على جانب البحر من الممر المطوّق للصدع". أومأ المحقق

معبراً عن موافقته وانتهى التحقيق بذلك.

الفصل الخامس
السيد "كييمان" وحرمه

اكتشف "**بوبي**" لدى عودته إلى البيت بعد ذلك بحوالي نصف الساعة أن علاقته بوفاة "**أليكس بريتشارد**" لم تنقض بعد. قيل له إن السيد "**كييمان**" وحرمه قد أتيا لمقابلته وإنهما ينتظرانه مع والده في حجرة المكتب. توجه إلى هناك على الفور حيث وجد والده يقيم معهما حواراً جريئاً لم يبد مستمتعاً به. قال بقدر من الارتياح:

– آه، ها هو "**بوبي**". نهض السيد "**كييمان**" وتقدم نحو الشاب ماداً له يداً. كان السيد "**كييمان**" كبير الحجم متورد الوجه ذا أسلوب حميم ونظرة فاترة متنقلة تكذّب دفء الأسلوب. أما السيدة "**كييمان**" فعلى الرغم من إمكان اعتبارها جذابة على الصعيد الخشن الجريء، إلا أنها لم تشبه صورتها السابقة في شيء، ولم يبق بوجهها أدنى أثر لتلك التعبيرات التوّاقة الحزينة. رأى "**بوبي**" أنه لو لم يمكنها هي ذاتها تعرّف صورتها لما أمكن أي إنسان آخر ذلك. قال السيد "**كييمان**" وهو يضم يد "**بوبي**" في قبضة قاسية مؤلمة:

– جئت مع زوجتي إلى هنا، اضطررنا إلى أن ننتظرك، من الطبيعي أن تكون "**أميليا**" حزينة هكذا. تنشقت السيدة "**كييمان**" بينما استطرد زوجها قائلا:

– أتينا كي نلقاك، كما تعلم توفي شقيق زوجتي المسكين بين ذراعيك وكان لايزال قادراً على الكلام. من الطبيعي أنها تريد أن تعرف كل ما يمكنك أن تخبرها به عن لحظات حياته الأخيرة. فقال "**بوبي**" بأسى:

– بالتأكيد، بكل تأكيد. ابتسم "**بوبي**" متوتراً وأدرك على الفور تنهد والده – تنهد التسليم المسيحي. قالت السيدة "**كييمان**" وهي تجفف عينيها:

– "**أليكس**" المسكين... "**أليكس**" المسكين جداً. قال "**بوبي**":

– إنني مقدر، الأمر صعب جداً. ثم أخذ يتململ بعدم ارتياح، فقالت السيدة "**كييمان**" متطلعة إلى "**بوبي**" وكلها أمل:

– إذا كان قد تفوه بأية كلمات أو رسائل أخيرة، فمن الطبيعي أنني أود أن أعرفها. فأجاب "**بوبي**":

– هذا صحيح، لكن في واقع الأمر إنه لم يقل أي شيء.

– لا شيء إطلاقًا؟ بدتِ السيدة "كييمان" محبطة وغير مصدقة بينما أحس "بوبي" كما لو كان مقصراً:

– واقع الأمر أنه لم يقل أي شيء إطلاقًا. فقال السيد "كييمان" معلقًا بهدوء:

– هذا أفضل، لقد توفي وهو فاقد الوعي – بلا ألم – ينبغي لك أن تعتبري هذا رحمة يا "أميليا". فقالت السيدة "كييمان":

– أعتقد أنه من الواجب عليّ أن أعتبره كذلك، ألا تعتقد أنه شعر بأي قدر من الألم؟ فقال "بوبي":

– أنا واثق بأنه لم يشعر بأية آلام. تنهدت السيدة "كييمان" من العمق، ثم قالت:

– حسنا، هذا شيء ينبغي لي أن أحمد الله عليه، وإن كنت قد تمنيت لو أنه ترك رسالة أخيرة، ولكنني أرى أن هكذا أفضل، مسكين "أليكس"! رجل مهذب رحّال. فقال "بوبي":

– نعم، بدا كذلك. وتذكر البشرة البرنزية والعينين الزرقاوين. شخصية جذابة تلك التي كانت لـ "أليكس بريتشارد" حتى وهو مشرف على الموت. غريب أن يكون شقيق السيدة "كييمان" وأن يكون نسيب السيد "كييمان". رأى "بوبي" أن الرجل كان جديرًا بما هو أفضل. قالت السيدة "كييمان":

– حسنا، نحن مدينون لك بالكثير، أنا واثقة بذلك. وأجاب "بوبي":

– آه، لا بأس، أعني أنه لم يمكنني أن أفعل شيئًا أكثر من ذلك، أعني.. ثم تلعثم على نحو ميؤوس منه، فقال السيد "كييمان":

– لن ننسى لك ذلك أبداً. وعانى "بوبي" ثانية تبعة تلك المصافحة المؤلمة. صافحته السيدة "كييمان" بفتور وحياهما والد "بوبي" مودعًا، ثم اصطحبهما "بوبي" إلى الباب الخارجي، وهناك سأله السيد "كييمان":

– وماذا أنت فاعل بوقتك أيها الشاب؟ هل عدت إلى البيت لقضاء إجازة، أو شيء من هذا القبيل؟ فقال "بوبي":

– أقضي القدر الأكبر من وقتي في البحث عن عمل، كنت أعمل في سلاح البحرية. فهز السيد "كييمان" رأسه قائلا:

– أوقات عصيبة، عصيبة جداً في هذه الأيام، حسنا، أتمنى لك حظًا سعيداً، أنا واثق بهذا. فأجابه "بوبي" بأدب:

– شكرًا جزيلا. ووقف يراقبهما وهما يسيران على الممر المكسو بالعشب الأخضر، وبينما هو كذلك تواردت على ذهنه أفكار متباينة مشوّشة ومختلطة...

الصورة الفوتوغرافية.. وجه تلك الفتاة ذات العينين المتباعدتين والشعر الكثيف، وبعد ذلك بعشر سنوات أو خمس عشرة سنة.. السيدة "**كييمان**" بزينة وجهها المغالى فيها، وحاجبيها اللذين غزتهما التجاعيد، وتلك العينان المتباعدتان قد غارتا بين طيات اللحم حتى بدوتا شبيهتين بعيني الخنزير، وشعرها المشعث المصبوغ بالحناء. لقد اختفت فيها جميع آثار الصبا والبراءة. يا للمأساة! ربما أن كل هذا ترتب على زواجها برجل مرح صخاب يعوزه التهذيب مثل السيد "**كييمان**". لو كانت قد تزوجت بآخر فربما كان يمكنها أن تطعن في السن بطريقة رشيقة مثل لمسة شيب في شعرها، والعينان تحتفظان بتباعدهما مطلّتين من وجه شاحب رقيق، لكن ربما... تنهد "**بوبي**"، ثم هز رأسه قائلا:

– هذا أسوأ ما في الزواج.

– ما هذا الذي تقوله؟ أفاق "**بوبي**" من تأملاته ليدرك وجود "**فرانكي**" التي لم يشعر بقدومها. قال:

– أهلا بك...

– أهلا، لماذا تتحدث عن الزواج هكذا؟ وزواج من تعني؟ فقال "**بوبي**":

– كنت أفكر في الأمر على وجه العموم.

– بمعنى؟

– الآثار المدمرة التي للزواج.

– ومن الذي تدمَّر؟ شرح "**بوبي**" وجهة نظره وتبين عدم تجاوب "**فرانكي**" معه في الرأي.

– هذا هراء، المرأة مطابقة لصورتها تمامًا.

– متى رأيتها؟ هل كنت حاضرة التحقيق؟

– كنت حاضرة بالتأكيد، ماذا كنت تعتقد؟ الفراغ قاتل هنا، والتحقيق بمثابة هبة من الله، لم أحضر تحقيقًا من قبل وابتهجت حتى النخاع، من المؤكد أنه كان سيكون أكثر إثارة لو أنه تناول حالة تسمم غامضة، تخللتها تقارير التحليل المعملي، وكل تلك الأمور، لكن لا ينبغي لنا أن نكون طامعين جدًّا عندما تتاح لنا مثل هذه الفرص السارة البسيطة، تمنيت حتى آخر لحظة من التحقيق أن يسفر الأمر عن شكٍ في احتمال واقعة جنائية، لكن للأسف على أن كل شيء بدا بسيطًا وواضحًا.

– كم أنك متعطشة إلى الدماء غريزيًّا يا "**فرانكي**"!

– أعلم هذا، ربما أنه التأسل أو الرُّجعى (العودة إلى صفات الأسلاف) ألا ترى ذلك؟ أنا واثقة بأنني رجعية ،كان اسم تدليلي وأنا بالمدرسة "وجه القردة". سألها "بوبي":

– هل تحب القردة القتل؟ فقالت "فرانكي":

– تبدو مثل مراسل الصحف، آراء مراسلينا عن هذا الموضوع مطلوبة. وهنا قال "بوبي" عودة إلى الموضوع الأصلي:

– تعلمين، إنني لا أتفق معك بشأن المرأة "كيمان"، كانت صورتها الفوتوغرافية غاية في الجمال. فقاطعته "فرانكي" بقولها:

– تم تنقيح ملامحها، هذا كل ما في الأمر.

– حسنا إذن، لقد تم تنقيحها إلى حد عدم معرفة أن الصورة لهذه المرأة. فقالت "فرانكي":

– لقد قام المصور بعمل كل ما يمكن لفن التصوير عمله، ومع ذلك جاءت النتيجة سيئة إلى أقصى حد. فأجابها "بوبي" بنبرة فاترة:

– أختلف معك تماما في ذلك، على أية حال أين رأيتها؟

– في الصحيفة المسائية المحلية.

– ربما أن إعادة الطبع كانت رديئة. فقالت "فرانكي" غاضبة:

– يبدو لي أنك واهم جداً، متيم بامرأة وضيعة مثل "كيمان"، نعم، أقول وضيعة. فقال "بوبي":

– "فرانكي"، إنني دهش لما تقولينه، خاصة ونحن في رحاب منطقة مقر إقامة الكاهن، منطقة شبه مقدسة على الأقل.

– حسنا، ما كان ينبغي لك أن تتمسك برأيك إلى هذا الحد. عمَّ الصمت برهة هدأت بعدها نوبة غضب "فرانكي" فقالت:

– المضحك في الأمر أن نتشاجر معاً بشأن تلك المرأة الملعونة، لقد أتيت إلى هنا لأقترح عليك أن نلعب جولة جولف ،ما رأيك؟ فأجابها "بوبي" بسعادة:

– موافق بالتأكيد. مضيا معا تجمع بينهما روح المودة، واقتصر حديثهما على مايتصل بالمباراة التي كانا يتطلعان إليها. نسيا أمر المأساة التي حدثت أخيراً حتى توقف "بوبي" في أثناء اللعب فجأة وتفوه بعبارة تعجب. فسألته "فرانكي":

– ما الخطب؟!

– لا شيء، لقد تذكرت الآن شيئا ما.

– ما هو؟

– حسنا، هؤلاء الناس، أعني السيد "**كييمان**" وزوجته، حضرا إلى بيتنا ليسالاني عما إذا كان ذلك الرجل قد قال شيئا قبل أن يفارق الحياة، وأخبرتهما بأنه لم يقل شيئا.

– ثم؟

– وتذكرت الآن فقط أنه قد قال شيئًا ما.

– ليس يومًا صحواً جداً بالنسبة إليك في الواقع.

– لم يكن ما قاله من النوعية التي كانا يعنيانها؛ لهذا لم أتذكره على حد تقديري. سألته "**فرانكي**" بنبرة فضول:

– ما الذي قاله؟

– لقد قال: "لماذا لم يطلبوا من "**إيفانز**"؟"

– يا له من قول غريب! ألم يقل شيئا غير ذلك؟

– كلاً، لقد فتح عينيه وقال ذلك – على نحو مفاجئ – ثم مات ذلك المسكين. فقالت "**فرانكي**" وهي تقلِّب الموضوع بذهنها:

– حسنا، لا أرى داعيا إلى أن تهتم، لم يكن ذلك بالشيء المهم.

– لا، ليس مهمًا بالتأكيد، ومع ذلك أتمنى لو أنني قد أخبرتهما به؛ لأنني قلت لهما إنه لم يقل شيئًا إطلاقًا. فقالت "**فرانكي**":

– حسنا، لا يُحدث هذا أدنى فرق، أعني أنه لم يقل شيئًا مهمًّا مثل: أخبر "**جلاديس**" بأنني أحببتها، أو الوصية في المكتب الجوزي، أو أي من الكلمات الأخيرة الرومانسية التي نقرؤها في الكتب والروايات.

– لا ترين أن الأمر يستحق أن أكتب إليهما به؟

– لو كنت مكانك لما اهتممت؛ لأن ما قاله من غير الممكن أن يكون ذا أهمية تذكر. فقال "**بوبي**" محولًا اهتمامه إلى اللعبة بحماس متجدد:

– أرى أن رأيك صائب. إلا أن الموضوع لم يفارق ذهنه بحق. كان ضئيل الأهمية، ولكنه أزعجه. أحس بقدر من عدم الارتياح. شعر بأن وجهة نظر "**فرانكي**" هي الصحيحة والمعقولة، وأن الأمر لا أهمية له وينبغي تجاهله، إلا أن ضميره ظل يؤنبه وإن كان بقدر طفيف. كان قد قال إن المتوفى لم يقل شيئا، ولم تكن هذه هي الحقيقة. الأمر كله تافه وسخيف جداً، لكن لم يمكنه أن يشعر بالارتياح بشأنه.

أخيرًا جلس في المساء وكتب رسالة إلى السيد "**كييمان**" هذا نصها:

"عزيزي السيد "**كييمان**"، لقد تذكرت أن شقيق زوجتك قد قال شيئًا بالفعل قبل وفاته. أعتقد أنه قال هذا نصًّا: "لماذا لم يطلبوا من "**إيفانز**"؟" وأنا أعتذر عن عدم ذكري هذا لكما صباح اليوم، لكن لم يبدُ لي أن لقوله هذا أهمية وقتئذ؛ ولذلك لم يعلق بذهني".

المخلص

"**روبرت جونز**"

وبعد يومين تلقَّى الرد التالي من السيد "**كييمان**":

"عزيزي السيد "**جونز**"، تلقينا خطابكم المؤرخ 6 الجاري. شكرًا جزيلا على إخبارنا بكلمات شقيق زوجتي الأخيرة بحذافيرها على الرغم من تفاهتها. ماكانت زوجتي تأمله هو أن يكون قد ترك لها رسالة أخيرة ما، ومع ذلك نشكرك على يقظة ضميرك".

المخلص

"**ليو كييمان**"

فاحس "**بوبي**" بالسخرية.

الفصل السادس
نهاية رحلة

تلقَّى "**بوبي**" في اليوم التالي رسالة من نوعية مختلفة تمامًا:

"تم تدبير كل شيء يا صديقي". هكذا كتب "**بادجر**" بخط يد ينبئ عن أميَّة لا ترجع أي فضل إلى المدرسة الباهظة المصاريف المدرسية التي تعلَّم بها. "اشترينا بالفعل خمس سيارات بالأمس جميعها بمبلغ خمسة عشر جنيها. إحداها "**أوستن**"، واثنتين "**موريس**"، واثنتين "**روفر**". لا يمكن بيعها حاليًّا لكن يمكننا سمكرتها بقدر كاف على ما أرى. دعك من كل شيء. السيارة هي السيارة طالما تحمل مشتريها إلى بيته بلا توقف. هذا كل ما يمكن للمشتري أن يتوقعه. فكرت في الافتتاح يوم الاثنين المقبل، وأعتمد عليك إلى حد كبير، فأرجو ألا تخذلني ياصديقي، ينبغي لي أن أذكر أن عمتي العزيزة "**كاري**" كانت كريمة معي جدًا. ذات مرة حطمت زجاج نافذة أحد جيرانها لأنه كان وقحًا معها بسبب قططها ولم

تنس لي هذا المعروف قط. كانت ترسل إليّ خمسة دولارات في أعياد الميلاد والآن أعطتني هذه الورشة والمسكن الذي يعلوها. لابد لنا من أن ننجح، فالسيارة هي السيارة، ويمكنك الحصول عليها بلا مقابل تقريبا. قدر من طلاء عليها وهذا هو كل ما يلحظه المشتري الغبي. سوف يتم البيع بسهولة، والآن لا تنس يوم الاثنين. أنا معتمد عليك".

صديقك دائمًا

"**بادجر**"

أخبر "**بوبي**" أباه بأنه يعتزم الذهاب إلى المدينة في يوم الاثنين ليلتحق بالعمل. لم يثر وصف الوظيفة في القس أدنى اهتمام كان – للعلم – قد التقى "**بادجر بيدون**" في الماضي واكتفى على أثر هذا اللقاء بأن ألقى على مسمع "**بوبي**" محاضرة طويلةٍ عن ضرورة عدم تعريض نفسه لمسؤولية عن أي شيء. لم تتناول نصيحته حديثًا عن أمور مالية أو أخرى متعلقة بالتجارة والأعمال، بل كانت غامضة من الناحية الفنية وإن كانت فحواها لا تخطأ. في يومٍ الأربعاء من ذات الأسبوع تلقى "**بوبي**" خطابًا آخر معنونًا بخط يد أجنبي مشوه، وجاء الخطاب مذهلا لهذا الشاب.

كان الخطاب من شركة "**هنريكيز وداللو**" في "**بوينس أيرس**"، وباختصار شديد يعرض على "**بوبي**" وظيفة بهذه الشركة راتبها السنوي ألف دولار. ظن الشاب في غضون الدقائق الأولى أنه يحلم. ألف دولار في العام. أعاد قراءة الخطاب بدقة أكبر. لحظ ذكر تفضيل من عمل بالسلاح البحري قبل ذلك، وهو ما يشير إلى أنه قد تمت تزكية "**بوبي**" من جانب شخص ما لم يذكر اسمه، واشترط على أن يتم قبول الوظيفة على الفور وأن يتأهب "**بوبي**" للسفر إلى "**بوينس أيرس**" في غضون أسبوع واحد. قال "**بوبي**" معربًا عما يعتمل بداخله بأسلوب يميل إلى التعاسة:

– حسنا، لتحل بي اللعنة!

– "**بوبي**"!

– آسف يا أبي، نسيت أنك هنا. حرَّر السيد "**جونز**" حلقه قائلا:

– أود أن ألفت نظرك إلى... أحس "**بوبي**" أن هذه العملية، وهي طويلة عادة، يتعين اجتنابها بأي مقابل كان. توصل إلى هدفه بعبارة بسيطة:

– تعرض عليَّ جهة ما وظيفة راتبها ألف دولار في العام. ظل القس فاغرًا فاه غير

قادر حتى على مجرد التعليق على هذا الخبر، فقال "بوبي" محدثًا نفسه بقدر من الرضا: لقد نجحت بذلك في إحباط مخططه.

– عزيزي "بوبي"، هل أصبت فهم ما قلت من أن جهة ما قد عرضت عليك وظيفة براتب قدره ألف دولار سنويًا؟ ألف دولار؟ فقال "بوبي":

– نعم يا أبي، ألف واحد. فقال القس:

– هذا مستحيل. لم تُجرح مشاعر "بوبي" بصراحة والده وعدم تصديقه؛ إذ إن تقديره لقيمته المالية لم يكن مختلفًا كثيرًا عما ارتآه والده؛ لهذا قال:

– لابد من أنهم ساذجون جدًا.

– من هؤلاء؟ أعطاه "بوبي" الخطاب. استعان القس بنظارته الأنفية وقرأ الخطاب بشيء من الشك، ثم أعاد قراءته مرتين أخريين، ثم قال أخيرًا:

– فرصة ممتازة جدًا، ممتازة جدًا في الواقع. وقال "بوبي":

– إنهم معتوهون. فقال القس:

– آه يا بني! إنه أمر رائع أن تكون شابًا إنجليزيًا، الأمانة هي أكثر ما يميزنا، حمل سلاح البحرية هذه الميزة المثالية إلى كافة أنحاء العالم، كلمة الرجل الإنجليزي! هذا الرأي الحازم الذي يتصف به مواطنو "جنوب أمريكا" يحقق قيمة أي رجل منهم حتى لو كان صغيرًا؛ إذ إن الجميع في أي مكان في العالم يقدرون مكانتهم أينما حلّوا مما يجعل الجميع يثقون بهم وبإخلاصهم بلا حدود، الإنجليزي هو محل اعتماد الغير دائمًا وهو خير من يؤدي اللعبة. فقاطعه "بوبي":

– وبمضرب مستقيم أيضًا. رمق القس ابنه بنظرات الشك. كانت هذه العبارة على طرف لسانه بالفعل إلا أن شيئًا ما بنبرة "بوبي" أشعرته بعدم صدق تام، وإن كان الشاب ذاته قد بدا غاية في الجدية. قال:

– ومع كل هذا يا أبي، لماذا أنا على وجه التحديد؟

– ماذا تعني لماذا أنت على وجه التحديد؟ فقال "بوبي":

– بـ"إنجلترا" عدد كبير من الشباب الإنجليزي، بينهم من هو شديد الحماس ويتميز بالمهارة والذكاء الخارق، لماذا يقع اختيارهم عليّ أنا؟

– ربما أن الضابط الذي كنت تعمل تحت إمرته قد وافاهم بتزكية لك. فأجاب "بوبي" بنبرة مشوبة بالشك:

– نعم، ربما يكون هذا صحيحا، ولا أهمية لذلك على أية حال؛ لأنه لا يمكنني قبول هذه الوظيفة.

– لا يمكنك قبولها؟ ما الذي تعنيه يا بني العزيز؟

– إنني قد ارتبطت بالعمل مع "**بادجر**".

– "**بادجر**"؟ "**بادجر بيدون**"؟ هذا هراء يا عزيزي "**بوبي**"! الأمر خطير. فتنهد "**بوبي**" قائلا:

– أعترف بأن هذا القرار صعب إلى حد ما.

– أي ترتيب صبياني ربما تكون قد اتفقت عليه مع "**بيدون**" لا يمكن الاعتداد به إطلاقا.

– ولكنني أعتد به.

– "**بيدون**" شاب غير مسؤول إطلاقًا، أعلم أنه مصدر متاعب جسيمة وعبء مالي على والديه.

– لم يحالفه الحظ جدًّا، وهو شاب واثق.

– الحظ، الحظ! أعتقد أن هذا الشاب لم يبذل أي قدر من الجهد طوال حياته.

– لا يا أبي، كان يستيقظ في الخامسة صباحًا ليطعم الدجاج، ولم يكن ذنبه أن الدجاج كله التقط عدوى ذلك المرض.

– لم أوافق قط على مشروع تلك الورشة، إنها حماقة لا أكثر، ينبغي لك أن تتخلى عنه.

– لا يمكنني يا سيدي، لقد وعدت ولا يمكنني أن أخذل صديقي "**بادجر**"، إنه معول عليّ. تواصلت المناقشة وإذ كان القس متحاملاً في رأيه على موضوع "**بادجر**" لم يمكنه اعتبار أي وعد قطع مع هذا الشاب ملزمًا. اعتبر "**بوبي**" عنيدا ومصمما على أن يعيش حياة خاملة برفقة أسوإ صداقة ممكنة، مهما كلّفه ذلك. أما "**بوبي**" فأخذ يردد مرة بعد أخرى أنه لا يمكنه أن يخذل صديقه "**بادجر**".

أخيرًا غادر القس الحجرة غاضبًا وجلس "**بوبي**" في ذات الزمان والمكان يكتب إلى شركة "**هنريكيز ودالليو**" معتذرًا عن قبول الوظيفة المعروضة عليه. كان يتنهد في أثناء الكتابة لأنه كان يضيع فرصة من غير المحتمل أن تتكرر، ولكنه لم ير بديلا عن ذلك، وفي وقت لاحق عرض هذه المشكلة على "**فرانكي**" عندما التقيا بملعب الجولف. أصغت إليه باهتمام ثم سألته:

– أكان ينبغي لك أن تذهب إلى "**أمريكا الجنوبية**"؟

– نعم.

– هل كنت ستحب ذلك؟

– ما كان ليمكنني أن أخذل صديقي، ألا ترين ذلك؟

– بلى، لكن عليك أن تحذر أن يخذلك صديقك هذا.

– آه، سأكون حذراً، سأكون على خير ما يرام على أية حال، ليست لدي أية أصول أو أموال. فقالت "فرانكي" :

– ستكون هذه الشراكة ممتعة إذن.

– لماذا؟

– لا أعلم لذلك سبباً، ولكنها بدت لي ظريفة متحررة من أي قيد أو مسؤولية، وأعتقد أيضاً، عند التفكير في الموضوع، أنه ليست لي أية أصول كبيرة أيضاً، أعني أن والدي يمنحني راتباً وأن لديّ عدداً من المنازل التي يمكنني الإقامة بها، ولدي الملابس والخدم وبعض المجوهرات العائلية المذهلة وقدرا كبيراً من التسهيلات في الدفع في المتاجر، ولكن كل هذا ملك للعائلة في الواقع، وليس ملكًا لي. فقال "بوبي" :

– لكن مع كل ذلك... ثم توقف عن الكلام.

– نعم، الوضع مختلف تماما، أعلم هذا. فقال "بوبي" :

– نعم، إنه مختلف تماماً. ثم أحس باكتئاب مفاجئ. مشيا معا صامتين حتى التبة التالية. قالت "فرانكي" بينما كان "بوبي" يرفع كرته:

– سأذهب إلى المدينة غداً.

– غداً؟ آه، وكنت سأقترح عليك الذهاب في رحلة.

– كنت سأرحب بذلك لكن تم الترتيب للذهاب إلى المدينة، فقد عاودت أبي آلام النِّقرس. فقال "بوبي" :

– يجب أن تبقي هنا لرعايته.

– لا يحب أن يسهر على خدمته أحد، هذا يضايقه بدرجة كبيرة، يفضل الخادم الجديد؛ لأنه متعاطف معه جداً ولا يزعجه أن تلقى الأشياء في وجهه ولا أن يوصف بأنه غبي ملعون. ضرب "بوبي" الكرة فتدحرجت إلى الشرك. قالت "فرانكي" :

– مسلك صعب. ثم دفعت بالكرة بقوة واستقامة جعلتها تتخطى الشرك. قالت:

– على فكرة، يمكننا أن نفعل شيئا ما معًا في "لندن"، ستكون هناك قريبًا؟

– يوم الاثنين، لكن حسنا، لا فرصة، ألا ترين ذلك؟

– ماذا تعني بلا فرصة؟

– ما أعنيه هو أنني سوف أعمل ميكانيكيًّا معظم الوقت، أعني. . . فقالت:

– حتى في هذه الحالة يمكنك المجيء إلى حفل كوكتيل، والاستمتاع بالوقت كأي واحد آخر من أصدقائي. اكتفى "بوبي" بأن هز رأسه، فقالت "فرانكي" مشجعة:

– سأقيم حفل جعة ونقانق إذا كنت تفضل ذلك.

– اسمعيني يا "فرانكي"، ما الفائدة؟ أعني أنه لا يمكنكِ الجمع بين فئتين من الأصدقاء في حفل واحد، أصدقاؤك هناك مختلفون عني تمامًا. فقالت "فرانكي":

– أؤكد لك أن أصدقائي خليط من مستويات متباينة.

– تتظاهرين بأنك لا تفهمين.

– يمكنك اصطحاب "بادجر" معك إذا أردت. هناك صداقات لكما.

– أنت متحاملة على "بادجر" بعض الشيء.

– يمكنني القول إن هذا راجع إلى لعثمته، فالمتلعثمون يجعلونني أتلعثم أيضًا.

– اسمعيني يا "فرانكي"، لن يجدي هذا وأنت تعلمين جيدًا، لا بأس في اختلاطي بك هنا، فلا يوجد هنا الكثير مما يمكنك فعله، وبذلك يكون وجودي معك خيرًا من لا شيء، أعني أنك دائمًا تحسنين معاملتي وكل هذه الأمور وأنا ممتن لك على ذلك، ولكنني أعلم أنني نكرة. . .و. . . فقاطعته "فرانكي" بقولها:

– عندما تفرغ تمامًا من الحديث عن مركّب نقصك، ربما يمكنك الخروج بالكرة من الشرك باستخدام المضرب الحديدي الرأس بدلا من الصولجان.

– آه، كم أنا. . . وأعاد الصولجان إلى الحقيبة وأخرج المضرب الحديدي الرأس. راقبته "فرانكي" يفعل ذلك برضا شيطاني، ثم ينقضّ على الكرة خمس مرات متعاقبة فيثير سحابة من الغبار حولها. قال "بوبي" ممسكًا بالكرة:

– حفرتك. فقالت "فرانكي":

– أعتقد ذلك، وبذلك أفوز بالمباراة.

– هل نلعب مباراة الرحيل؟

– لا، لا أعتقد أنه يمكنني، لديَّ الكثير مما ينبغي لي أن أقوم به.

– بكل تأكيد، أتوقع هذا. سارا معا صامتين إلى المنتدى. قالت "فرانكي" وهي تمد نحوه يدها:

– حسنا، إلى لقاء يا عزيزي، أسعدني أن أستفيد من وجودك معي وأنا هنا، أراك فيما بعد، ربما عندما لا يكون لديَّ شيء أفضل أفعله.

– اسمعيني يا "فرانكي" . . .

– ربما أنك تتنازل وتأتي إلى حفلي. أعتقد أنه يمكنك شراء أزرار لؤلؤية بسعر جيد جداً من محلات "وولورث".

– "فرانكي" . . . وضاع صوته في ضجيج محرك السيارة البنتلي الذي قامت "فرانكي" بتشغيله. ابتعدت بالسيارة ملوحة له بيدها بارتياح. قال "بوبي" بنبرة أسى:

– اللعنة! اعتبر أن "فرانكي" قد تصرفت بجرأة مبالغ فيها. ربما لم يتناول الأمور بما يكفي من العقل والمنطق ، لكن على الرغم من كل شيء، ما قاله كان الواقع والحقيقة. بدت الأيام الثلاثة التالية طويلة لا نهاية لها. أصيب القس بالتهاب بالحنجرة اضطره إلى أن يتحدث همساً إذا تكلم إطلاقاً. كان قليل الكلام وكان واضحاً أنه محتمل ابنه الرابع كما ينبغي للمسيحي أن يحتمل الشدائد.

في يوم السبت أحس "بوبي" بانه لا يمكنه أن يحتمل وطاة حياة البيت وقتاً أطول. طلب من السيدة "روبرتس" التي كانت مع زوجها يديران شؤون البيت، أن تعطيه بعض السندوتشات، أضاف إليها زجاجة جعة كان قد ابتاعها من أحد متاجر "مارتشبولت" وخرج للتنزه بمفرده. أحس بأنه قد افتقد "فرانكي" بشدة في خلال هذه الأيام القليلة الماضية. ذلك لأن هؤلاء الكبار مثيرون للأعصاب . . . يدققون على أتفه الأمور.

تمدد "بوبي" فوق بقعة مكسوة بالسرخس وأخذ يناقش مع نفسه ما إذا كان يتناول طعام غدائه أولا ثم ينام أم ينام أولا ثم يأكل، وبينما هو في حيرته تمّ حل الموضوع تلقائيًا بأن استغرق في النوم دون أن يدري. كانت الساعة الثالثة والنصف عندما استيقظ! ابتسم وهو يفكر كيف كان والده سيرفض هذا الأسلوب لقضاء اليوم، فالسير عبر المنطقة الريفية مسافة تسعة عشر كيلومتراً أو نحو ذلك هو في رأيه الأسلوب الأمثل الذي ينبغي لشاب مكتمل الصحة أن يفعله. قاده تفكيره تلقائيًا إلى تلك الملاحظة المعروفة: "والآن أعتقد أنني أستحق وجبة الغداء." قال "بوبي" محدثا نفسه: "إنها حماقة، لماذا لا يستحق المرء وجبة غدائه إلا بالسير مسافة طويلة لا يريدأن يمشيها؟ ما الفائدة من ذلك؟ إذا كان هذا يمتع إنساناً ما فلا بأس في أن ينغمس، أما إذا كان لا يمتعه فمن الحماقة أن يفعله" . أقبل بعد ذلك على الوجبة التي لا يستحقها وتناولها بشهية، وبتنهد رضا فتح زجاجة الجعة. كان مذاقها مرًّا على نحو لم يتصوره لكن لابد لها من أن تكون منعشة. . .

استلقى ثانية بعد أن ألقى بالزجاجة الفارغة إلى مجموعة من شجيرات الخلنج. أحس بسعادة الاسترخاء في هذه البقعة، والعالم كله عند قدميه. مجرد عبارة ولكنها عبارة جيدة. بوسعه أن يفعل أي شيء، أي شيء لو أنه حاول! تواردت على ذهنه أفكار رائعة ومبادرات جريئة، ثم داعبه النعاس ثانية، وتسلل النوم إليه فاستغرق في سبات عميق... وتبلدت حواسه.

الفصل السابع
نجاة من موت محقق

توقفت "فرانكي" بسيارتها البنتلي الخضراء الكبيرة خارج منزل قديم الطراز ظهرت فوق مدخله لافتة كتب عليها: "**القديس عساف**". غادرت "فرانكي" السيارة واستدارت إلى الخلف حيث حصلت على صحبة من زهور الزنبق، ثم ضغطت على زر ناقوس الباب، ففتحت لها امرأة في زي الممرضات. سألتها "فرانكي":

– هل يمكنني زيارة السيد "جونز"؟ رمقت عينا الممرضة السيارة والزهور و"فرانكي" باهتمام شديد، وقالت لها:

– بأي اسم أبلغه؟

– الليدي "**فرانسيس ديروينت**". ابتهجت الممرضة وازدادت تقديراً لمريضها. قادت "فرانكي" إلى أعلى الدرج وإلى حجرة بالطابق الأول.

– لك زائرة يا سيد "جونز"، من تعتقد أنها؟ مفاجأة سارة لك. قالت كل ذلك بالأسلوب المشرق المعتاد في بيوت الرعاية. قال "بوبي" دهشاً بشدة:

– يا إلهي! إنها "فرانكي"!

– كيف حالك يا "بوبي"؟ لقد أحضرت لك الزهور المعتادة التي توحي بزيارة المقابر، ولكن الاختيار كان محدوداً. فقالت الممرضة:

– آه يا ليدي "فرانسيس"! إنها جميلة، سأضعها في الماء. وغادرت الحجرة. جلست "فرانكي" فوق مقعد مخصص للزائرين. سألت:

– حسناً يا "بوبي"، ما كل هذا؟ فقال "بوبي":

– لك الحق في أن تستفسري، فأنا صاحب الحدث المثير في هذا المكان، ثماني قمحات مورفين، لا أقل. سوف يكتبون عني في المجلة الطبية البريطانية وفي صحف

الحوادث. هل تعلمين أن نصف قمحة تعتبر جرعة قاتلة؟ ينبغي لي أن أكون قد توفيت ست عشرة مرة على الأقل. صحيح أن هناك حالات تُعافى بعد ست عشرة قمحة، ومع ذلك لا باس بالثماني قمحات، الا ترين ذلك؟ أنا البطل هنا، لم يستقبلوا مثل حالتي من قبل.

– كم أن هذا حُسن حظ لهم!

– صحيح؟ إنه يعطيهم مادة للحديث إلى المرضى الآخرين. عادت الممرضة حاملة الزهور في فازات. فسألها "بوبي" :

– هذا صحيح، أليس كذلك؟ إنكم لم تستقبلوا مثل حالتي من قبل؟ فأجابت الممرضة:

– آه! لا ينبغي لك أن تكون هنا إطلاقا، بل في جبَّانة فناء الكنيسة، ولكن هناك مقولة مؤداها أن الأبرار فقط يموتون صغارا. ثم ضحكت الممرضة على الفكاهة التي تفوهت بها وغادرت الحجرة. قال "بوبي" :

– سوف ترين كم سأكون مشهوراً في "إنجلترا" كلها. وواصل حديثًا ممتعًا وقد اختفى كل أثر للإحساس بالنقص الذي كان واضحا في أثناء لقائه السابق مع "فرانكي" . وجد سعادة خاصة في ذكر تفاصيل ما حدث له بالتمام والكمال. قالت "فرانكي" مسكتة إياه:

– كفى، لا يمتعني جداً الحديث عن مضخات المعدة، إنك تتحدث وكأن لا أحد قبلك أصيب بحالة تسمم. فقال "بوبي" مؤكداً:

– قليلون جداً من تسمموا بثماني قمحات مورفين ونجوا من الموت، لا بأس، لست متأثرة بما يكفي بوقع هذا الحادث. فقالت "فرانكي" :

– نتيجة مؤسفة لمن رتّبوا لتسمُّمك.

– أعلم، أضاعوا سدى كمًّا من المورفين عالي الجودة.

– كانت الجعة، أليس كذلك؟

– بلى، وجدني أحدهم نائمًا مثل الموتى، حاول إيقاظي ولم يستطع، ذعر وعمل على نقلي إلى منزل المزرعة ثم استدعى طبيبا. أسرعت "فرانكي" تقول:

– أعلم كل شيء عما حدث بعد ذلك.

– ظنوا في بادئ الأمر أنني قد تناولت هذه المادة متعمداً، ثم عندما سمعوا أقوالي انطلقوا بحثا عن زجاجة الجعة، ووجدوها حيث كنت قد ألقيت بها، ثم طلبوا تحليلها، يبدو أن الرواسب المتبقية بها كانت كافية لهذا الغرض.

– لا فكرة عن كيفية وصول المورفين إلى الزجاجة؟

– لا شيء إطلاقًا، أجروا تحقيقًا مع الحانة التي كنت قد ابتعتها منها وفتحوا بضع زجاجات أخرى وكانت جميعها سليمة.

– ربما أن شخصًا ما قد وضع المورفين في الزجاجة وأنت نائم؟

– هذا هو الاحتمال الوحيد، أتذكر أن الورقة التي عبر الفوّهة لم تكن ملصقة على النحو الواجب. أومأت "فرانكي" متأملة ثم قالت:

– حسنا، هذا يثبت أن ما قلته لك في القطار في ذلك اليوم كان صائبًا تمامًا.

– ما الذي قلته؟

– إن ذلك الرجل "بريتشارد" قد دُفع ليسقط على الصخرة. فقال "بوبي" بصوت واهن:

– لم تقولي ذلك ونحن في القطار، بل على المحطة.

– ذات الشيء.

– لكن لماذا؟

– عزيزي، الأمر واضح، لماذا يصر أحدهم على الخلاص منك؟ لست وريثًا لثروة أو أي شيء من هذا القبيل.

– قد أكون، ربما أن عمة لم أسمع عنها قط، تعيش في "نيوزيلند" أو في أية بقعة نائية أخرى من العالم قد تركت لي كل ثروتها.

– هراء! وهي لا تعرفك، وحتى لو لم تعرفك لماذا تترك الثروة للابن الرابع؟ في هذه الأيام العصيبة من غير المحتمل أن يكون لقسيس ابن رابع! لا، الأمر كله واضح تمامًا، لا أحد يستفيد من موتك؛ لهذا نستبعد هذا الاحتمال، ثم إن الثأر والانتقام لم يغويا ابنة صيدلي تحت أي ظرف كان؟ فقال "بوبي" معتدًا بنفسه:

– لا يمكنني أن أتذكر شيئا كهذا.

– أعلم، فأحيانا يغوي المرء كثيرات جدًا بحيث يمكن أن يخطئ عددهن، لكن يمكنني القول بكل اطمئنان إنك لم تغو أية فتاة إطلاقًا.

– تخجلينني يا "فرانكي"، ولماذا لابد من أن تكون ابنة صيدلي؟

– لأن المورفين في متناول يده، أخذًا في الاعتبار أنه ليس من السهل الحصول على هذه المادة.

– حسنا، لم يسبق لي إغواء ابنة صيدلي.

– وليس لك أعداء معروفون ؟ فهز "بوبي" رأسه، وهنا قالت "فرانكي" بنبرة الفائز:

– حسنا، هكذا يتضح الأمر، لابد من أن تكون للمحاولة علاقة بالرجل الذي دُفع ليسقط على الصخرة، وما رأي الشرطة في هذا الحادث؟

– يرون أن مجنونا فعل هذا.

– هراء! فالمجانين لا يتجولون في الشوارع حاملين معهم كميات كبيرة من المورفين بحثا عن زجاجات جعة يضعونها بداخلها. الموضوع مختلف عن ذلك. هناك شخص ما دفع "**بريتشارد**" ليسقط على الصخرة. بعد دقيقة أو اثنتين أتيت أنت إلى تلك البقعة، فيظن هو أنك قد رأيته يقترف فعلته؛ ولهذا يصر على الخلاص منك.

– لا أعتقد أن هذه النظرية صحيحة.

– ولِمَ لا؟

– حسنا، بادئ ذي بدء لم أر شيئًا.

– هذا صحيح، ولكنه لا يعلم ذلك.

– لو أنني قد رأيت شيئا لكنت قد ذكرته في التحقيق. فقالت "**فرانكي**" عن غير رضا:

– أفترض هذا. ثم فكرت قليلا واستطردت تقول:

– ربما أنه ظن أنك رأيت شيئا لم تعتبره مهمًّا ولكنه مهم، يبدو هذا غير مفهوم، ولكنك تفهم منه شيئا؟ وأومأ "**بوبي**" قائلا:

– نعم، أفهم ما تعنين لكن لا يبدو محتملا جدًّا، لسبب أو لآخر.

– إنني واثقة بأن حادث الصخرة له علاقة بما أصابك، كنت في مسرح الأحداث أول فرد يتواجد هناك. قال "**بوبي**" مذكِّرًا إياها:

– والدكتور "**توماس**" كان هناك أيضا، ولم يحاول أحد أن يدس له سمًّا. فقالت "**فرانكي**" بنبرة مرحة:

– ربما أنهم سيحاولون، أو ربما أنهم حاولوا وأخفقوا.

– يبدو كل هذا بعيد الاحتمال.

– لكنه منطقي، إذا أمكنك التخلص من فردين، فإن ما يجري في مستنقع عفن مثل "**مارتشبولت**".. انتظر ..هناك أمر ثالث.

– ماذا؟

– تلك الوظيفة التي عرضت عليك، هذا بالتأكيد أمر صغير جدًّا ولكنه غريب، لابد من أن تعترف بذلك، لم أسمع قط عن شركة أو مؤسسة أجنبية تخصصت

في البحث عن ضبَّاط سابقين غير متميزين في السلاح البحري.

– هل قلت غير متميزين؟

– لم يكن اسمك وقتئذ قد نشر في المجلة الطبية البريطانية، ولكنك تفهم ماأعنيه، لقد رأيت شيئا ما، ما كان ينبغي لك أن تراه، أو هكذا يرون هم (أيًّا كانوا) حسنًا جداً، يحاولون في بادئ الأمر الخلاص منك بأن يعرضوا عليك وظيفة خارج البلاد، ثم عندما يخفق هذا المخطط، يحاولون الخلاص منك نهائيًّا.

– ألا يبدو هذا قاسيًا إلى حد ما ومنطويًا على مخاطرة جسيمة؟

– نعم، ولكن القتلة يتّسمون بالتهور والطيش، كلما زاد عدد الجرائم التي يقترفونها تطلعوا إلى اقتراف المزيد. فقال "**بوبي**" مستعيداً أحد الأعمال الخيالية المحببة إلى نفسه:

– مثل بقعة الدم الثالثة.

– نعم، وفي واقع الحياة أيضًا يوجد أمثال هؤلاء الأبطال القتلة.

– حسنًا، لكن يا "**فرانكي**"، ماذا تعتقدين أنه الشيء الذي ما كان يجب أن أراه؟ فقالت "**فرانكي**":

– هنا الصعوبة الحقيقية، أتفق معك في أنه من غير الممكن أن يكون عملية دفع الرجل إلى الهوة ذاتها لأنك كنت ستبلّغ عنها، لابد من أنه أمر يتعلق بالرجل ذاته، ربما كانت به علامة جسدية مميزة كان تكون له أصابع مزدوجة المفصل أو شيء من هذا القبيل.

– أرى أن ذهنك قد اتجه إلى حالة الدكتور "**ثورندايك**"، من المستحيل أن يكون شيئًا كهذا، وإلا كانت الشرطة قد رأته أيضًا.

– هذا صحيح، اقتراح أحمق من جانبي، الأمر صعب، أليس كذلك؟ فقال "**بوبي**":

– إنها نظرية مرضية وتشعرني بأهميتي، ومع ذلك لا أعتقد أنها تزيد على كونها نظرية وحسب.

– أنا واثقة بانني على صواب. ثم نهضت "**فرانكي**" قائلة:

– ينبغي لي أن أمضي الآن. هل تريدني أن آتي لزيارتك غداً؟

– نعم، أرجوك. همهمة الممرضات تصيبني بالملل. بهذه المناسبة، ألم تعودي من "**لندن**" في وقت مبكر عن المتوقع؟

– يا عزيزي، عدت بمجرد سماعي بما حدث لك. كم أنه مثير أن يكون لي صديق أصيب بالتسمم بطريقة غريبة ورومانسية!

– لا أعلم ما إذا كان المورفين ينطوي على كل هذا القدر من الرومانسية.

– حسنا إذن. سآتي غدا ،هل لي أن أقبلك أم لا؟ فقال "بوبي" مشجعاً:

– لا بأس في ذلك.

– سأقوم بواجبي تجاه المريض كاملا إذن. ثم طبعت على جبينه قبلة أخوية قائلة:

– أراك غداً. حضرت الممرضة في أثناء خروجها حاملة الشاي لـ"بوبي" وقالت:

– شاهدت صورها بالصحف مرات عديدة وإن كانت لا تشبهها تماما، ورأيتها أيضًا تقود سيارتها هنا وهناك، ولكنني لم أرها قط على هذا القدر من القرب، ليست بها ذرة تعال، أليس كذلك؟ فقال "بوبي":

– كلاً، إطلاقًا! لا يمكنني أن أعتبر "فرانكي" متعالية أبداً.

– كنت أتحدث إلى زميلتي عنها الآن، قلت لها إنها طبيعية كأي شيء في الوجود، لا كبرياء فيها، قلت لها إنها مثلي ومثلك تمامًا. لم يجب "بوبي" بشيء محتفظًا لنفسه برأيه في هذا الصدد، وإذ ضايق الممرضة عدم تجاوبه معها غادرت الحجرة في صمت تاركة "بوبي" لتفكيره الخاص. تناول الشاي ثم أخذ يراجع في ذهنه احتمالات صدق نظرية "فرانكي" المحيرة وانتهى إلى استبعادها كلية. بحث بعد ذلك عن إلهاءات أخرى يشغل بها باله.

استقر بصره على زهريات الزنابق. كم أنه جميل من "فرانكي" أن تأتيه بكل هذه الزهور! إنها جميلة بالتأكيد، ولكنه تمنى لو أنه قد لاح بذهنها أن تأتيه بعدد من الروايات البوليسية بدلا منها. ألقى نظرة إلى المنضدة القريبة منه وكان عليها بعض الكتب والمطبوعات. اختار من بينها رواية للكاتب "جون هاليفكس".

أعادها إلى موضعها بعد بضع دقائق؛ إذ لم تكن على المستوى الرفيع الذي اعتاد قراءته من الروايات البوليسية المثيرة. تنهد ملتقطًا المجلة الأسبوعية المحلية. ما إن بدأ يتصفحها حتى ضغط على زر الناقوس الذي أسفل وسادته بقوة جعلت الممرضة تأتي إليه عدواً.

– ماذا بك يا سيد "جونز"؟ هل تشعر بألم؟ فصاح قائلا:

– اتصلي بالقصر هاتفيًا على الفور، واطلبي من الليدي "فرانسيس" أن تعود إلى هنا الآن.

– يا سيد "جونز"، من غير الممكن أن تبعث برسالة كهذه.

– من غير الممكن لي أن أفعل هذا؟ لو كان مسموحًا لي بالحركة من هذا الفراش اللعين لرأيت على الفور ما إذا كان يمكنني أو لا يمكنني، وهذا هو الحال، لابد لك من أن تقومي عني بهذه المهمة.

– لكن من المحتمل جدًّا ألا تعود الآن.

– لا تعرفين سرعة هذه السيارة.

– لن تكون قد تناولت الشاي بعد. فقال "بوبي":

– انظري يا فتاتي العزيزة، لا تجادليني أكثر من هذا. اتصلي بها كما أقول لك. أخبريها بأن تعود إلي هنا في الحال لأن لديَّ شيء مهم جدًّا ينبغي لي أن أبلغها به. ذهبت الممرضة رغما عنها وتصرفت قليلا في الرسالة التي حمَّلها "بوبي" إياها:

– إذا لم يكن ثمة ما يضايق الليدي "فرانسيس" فإن السيد "جونز" يتساءل عما إذا كان يمكنها المجيء إليه؛ لأن لديه شيئا مهما يجب أن يخبرها به، لكن من المؤكد ألا يؤثر هذا في أية خطة أخرى لديها. أجابتها الليدي "فرانسيس" باقتضاب بأنها سوف تاتي إليه على الفور. على إثر ذلك قالت الممرضة محدِّثة زميلاتها:

– إنها تتعامل معه بكل رقة وحلاوة الطباع. ووصلت "فرانكي" بالسرعة التي وعدت بها. سألت:

– ما سبب هذا الاستدعاء اليائس؟ كان "بوبي" جالسًا فوق الفراش، وعلى كل من وجنتيه تورُّد زاهٍ. كانت بيده الصحيفة الأسبوعية المحلية. ناولها إلى "فرانكي" قائلا:

– انظري يا "فرانكي"، إلى هذه. ونظرت "فرانكي" ثم تساءلت:

– حسنا؟

– هذه هي الصورة التي كنت تعنينها عندما قلت إنها منمَّقة ولكنها تشبه السيدة "كيمان" بدرجة كبيرة. أشار إصبع "بوبي" إلى تصوير مطموس بعض الشيء لصورة فوتوغرافية، كتبت أسفلها العبارة التالية: "الصورة الفوتوغرافية التي وجدت بحوزة الرجل المتوفى، والتي قادت إلى التعرف إلى شخصيته. إنها للسيدة "أميليا" شقيقة المتوفى.

– هذا ما قلته عنها وهو صحيح أيضًا، ولا أرى بها شيئا يستدعي التشكك.

– ولا أنا.

– لكنك قلت...

ـ أعلم أنني قلت، لكن يا "**فرانكي**" .. وتحولت نبرات صوته إلى التأكيد التام، وتابع:

ـ ليست هذه هي الصورة التي أعدتها إلى جيب المتوفى... نظر كلٌّ منهما إلى الآخر، ثم بدأت "**فرانكي**" تقول ببطء:

ـ والحال كذلك إذن.

ـ إما أنه قد كانت هناك صورتان..

ـ وهذا أمر غير محتمل.

ـ وإما.. توقفا عن الحديث لحظة، ثم قالت "**فرانكي**" :

ـ ذلك الرجل.. ما اسمه؟ فقال "**بوبي**" :

ـ "**باسنجتون فِرنش**" !

ـ إنني واثقة تماماً.

الفصل الثامن
لغز الصورة الفوتوغرافية

ظلَّ ينظرُ كلٌّ منهما إلى الآخر طويلا وهما يحاولان التأقلم مع هذا الوضع الجديد. قال "**بوبي**" :

ـ من غير الممكن أن يكون قد قام بذلك شخص غيره، فهو الوحيد الذي أتيحت له الفرصة.

ـ ما لم تكن قد كانت هناك صورتان كما افترضنا.

ـ لقد اتفقنا على أن ذلك غير محتمل؛ لأنه لو كانت هناك صورتان لحاولوا تعرف شخصيته عن طريق كليهما، وليس عن طريق إحداهما فقط. فقالت"**فرانكي**" :

ـ على أية حال من السهل التوصل إلى ذلك. بوسعنا أن نستفسر من الشرطة. لنفترض حاليا أنه لم تكن هناك سوى صورة واحدة فقط، تلك التي رأيتها وأعدتها إلى جيب المتوفى. كانت بجيبه عندما برحته ولم تكن بجيبه عندما حضر رجال الشرطة. بناء على ذلك يكون الشخص الوحيد الذي كان يمكنه أخذ تلك الصورة ووضع الصورة الأخرى مكانها هو ذلك الرجل "**باسنجتون فرنش**" . كيف كان يبدو يا"**بوبي**" ؟ قطب "**بوبي**" وهو يحاول أن يتذكر ثم قال:

– شخصية من الصعب وصفها. صوت رخيم، رجل مهذب وكل هذه الأمور، في الواقع إنني لم ألاحظ جيداً. ذكر أنه غريب في هذه المنطقة، وشيئا عن أنه يبحث عن منزل. فقالت "**فرانكي**" :

– يمكننا أن نتحقق من ذلك بسهولة. "**هويلر**" و"**أوين**" هما سماسرة العقارات الوحيدان. اقشعر جسدها فجاة وقالت :

– "**بوبي**" ، هل فكرت في الأمر؟ لو كان "**بريتشارد**" قد دفع ليسقط، فإن "**باسنجتون فرنش**" لابد من أن يكون الرجل الذي فعل به ذلك.

– استنتاج غريب جداً. لقد بدا غاية في الأدب والتهذيب، ومع ذلك يا"**فرانكي**" ، لسنا متأكدين أن الرجل قد دُفع ليسقط.

– لكن هكذا أفضل وقعاً.

– كنت تتمنين ذلك على طول الخط.

– لا، كنت أريد الحادث أن يكون هكذا؛ لأنه يجعل التفاصيل أكثر إثارة، ولكن هذا أصبح ثابتًا الآن إلى حد ما، فإذا انطوى الحادث على جريمة قتل تكون كل التفاصيل مواتية. ظهورك غير المتوقع على مسرح الحادث قلب الموازين في خطة القاتل. اكتشافك وجود صورة فوتوغرافية وبناء على ذلك الحاجة إلى التخلص منك. فقال "**بوبي**" :

– هناك نقطة ضعف معينة.

– لماذا؟ أنت الوحيد الذي اطّلع على الصورة. بمجرد أن تُرك "**باسنجتون فرنش**" بمفرده مع الجثة استبدل الصورة التي لم يرها أحد غيرك. إلا أن "**بوبي**" ظل يهز رأسه وهو يقول :

– لا، هذا غير مقنع، لنفترض جدلا أن تلك الصورة من الأهمية بحيث أصبح من الضروري التخلص مني كما تقولين. هذا يبدو غريبا ولكنني أفترض أنه ممكن وحسب. حسنا إذن، ما كان ينبغي أن يتم كان لابد من أن يتم على الفور. الواقع أنني سافرت إلى "**لندن**"ولم أطلع قط على المجلة المحلية الأسبوعية أو على أي من الصحف الأخرى التي نشرت الصورة الفوتوغرافية كان مجرد مصادفة لا يعوَّل عليها، وكان الاحتمال القائم هو أن أقول على الفور: "ليست هذه هي الصورة التي رأيتها" ؛ لأنه لماذا انتظر حتى ينتهي التحقيق وتتم تسوية كل شيء على الوجه اللائق؟ قالت "**فرانكي**" معترفة :

– ثمة شيء ما في ذلك.

– وهناك نقطة أخرى من غير الممكن أن أكون واثقًا بها تماما بالتأكيد، لكن أكاد أن أقسم على أنه في اللحظة التي أعدت فيها الصورة إلى جيب المتوفى لم يكن "**باسنجتون فرنش**" في الموقع. لم يصل قبل خمس أو حتى عشر دقائق لاحقة. فقالت "**فرانكي**" محتجة:

– ربما أنه كان يراقبك طوال الوقت. فقال "**بوبي**" بنبرة بطيئة:

– لا يمكنني أن أقتنع كيف كان يمكنه ذلك، فليس هناك سوى موقع واحد يمكن منه رؤية البقعة التي كنا بها بالتحديد؛ لأنه بعد هذا الموقع تبرز الصخرة إلى الخارج، ثم تتراجع من أسفل بحيث لا تتيح الرؤية. لا يوجد إلا هذا الموضع الوحيد وعندما وصل "**باسنجتون فرنش**" إليه سمعت وقع قدميه؛ لأن صدى الخطى يُسمع بوضوح هناك. ربما كان قريبا من المكان ولكنه لم يكن مطلا حتى عندئذ.. أقسم على ذلك.

– تعتقد إذن أنه لا يعلم أنك قد رأيت الصورة؟

– لست مقتنعا بانه من الممكن أن يعلم.

– ومن غير الممكن أن يكون قد خشي أن تكون قد رأيته يقترف فعلته – أعني تلك الجريمة – لأن ذلك على حد قولك ترجيح غريب. ما كنت لتصمت قط عن ذلك. يبدو أنه لابد من أنه شيء مختلف تماما.

– كل ما في الأمر أنه لا يمكنني أن أرى ماذا من الممكن أن يكون.

– شيء ما لم يعلموا به حتى انتهى التحقيق. لا أدري لماذا حديثي عن "هم".. ضمير الغائب الجمع.

– ولمَ لا؟ فلابد من أن للزوجين "**كييمان**" يدًا في الموضوع أيضًا، ربما أنها عصابة، أحب العصابات. فقالت "**فرانكي**" بذهن شارد:

– ذوق متدنٌ. القتل الفردي أكثر رقيًا بكثير يا "**بوبي**"!

– نعم؟

– ما ذلك الذي قاله "**بريتشارد**" قبل أن يتوفى مباشرة؟ أنت تعرفه، وقد قلته لي يوم أن كنا نلعب الجولف سويًا. ذلك السؤال الغريب؟

– لماذا لم يطلبوا من "**إيفانز**"؟

– نعم، لنفترض أن هذا هو السبب؟

– ولكنه مضحك.

– ربما يبدو كذلك لكن من الممكن أن يكون مهمًا في الواقع. "**بوبي**" أنا واثقة

بأن هذا هو السبب. آه، لا، كم أنا غبية؛ لأنك لم تخبر آل "**كييمان**" به، أليس كذلك؟ فقال "**بوبي**" بتأنٍ:

– بل أخبرتهما في واقع الأمر.

– فعلت ذلك؟

– نعم، كتبت إليهما في ذلك المساء، وقلت أيضًا إنه ربما لا يكون هذا القول مهمًا إطلاقًا.

– وماذا حدث؟

– رد "**كييمان**" على خطابي بأدب متفقًا معي على أن ليس بهذا القول أي شيء وشكرني مع ذلك على اهتمامي بالكتابة إليهما حتى أنني شعرت بقدر من السخرية.

– وبعد ذلك بيومين تلقيت خطابًا من الشركة الغريبة ترشيك فيه للذهاب إلى "**أمريكا الجنوبية**"؟

– نعم. قالت "**فرانكي**":

– حسنا، لا أدري ماذا تريد أيضًا. يحاولون هذا أولا وترفضه، ويلي ذلك أن يتعقبوك ويتحينون فرصة مواتية ليضعوا كمًّا كبيراً من المورفين في زجاجة جعتك.

– للزوجين "**كييمان**" علاقة بالموضوع إذن؟

– للزوجين "**كييمان**" علاقة وثيقة به بكل تأكيد! قال "**بوبي**" متأملا:

– نعم، لو كان ترتيبك لهذا السيناريو صحيحًا، فلابد من أن يكونا متورطين في هذه الجريمة، ووفقًا لنظريتنا الحالية تمت الخطة على النحو التالي: الرجل المتوفى ولنرمز له بالحرف "س" يُدفع عمداً ليسقط على الصخرة، لنفترض أن هذا حدث بيد "ب ف". من الضروري ألا يتم تعرّف حقيقة شخصية "س"؛ لهذا توضع صورة فوتوغرافية للسيدة "ك" في جيب المتوفى وتسحب صورة السيدة الجميلة المجهولة من جيبه (أتساءل من هي صاحبة هذه الصورة؟)

– وتتعرف السيدة "**كييمان**" إلى الجثة ويترتب على ذلك كل التمويه اللازم وما يترتب عليه من مجازفة.

– لقد نسيت أن السيدة "**كييمان**" قد تعرفت هوية صاحب الجثة بأقصى سرعة بشرية ممكنة، وبعد ذلك حتى لو كانت قد ظهرت لهذا الرجل صور بالصحف (تعرفين مدى عدم وضوح مثل هذه الصور) سيكتفي الناس بأن يقولوا: غريب، إن هذا الرجل "**بريتشارد**" الذي سقط على الصخرة يشبه السيد "س" إلى حد

بعيد. قالت "فرانكي" بذكاء:

– لابد من أن يكون الأمر منطويا على ما هو أبعد من ذلك. لابد من أن السيد "س" كان شخصية لا يمكن الإحساس بغيابها بسهولة. ما أعنيه هو أنه من غير الممكن أن يكون من نوعية رب الأسرة الذي من الممكن أن تذهب زوجته أو أقرباؤه إلى الشرطة على الفور للإبلاغ عن غيابه.

– نقطة مهمة يا "فرانكي"، نعم، لابد من أنه كان مسافرًا لتوّه أو ربما عائدًا فورًا (كانت بشرته مسفوعة على نحو مدهش مثل صائد حيوانات مفترسة.. بدا من هذه النوعية من الناس) ومن غير الممكن أن له أقارب مقربين جدًا على علم تام بكافة تحركاته. قالت "فرانكي":

– استنتاجاتنا مدهشة. آمل ألا نكون مخطئين فيها تمامًا. فقال "بوبي":

– احتمال كبير، ولكنني أرى أن ما توصلنا إليه حتى الآن منطقي سليم، أعني عدم الاحتمالية الصارخة لهذا الحادث برمته. لوحت "فرانكي" بيدها مستبعدة تمامًا عدم الاحتمالية الصارخة، ثم قالت:

– المهم هو ماذا عسانا أن نفعل بعد كل هذا. يبدو لي أن أمامنا ثلاث زوايا للهجوم.

– واصلي الحديث أيتها المخبرة السرية.

– أولها هو أنت، لقد بذلوا محاولة لإنهاء حياتك، ومن المتوقع أن يكرروا المحاولة، في هذه المرة ربما يمكننا أن نحصل على ما يسمونه نقطة ضدهم باستخدامك كشرك أو طُعم. فقال "بوبي" متأثرًا:

– لا، أشكرك يا "فرانكي"، حالفني الحظ في هذه المرة وربما لا يحالفني ثانية إذا حولوا هجومهم إلى آلة مثلمة. كنت أفكر في حماية نفسي بكل عناية في المستقبل؛ لهذا يمكنك التخلي عن فكرة الشرك هذه. قالت "فرانكي" متنهدة:

– كنت أخشى أن أسمع منك ذلك. لقد انحدرت روح الشباب وتراجعت في هذه الأيام. هذا ما يقوله والدي. لا يستمتعون بعدم الراحة والقيام بالمهام الخطرة. أمر يستحق الرثاء. قال "بوبي" بنبرة إصرار:

– بل يستحق عظيم الرثاء. ما الخطة التالية للحملة؟

– العمل من منطلق عبارة: لماذا لم يطلبوا من "إيفانز"، فربما يكون المتوفى قد أتى إلى هنا للقاء "إيفانز" أيًا كانت هويته. إذا أمكننا الاهتداء إلى "إيفانز".. فقال "بوبي" مقاطعًا:

– كم عدد من لهم اسم "**إيفانز**" في "**مارتشبولت**" تعتقدين؟ فقالت "**فرانكي**" مقرّة:

– لا يقل عن سبعمائة في تقديري.

– نعم، لا يقل عن هذا الرقم! يمكننا التوصل إلى شيء ما عن هذا الطريق وإن كنت مرتابا بعض الشيء.

– يمكننا إعداد قائمة عن الذين اسمهم "**إيفانز**" ونقوم بزيارة الشخصيات المحتملة منهم.

– ونسألهم عن ماذا؟ فقالت "**فرانكي**" :

– في هذا تكمن الصعوبة. وقال "**بوبي**" :

– نحن نحتاج إلى أن نعرف قدراً أكبر، وعندئذ من الممكن أن تصبح فكرتك ذات فائدة، وما الخطة رقم 3؟

– هذا الرجل المدعو "**باسنجتون فرنش**" لدينا عنه معلومة ملموسة يمكننا العمل بناء عليها. اسمه غير شائع. سوف أسأل والدي عنه، فهو يعرف جميع أسماء عائلات المقاطعة هذه وكافة تفريعاتها. فقال "**بوبي**" :

– نعم، يمكننا أن نفعل شيئا بناء على هذه الخطة.

– وسوف نفعل شيئًا ما في جميع الأحوال؟

– بكل تأكيد، هل تعتقدين أن تدس لي ثماني قمحات من المورفين ولا أفعل إزاء ذلك شيئًا؟ فقالت "**فرانكي**" :

– هذه هي الروح وهذا هو الحماس. فقال "**بوبي**" :

– وفضلا على ذلك هناك خجل إخضاعي لاستخدام مضخة المعدة الذي يتحتم عليّ محوه. فقالت "**فرانكي**" :

– كفى، ستعود إلى الكآبة وسوء الذوق ثانية إذا لم أطلب منك أن تكف. فقال "**بوبي**" :

– ليس لديك حنان نسوي صادق.

الفصل التاسع
بشأن السيد "باسنجتون فرنش"

لم تضع "فرانكي" وقتًا وبدأت العمل على الفور. تحدثت إلى والدها في ذات ذلك المساء. سألته:
– هل تعرف أحدًا باسم "**باسنجتون فرنش**"؟ لم يستوعب اللورد "**مارتشنجتون**" الذي كان منهمكا في قراءة مقال سياسي فحوى السؤال تمامًا. قال بنبرة جد:
– ليسوا الفرنسيين بقدر ما هم الأمريكيون. كل هذه الضجة والمؤتمرات التي يضيعون بها وقت الأمة ومالها... نحّت "**فرانكي**" ذهنها حتى توقف والدها الذي استرسل في الحديث وكأنه قطار سكك حديدية يسير على طريق اعتاده، عند إحدى محطاته.. ردّدت على مسمعه ما كانت قد قالته من قبل:
– أستفسر عن عائلة "**باسنجتون فرنش**". فسأل اللورد "**مارتشنجتون**":
– ماذا عنهم؟ لم تعلم "**فرانكي**" بماذا تستفسر عنهم. لهذا قالت عبارة وهي تعلم جيدًا أن والدها من هواة الاعتراض:
– إنهم ينتمون إلى مقاطعة "**يوركشير**"، أليسوا كذلك؟
– لا، هذا هراء، ينتمون إلى "**هامبشير**"، وهناك أيضًا فرع "**شروبشير**" كما أن هناك المجموعة الأيرلندية منهم. أيهم أصدقاؤك؟ فقالت "**فرانكي**" متقبلة فكرة مصادقة عدد من الشخصيات غير المعروفة:
– لا أعلم يقينًا.
– لا تعلمين يقينًا؟ ماذا تعنين؟ ينبغي لك أن تكوني على علم تام. قالت:
– الناس كثيرو التنقل في هذه الأيام.
– التنقل... التنقل... هذا كل ما يفعلونه تقريبا. في أيامي كنا نسأل الناس. عندئذ كان المرء يعلم أين هو مجرد أن يقول أحدهم إنه ينتمي إلى فرع "**هامبشير**" من العائلة. حسنًا جدًا، تزوجت جدتك بابن عم أبي، وهكذا يحدث التواصل. فقالت "**فرانكي**":
– لابد من أن ذلك كان ممتعًا جدًا، لكن في هذه الأيام لا يتسع الوقت للبحث في سلسلة الأنساب أو في الجغرافيا.
– لا، لا وقت لديكم الآن لأكثر من تناول أنواع الكوكتيل المسممة. تأوه اللورد "**مارتشينجتون**" فجأة متألمًا من ساقه المصابة بالنِّقرس التي لم ينجح تناوله من شراب العائلة في تخفيف آلامها. سألته "**فرانكي**":

– هل هم ميسورو الحال؟

– عائلة "**باسنجتون فرنش**"؟ لا يمكنني القول. مجموعة "**شروبشير**" منهم تعرضوا لظروف قاسية على حد اعتقادي – رسوم وفيات وما إلي ذلك. وفرد في مجموعة "**هامبشير**" تزوج بوريثة امرأة أمريكية. قالت "**فرانكي**" :

– أحدهم كان هنا منذ أيام، يبحث عن منزل على حد اعتقادي.

– فكرة غريبة. بماذا يستفيد أي إنسان من منزل في هذه البقعة؟ رأت "**فرانكي**" أن هذا هو السؤال. دخلت في اليوم التالي مكتب السيدين "**هويلر**" و"**أوين**" الوكيلين العقاريين بالمنطقة. نهض السيد "**أوين**" شخصيًا لاستقبالها. ابتسمت له "**فرانكي**" بأدب واتخذت لها مقعداً.

– وماذا يمكننا أن نسر بفعله من أجلك يا ليدي "**فرانسيس**"؟ لا تريدين بيع القصر على ما أفترض، هاااها! وضحك السيد "**أوين**" على الفكاهة التي قالها، فقالت "**فرانكي**" :

– لا، واقع الأمر أنني أعتقد أن صديقا لي هو السيد "**باسنجتون فرنش**" قد أتى إليكم منذ بضعة أيام بحثًا عن منزل.

– آه، نعم، هذا صحيح، أتذكر اسمه جيداً وكيفية تهجيه. ثم ذكرها، فقالت "**فرانكي**" :

– هذا صحيح.

– استفسر عن عدد من مختلف الأملاك الصغيرة بهدف الشراء، اضطر إلى أن يعود إلى المدينة في اليوم التالي لهذا لم يمكنه معاينة عدد كبير من المنازل، ولكنني فهمت أنه ليس في عجلة من أمره، ومنذ أن رحل ظهر بالسوق عدد من المنازل المناسبة، فبعثت إليه بتفاصيلها ولم أتلق ردًا حتى تاريخه. سألته "**فرانكي**" :

– هل راسلته على عنوانه بـ"**لندن**" أم بالريف؟

– لنرى أولا. ثم نادى على أحد مستخدميه قائلا:

– "**فرانك**" ما عنوان السيد "**باسنجتون فرنش**"؟ فقال المستخدم:

– "**روجر باسنجتون فرنش**"، "**ميرووي كورت، ستافرلي، هانتس**". فقالت "**فرانكي**" :

– ليس هو إذن السيد "**باسنجتون فرنش**" الذي أستفسر عنه. لابد من أنه ابن عمه. رأيت أنه من الغريب أن يأتي إلى هنا ولا يتصل بي. فقال السيد "**أوين**" :

– تمام، تمام.

– لابد من أن يكون قد أتى إليك يوم الأربعاء.

– هذا صحيح، قبل السادسة بقليل؛ لأننا نغلق أبوابنا في تمام السادسة. أتذكر

الموضوع على وجه الخصوص لأنه كان في ذات يوم وقوع ذلك الحادث الأليم. حادث الرجل الذي سقط على الصخرة. ظل السيد "**باسنجتون فرنش**" ملازما للجثة حتى وصل رجال الشرطة، وكان بادي الانفعال عندما أتى إلى هنا. مأساة مؤلمة، وقد حان الوقت لعمل شيء بشأن هذا الجزء من الطريق. تمّ انتقاد مجلس المدينة بحرية تامة بشأن هذا الموضوع، صدقيني يا ليدي "**فرانسيس**"، إنه غاية في الخطورة، لا يمكنني أن أتصور السبب في أنه لم تقع لدينا حوادث أكثر من التي حدثت. فقالت "**فرانكي**":

– أمر غريب. غادرت المكتب في حالة من التفكير العميق. كما قال "**بوبي**" جميع أفعال السيد "**باسنجتون فرنش**" تتسم بالشفافية والوضوح. ينتمي إلى فرع "**هامبشير**" من هذه العائلة، وترك لهذا المكتب عنوانه الفعلي وذكر الدور الذي قام به في تلك المأساة. لدى عودتها إلى البيت حملت دليل هواتف "**مارتشبولت**" من موضعه على المكتب بالمكتبة إلى حجرتها وأخذت تبحث فيه على مدى بضع ساعات، ولم تكن النتيجة مرضية؛ إذ تبين لها أنّ في "**مارتشبولت**" وحدها أربعمائة واثنين وثمانين فرداً ممن يحملون اسم "**إيفانز**". قالت:

– اللعنة! ثم بدأت تضع خططًا للعمل في المستقبل.

الفصل العاشر
الترتيب لحادث

بعد أسبوع من تلك الأحداث كان "**بوبي**" قد انضم إلى "**بادجر**" في "**لندن**". كان قد تلقى من "**فرانكي**" بضعة اتصالات ملغّزة العدد الأكبر فيها بخط يد تتعذر قراءته حتى أنه لم يمكنه سوى أن يخمّن معناه. إلا أنه بدا له أن الفحوى العامة لهذه الاتصالات هي أن "**فرانكي**" قد خططت لشيء ما، وأن "**بوبي**" غير مطلوب منه أن يفعل أي شيء حتى تطلبه منه تحديداً، وكان هذا مناسباً جداً لأن "**بوبي**" لم يصبح لديه أي قدر من وقت الفراغ؛ إذ إن البائس "**بادجر**" كان قد نجح في توريط نفسه ومشروعه بكل وسيلة يمكن للنبوغ أن يقترحها عليه، وبذلك أصبح "**بوبي**" مشغولا تماما بحل المشكلات الناجمة عن عبقرية صاحبه.

ظل "**بوبي**" في تلك الأثناء مبقيًا على حرصه وحذره؛ إذ دفعه ما كان قد عاناه

من آثار الثماني حبات مورفين إلى التشكك في جميع أنواع الطعام والشراب، وإلى حمل مسدس صغير معه طوال الوقت مما سبب له ضيقًا ومللا. كان قد بدأ يشعر بأن الموضوع كله لا يزيد على كونه كابوسًا مزعجًا اضمحل أثره عندما سمع صوت محرك سيارة "**فرانكي**" البنتلي التي ما لبثت أن توقفت أمام الورشة. خرج "**بوبي**" لاستقبالها مرتديًا الأوفرول الملطخ بالزيوت والشحوم. كانت "**فرانكي**" خلف عجلة القيادة وجلس إلى جوارها شاب تبدو عليه الكآبة. قالت:

– أهلا يا "**بوبي**"، أقدم إليك "**جورج أربثنوت**" إنه طبيب، وسوف نحتاج إليه. أجفل "**بوبي**" قليلا وهو يصافح "**جورج**" ويتعرف إليه، ثم سأل:

– هل أنت واثقة بأننا سنحتاج إلى طبيب؟ ألست متشائمة إلى حد ما؟ فقالت "**فرانكي**":

– لم أعنِ أننا سنحتاج إليه للعلاج. أنا سأحتاج إليه عند تنفيذ مخطط توصلت إليه. اسمعني، هل هناك مكان يمكننا أن نتحدث فيه؟ نظر "**بوبي**" من حوله لحظة، ثم قال بنبرة غير واثقة:

– حسنا، حجرة نومي. فقالت "**فرانكي**":

– ممتاز! غادرت السيارة وتبعت هي و"**جورج أربثنوت**" "**بوبي**" على الدرج ومنه إلى حجرة صغيرة جدًا. قال "**بوبي**":

– إني أتساءل عما إذا كان هناك شيء تجلسان عليه. ولم يكن هناك أي شيء فالمقعد الوحيد الموجود بالحجرة كان محملا بجميع ما يمتلك "**بوبي**" من الأمتعة. قالت "**فرانكي**":

– الفراش يفي بالغرض. وجلست عليه وحذا الطبيب حذوها وعلا أنين السرير اعتراضا. قالت "**فرانكي**":

– لقد وضعت خطة متكاملة. بادئ ذي بدء نحن نحتاج إلى سيارة. إحدى سياراتكما تفي بالغرض.

– هل ما تعنينه هو أن تشتري منا سيارة؟

– نعم. فقال "**بوبي**" بنبرة مفعمة بحرارة التقدير:

– هذا جميل منك يا "**فرانكي**"، لكن ليس ثمة ما يدعوك إلى ذلك، لي تحفُّظ على توريط أصدقائي في صفقات كهذه. فقالت "**فرانكي**":

– لقد أخطأت فهمي. الأمر ليس على هذا الوجه إطلاقًا. أفهم ما تعنيه. تعتبرني كمن يشتري ملابس وقبعات غير قابلة للاستعمال؛ لتشجيع أصدقاء على

مواصلة العمل بمشروع جديد. عمل غير منطقي لكن ينبغي الإقدام عليه، ولكن الأمر بالنسبة إليّ ليس هكذا إطلاقًا. أنا أحتاج بشدة إلى إحدى هذه السيارات.

– وماذا عن سيارتك البنتلي؟

– لا تفي بالغرض الذي أنا بصدده. فقال "**بوبي**" :

– لقد فقدت صوابك.

– لا، لم أفقده. البنتلي غير مجدية للغرض الذي أطلب سيارة من أجله؛ لأن السيارة سوف تتحطم. زمجر "**بوبي**" رافعًا يدًا إلى جبينه:

– لا أبدو بحالتي الطبيعية هذا الصباح. وهنا تحدث "**جورج أربثنوت**" للمرة الأولى وجاء صوته عميقًا مشوبًا بالكآبة:

– تعني أن حادثًا سوف يقع لها. سألها "**بوبي**" بشغف:

– وكيف علمت ذلك؟ تنهدت "**فرانكي**" بإحباط قائلة:

– بطريقة أو بأخرى يبدو أننا قد بدأنا بدءًا خطأ، والآن أصغ إليّ بهدوء يا"**بوبي**" ، وحاول أن تستوعب ما سوف أقوله، أعلم أن ذهنك مشغول بأمور أخرى لكن من الممكن أن تفهم جيدًا لو أنك حاولت التركيز. توقفت عن الحديث قليلا، ثم استطردت قائلة:

– إنني أقتفي أثر "**باسنجتون فرنش**".

– ماذا، ماذا؟

– "**باسنجتون فرنش**". "**باسنجتون فرنش**" المعني يعيش في "**ميرووي كورت**" بقرية "**ستافرلي**" في "**هامبشير**". "**ميرووي كورت**" ملكية خاصة لشقيق "**باسنجتون فرنش**"، و"**باسنجتون فرنش**" المعني يعيش هناك مع شقيقه وزوجته.

– زوجة من؟

– زوجة شقيقه بالتأكيد، وليس هذا هو الموضوع. الموضوع هو كيف يمكنك أو يمكنني أو يمكن كلينا التسلل إلى هذا البيت. ذهبت إلى المنطقة ودرست الموقع. "**ستافرلي**" مجرد قرية والغرباء الذين يقصدونها للإقامة بها يقيمون على بعد كيلومترين من هذا المنزل وهذا لن يجدي معنا. لهذا وضعت خطة كالآتي: الليدي "**فرانسيس**" بينما كانت تقود سيارتها بلا مبالاة تصطدم بالجدار القريب من بوابة "**ميرووي كورت**"، والنتيجة حطام كامل للسيارة وحطام أقل لليدي "**فرانسيس**" التي يتم حملها إلى داخل المنزل معانية ارتجاجًا مخيًا وصدمة مع

تأكيد على عدم وجوب نقلها من هناك.

– من الذي يأمر بذلك؟

– "**جورج**". ترى الآن أين يأتي دور "**جورج**". لا يمكننا المخاطرة باستدعاء طبيب آخر يقدّر أن لا إصابة بي أو حتى ينقلني بأقصى عناية إلى مستشفى ما. ما يجب أن يتم هو الآتي: يتصادف مرور "**جورج**" بسيارته (من الأفضل أن تبيعنا سيارة ثانية) ويرى الحادث فيغادر سيارته مسرعًا ويتولى الإشراف الطبي ويقول: أنا طبيب، ليرفع الجميع أيديهم عن المصابة (هذا إذا تصادف وجود أحد في موقع الحادث) ينبغي لنا أن ننقلها إلى هذا المنزل. ما هو؟ "**ميرووي كورت**"؟ لا بأس، ينبغي أن تتاح لي فرصة إجراء فحص شامل، وبذلك يتم حملي إلى أفضل حجرة احتياطية، وآل "**باسنجتون فرنش**" إما متعاطفون معي وإما رافضون لوجودي معهم ولكن "**جورج**" سوف يحتملهم في جميع الظروف. يجري "**جورج**" الفحص اللازم، ثم يخرج بقراره أنه لدواعي حسن الحظ أن الحالة ليست بالخطورة التي كان يتصورها، فلا كسور وإن كان هناك احتمال حدوث ارتجاج مخيّ، ولا ينبغي تحت أي ظرف أن يسمح بنقلي إلى مكان آخر أو حتى بالحركة العادية لمدة يومين أو ثلاثة أيام، وبعد ذلك يمكنني العودة إلى "**لندن**". ينصرف "**جورج**" بعد ذلك وأصبح المسؤولة عن الاندماج مع الأسرة.

– وما دوري في كل ذلك؟

– لا دور لك.

– لكن اسمعيني...

– يا صديقي العزيز، تذكر جيداً أن "**باسنجتون فرنش**" يعرفك بينما هو لا يستطيع أن يفرق بيني وبين أبينا" آدم". كما أنني في موقف قوي للغاية لأني أحمل لقبا وأنت تعلم مدى أهمية ذلك، فأنا لست مجرد فتاة شريرة أو مستهترة تدخل المنزل لأهداف خفية. أنا ابنة "إيرل" وبالتالي على درجة كبيرة من الاحترام، و"**جورج**" أيضًا طبيب فعلي وكل شيء يخصنا فوق مستوى الشبهات. فقال "**بوبي**" بنبرة شابها عدم الرضا:

– آه! أعتقد أن كل شيء على خير ما يرام. فقالت "**فرانكي**" بنبرة كبرياء:

– أرى أنها خطة محكمة تماما. فسأل "**بوبي**":

– ولا دور لي فيها إطلاقًا؟ لا أفعل أي شيء؟ أحس بأنه جريح المشاعر مثل كلب حرم على غير المتوقع من عظمة كانت بفمه؛ ذلك لأنه كان يعتبر تلك الجريمة

ذات صلة بشخصه واستُبعد منها الآن.

– تفعل شيئًا ما بالتأكيد. تربِّي شاربك يا عزيزي.

– أربِّي شاربي؟! هل تعنين ما تقولين؟

– نعم، كم من الزمن يستغرق هذا؟

– أسبوعين أو ثلاثة...

– يا إلهي! لم أعتقد قط أنها عملية بطيئة إلى هذا الحد، ألا يمكنك الإسراع بها؟

– نعم، لماذا لا أستخدم شاربًا مستعارًا؟

– لأن مثل هذه الشوارب تبدو دائمًا مستعارة وتتلوى أو تسقط أو تفوح منها رائحة المادة اللاصقة. انتظر لحظة. مع ذلك أعتقد أن هناك نوعية منها يجري لصقها شعرة شعرة بحيث تتحدى أية محاولة لاكتشافها. أرى أن معدَّ الشعر المستعار للمسرح من الممكن أن يفعل لك ما يلزم.

– ربما يظن أنني متهرب من العدالة.

– لا أهمية لما قد يظنه.

– وعندما أُصبح ذا شارب ماذا عساي أن أفعل؟

– ترتدي زي سائق سيارة وتقود البنتلي إلى "**ستافرلي**".

– آه، فهمت. وأشرق وجهه سعادة، فقالت "**فرانكي**":

– فكرتي في ذلك أن أحدًا لا يتأمل وجه السائق كما يتأملون وجه الشخص العادي، وعلى أية حال لم يرك "**باسنجتون فرنش**" إلا لبضع دقائق ولابد من أنه كان مضطربًا جدًا، قلقًا بشأن ما إذا كان يمكنه استبدال الصورة في وقت مناسب، بحيث لا يمكن أن يكون قد تأمل وجهك جيدًا. لم تكن بالنسبة إليه سوى صبي يلعب الجولف. لم يكن مثل الزوجين "**كييمان**" اللذين جلسا في مواجهتك وتحدثا إليك متعمدين سبر أغوارك. إنني على استعداد لأن أراهن بأي شيء على أن "**باسنجتون فرنش**" لن يمكنه التعرف إليك حتى وأنت بلا شارب. ربما يظن أن وجهك يذكِّره بإنسان ما – ولا شيء أكثر من هذا، ومع استخدام الشارب يكتمل الأمان، والآن أخبرني ما رأيك في هذه الخطة؟ قلَّب "**بوبي**" الموضوع بذهنه بعناية، ثم قال:

– أقول لك الحق يا "**فرانكي**"، أرى أنها جيدة جدًّا. فقالت "**فرانكي**":

– والحال كذلك، لنذهب ونشتري السيارات. لعلمك الخاص أعتقد أن "**جورج**" قد حطَّم لك الفراش. فقال "**بوبي**" بنبرة مرحة:

– لا بأس في ذلك، لم يكن قط فراشًا بالمعنى المعروف. توجهوا معًا إلى الورشة حيث حيَّاهم شاب متوتر الملامح لا ذقن له بضحكة غريبة "هاو هاو هاو"! شوّه مظهره العام ميل عينيه بإصرار إلى عدم النظر في ذات الاتجاه. قال "**بوبي**" :

– أهلا يا "**بادجر**" تتذكر "**فرانكي**"، أليس كذلك؟ وبدا واضحا أن "**بادجر**" لم يكن يتذكرها. قال ثانية وبأسلوب ودي:

– هاو هاو هاو! فقالت "**فرانكي**" :

– آخر مرة رأيتك فيها كنت غائصًا برأسك في الطين مما اضطررنا معه إلى جذبك إلى خارجه من ساقيك. فقال "**بادجر**" :

– لا! صحيح؟ ماذا؟ لابد من أن ذلك كان في ويـ ..ويـ .. "**ويلز**". فقالت "**فرانكي**" :

– نعم، كان هناك. وقال "**بادجر**" :

– كنت دائمًا راكب خيل سيىء، وقال "**بوبي**" :

– تريد "**فرانكي**" أن تشتري منَّا سيارة. فقالت "**فرانكي**" :

– سيارتين، لابد من أن تكون لـ"**جورج**" أيضًا سيارة؛ لأن سيارته قد أضيرت حاليًّا في حادث تصادم. فقال "**بوبي**" :

– يمكننا أن نؤجر له سيارة. فقال "**بادجر**" :

– حسنا، تفضلا بمعاينة ما لدينا. فقالت "**فرانكي**" :

– تبدو جيدة؛ إذ راقتها ألوانها الزاهية من البنفسجي والأخضر التفاحي . فقال "**بوبي**" محذِّرًا:

– لا بأس بها من حيث المظهر. وقال "**بادجر**" :

– أرشح لكما هذه السيارة الـ"كريزلر" . فقال "**بوبي**" :

– أيًّا كان ما تشتريه ينبغي أن يكون قادرًا على قطع مسافة لا تقل عن ستين كيلومترًا على الأقل. ألقى "**بادجر**" نظرة عاتبة إلى صديقه الذي قال متأملا:

– تلك السيارة الـ"ستاندرد" تكاد تحتضر، ولكنني أعتقد أنها من الممكن أن تصل إلى الموقع المطلوب، وهذه الـ"إسيكس" تزيد على المطلوب بكثير؛ إذ يمكنها أن تقطع مسافة مترين قبل أن يتوقف محركها تمامًا. قالت "**فرانكي**" :

– حسنا، سأشتري الـ"ستاندرد" . انتحى "**بادجر**" بصديقه جانبًا حيث قال متمتمًا:

– ما رأيك في الثمن الذي نعرضه؟ لا أريد أن أورِّط صديقتك في مبلغ كبير،

هل عشرة جنيهات سعر مناسب؟ اشتركت "فرانكي" في الحديث قائلة:

– مبلغ عشرة جنيهات سعر مناسب جداً، وسادفعه الآن. سأل "بادجر" بصوت هامس مسموع:

– من تكون صديقتك هذه بحق؟ وأجابه "بوبي" همساً، فقال بنبرة احترام:

– هذه هي المرة الأولى التي ألتقي فيها بإنسان يحمل لقبا ويمكنه دفع الثمن نقداً. تبع "بوبي" الاثنين الآخرين إلى الـ"بنتلي" حيث سأل:

– متى تتم هذه العملية؟ وأجابته "فرانكي":

– خير البر عاجله. رأينا أن بعد ظهر غد يكون مناسباً.

– اسمعيني، ألا يمكنني أن أكون هناك؟ أنا على استعداد لارتداء لحية مستعارة لو طلبت مني ذلك. فقالت "فرانكي":

– كلاً، بكل تأكيد، فقد تدمر اللحية كل شيء إذا سقطت عن وجهك في لحظة غير مواتية، ولكنني لا أرى سبباً لئلا تركب دراجة بخارية وترتدي القلنسوة ومنظار الوقاية وكل هذه الأشياء. ما رأيك في ذلك يا "جورج"؟ وتحدث "جورج" للمرة الثانية، وكان صوته أكثر كآبة من ذي قبل:

– لا بأس، وكلما ارتدى أشياء أكثر كان مظهره أكثر مرحاً.

الفصل الحادي عشر
الحادث يقع

كان لقاء مجموعة الحادث العظيم محدَّداً له موقع يبعد بمقدار حوالي كيلومترين من قرية "ستافرلي" حيث كان الطريق إليه يتفرع من الطريق الرئيسي المؤدي إلى "أندوفر". وصل الأفراد الثلاثة جميعاً بأمان إلى هناك بعدما أظهرت السيارة الـ"ستاندرد" جميع علامات الانهيار عند كل مطلع على الطريق، وكان الزمن المحدَّد هو الواحدة بعد الظهر. قالت "فرانكي":

– لا نريد أن يكون هناك مقاطعة، أو إزعاج لنا ونحن نعد للحادث المنتظر. من النادر أن يرتاد أي شيء هذا الطريق على حد تصوري، لكن وهذه ساعة الغداء ينبغي أن نؤمّن الظروف تماماً. تقدموا بمقدار ثماني مئة متر على الطريق الجانبي. ثم أشارت "فرانكي" لهما إلى المكان الذي اختارته لأن يقع الحادث فيه. قالت:

– هذا أفضل مكان في تقديري. طريق مستقيم إلى أسفل هذا التل، ثم ينعطف

الطريق فجأة وبشدة حول هذا الجزء الناتئ من الجدار، وهذا الجدار هو جدار "ميرووي كورت" بالفعل. إذا قمنا بتشغيل محرك السيارة وتركناها تنحدر إلى أسفل التل فسوف تصطدم بالجدار على الفور ويصيبها عطب جسيم. قال "بوبي" متفقًا معها في الرأي:

– هذا مؤكد، إلا أن أحداً يجب أن يتواجد عند الزاوية حتى يتأكد أن لا أحد قادم إليها من الاتجاه المضاد. فقالت "فرانكي":

– أصبت القول، فلا نريد أن نورط معنا أحداً في حادث قد يرتب له عاهة مستديمة. يمكن لـ"جورج" أن يقود سيارته إلى هناك، ويغير اتجاهها كما لو كان قادماً من الاتجاه الآخر، ثم عندما يلوِّح لنا بمنديل نفهم أن الطريق أمامنا خالٍ. قال "بوبي" بنبرة انزعاج:

– تبدين شاحبة الوجه جدًّا يا "فرانكي"، هل أنت واثقة بأنك بخير؟ فقالت موضحة:

– هذا الشحوب ماكياج. استعداداً للارتجاج المخي. لا ينبغي لي أن أُحمل إلى داخل هذا البيت ووجهي متورِّد بتمام الصحة والعافية. فقال "بوبي" متعجباً:

– كم أن النساء مذهلات! إنك تبدين مثل قردة مريضة جدًّا. وأجابته "فرانكي":

– وأرى أنك وقح جدًّا، والآن أذهب أنا وأنتظر عند بوابة "ميرووي كورت" وهي على هذا الجانب من النتوء، ولا مأوى هناك لحسن الحظ، وعندما يلوِّح "جورج" بمنديله وألوِّح أنا بمنديلي قوموا بتشغيل محركها واتركوها تنحدر. فقال "بوبي":

– نعم، وسأبقى أنا على لوحة التوجيه لتحديد اتجاه مسارها حتى تكتسب سرعة كبيرة، ثم أقفز إلى خارجها. فقالت "فرانكي":

– احذر من أن تصاب بأذى.

– سأكون حذراً بما يكفي؛ لأن حادثًا حقيقيًّا يسفر عن إصابتي في موقع الحادث الزائف المفتعل سيسبب لنا تعقيدات نحن في غنى عنها. أومأ "جورج"، ثم قفز إلى السيارة الثانية وقادها ببطء شديد إلى أسفل التل بينما وقف "بوبي" و"فرانكي" يراقبانه. قال "بوبي" بنبرة جشّاء على نحو مفاجئ:

– سوف تعتنين بنفسك جيدا يا "فرانكي"، أليس كذلك؟ أعني أرجو ألا تندفعي فتتورطي في حماقة ما.

– سأكون على خير ما يرام. أشكرك على اهتمامك، وبالمناسبة أرى أنه من

الأفضل ألا أكتب إليك رسائل. سأكتب إلى "جورج" أو إلى خادمتي أو إلى أي إنسان آخر يمكنه أن يحمل إليك رسائلي.

– أتساءل عما إذا كان "جورج" سوف ينجح في مهمته.

– ولماذا لا ينجح؟

– يبدو أنه لم يكتسب بعد خبرة التحدث إلى المرضى وذويهم. فقالت "فرانكي":

– سوف يأتي هذا بطبيعة الحال. من الأفضل أن أذهب الآن. سوف أخبرك متى أريدك أن تأتي إلى هنا بالـ"بنتلي".

– وسوف أشغل وقتي بموضوع الشارب.، إلى اللقاء يا "فرانكي". ظل ينظر كلٌ منهما إلى الآخر لحظة، ثم أومأت إليه "فرانكي" وبدأت السير إلى أسفل التل. كان "جورج" قد حوَّل اتجاه السيارة، ثم عاد بها إلى الخلف حول النتوء. اختفت "فرانكي" لحظة، ثم عادت إلى الظهور على الطريق ملوّحة بمنديلها. رفرف منديل آخر من قاعدة الطريق عند المنعطف.

قام "بوبي" بتعشيق السيارة عند النقلة الثالثة، ثم ولم يزل واقفًا عند موطئ السيارة أنزل ذراع فرامل اليد، فانطلقت السيارة إلى الأمام ولم يعق حركتها سوى التعشيق. إلا أن المنحدر كان كافيا لتشغيل المحرِّك. اكتسبت السيارة سرعة فضبط "بوبي" عجلة القيادة على الاتجاه المطلوب، وفي آخر لحظة ممكنة قفز إلى خارجها. انحدرت السيارة إلى أسفل التل، وارتطمت بالجدار بقوة هائلة. جرى كل شيء على خير ما يرام ووقع الحادث بنجاح تام.

شاهد "بوبي" "فرانكي" وهي تسرع عدواً إلى موقع الحادث وتستلقي وسط الحطام. تقدم "جورج" بسيارته نحو الزاوية وتوقف. تنهد "بوبي" مستقلا دراجته البخارية ومنطلقًا في اتجاه "لندن". كثر الركام في مسرح الحادث. سألت "فرانكي":

– هل أتمرغ على الطريق قليلا حتى يلحق بي قدر من الغبار؟ فقال "جورج":

– لا بأس بذلك، لكن أعطني قبعتك أولا. أخذ القبعة وأحدث بها تبعجا غائراً فأطلقت "فرانكي" صيحة أسى خافتة. قال "جورج" موضحاً:

– هذا هو الارتجاج المخي، والآن استلقى مختبئة في الموضع الذي أنت به تمامًا، أعتقد أنني سمعت ناقوس دراجة. وبكل تأكيد ظهر في تلك اللحظة غلام في حوالي السابعة عشرة يصفِّر عند الزاوية. توقف على الفور مسروراً بالمشهد السعيد

الذي التقت به عيناه. قال مبتهجاً:

– أووه! هل وقع حادث؟ فقال "**جورج**" متهكماً:

– لا، اصطدمت هذه الفتاة بسيارتها بالجدار عمداً. تقبل الغلام هذه العبارة على أنها سخرية لا واقعاً، كما كان متوقعاً منه وقال بنبرة استمتاع:

– تبدو بحالة سيئة، أليس كذلك؟ هل ماتت؟ فقال "جورج" :

– ليس بعد، ينبغي أن تنقل إلى مكان ما على الفور، أنا طبيب. ما هذا المكان القريب من هنا؟

– "**ميروري كورت**". يمتلكه السيد "**باسنجتون فرنش**". إنه قاضي صلح. فقال "**جورج**" بنبرة آمرة:

– ينبغي أن تنقل إلى هناك على الفور، اترك دراجتك وساعدني. أسند الغلام دراجته إلى الجدار وأتى ليساعد الطبيب. بكل ترحيب حمل "**جورج**" والغلام فيما بينهما "**فرانكي**" على الممر المؤدي إلى قصر مالك العزبة الجميل العتيق الطراز. لوحظ قدومهم على الفور لأن كبير خدم عجوز خرج للقائهم. بادره "**جورج**" بقوله باقتضاب:

– لقد وقع حادث على الطريق، هل يوجد لديكم حجرة يمكنني أن أنقل هذه الفتاة إليها؟ ينبغي لها أن تتلقى العناية الواجبة فورا. عاد كبير الخدم إلى الرواق مضطربا، و"**جورج**" والغلام بعقبه حاملين جسد "**فرانكي**" الواهن. كان كبير الخدم قد دخل حجرة إلى اليسار خرجت منها الآن سيدة طويلة القامة حمراء الشعر في حوالي الثلاثين من العمر. كانت عيناها بلون أزرق صاف باهت. تعاملت مع الموقف بالسرعة الواجبة. قالت:

– توجد حجرة نوم احتياطية بالطابق الأرضي، هلاّ أتيتما بها إلى هناك؟هل أتصل هاتفيًا بطبيب؟ فقال "**جورج**" :

– أنا طبيب تصادف مروري في اللحظة التي وقع فيها الحادث.

– آه! كم أن هذا من دواعي حسن الحظ! من هنا من فضلك. وتقدمتهما إلى حجرة نوم مريحة ذات نوافذ تطل على الحديقة، ثم سألت:

– هل إصابتها خطيرة؟

– لا أعرف بعد. فهمت السيدة "**باسنجتون فرنش**" ما أوحى الطبيب به وغادرت الحجرة. رافقها الغلام وأخذ يصف لها تفاصيل الحادث كما لو كان شاهداً فعليًّا له. قال:

– اندفعت إلى الجدار مباشرة، تحطمت السيارة تمامًا واستلقت هي على الأرض وقبعتها متبعجة تمامًا، وكان هذا الرجل يمر بسيارته. وظل يقول ويكرر حتى صرفته السيدة بقطعة نقود صغيرة. كان "**جورج**" و"**فرانكي**" في تلك الأثناء يتبادلان الحديث همسًا:

– "**جورج**" حبيبي، أرجو ألا يؤثر هذا في عملك بأي شكل كان، من غير المتوقع أن يقوموا بشطب اسمك من سجل الأطباء الممارسين، أليس كذلك؟ فقال:

– ربما يفعلون ذلك لو عُرف ما حدث. فقالت:

– لا، لن يعرف أحد عنه شيئًا، لا تقلق يا "**جورج**"، فلن أخذلك أبدًا. ثم أضافت من قبيل الامتنان:

– لقد قمت بعملك على خير وجه، لم أسمعك تقول كل هذا الذي قلته من قبل. تنهد "**جورج**"، ثم نظر إلى ساعة يده قائلا:

– سأواصل الفحص على مدى ثلاث دقائق أخرى.

– وماذا سنفعل بشأن السيارة؟

– سأرتب مع إحدى الورش لسحبها من هناك.

– حسنًا جدًا. ظل "**جورج**" ينظر إلى الساعة، ثم قال أخيرًا بنبرة ارتياح:

– حان الوقت. فقالت "**فرانكي**":

– كنت ملاكًا، لا أدري لماذا تعاونت معي إلى هذا الحد. فقال "**جورج**":

– ولا أنا، عمل أحمق. ثم أومأ إليها قائلا:

– إلى لقاء، استمتعي بوقتك. فقالت "**فرانكي**":

– إنني أتساءل عما إذا كنت سأستمتع به. اتجه تفكيرها إلى ذلك الصوت الفاتر غير المعبر ذي النبرة الأمريكية الطفيفة. خرج "**جورج**" بحثًا عن صاحبة ذلك الصوت، فوجدها تنتظره بحجرة الاستقبال. قال على الفور:

– يسعدني القول إن الحالة ليست بالخطورة التي كنت أخشاها. الارتجاج المخيّ طفيف وفي سبيله إلى الزوال. يجب أن تبقى في هدوء تام حيث هي مدة يوم أو يومين. صمت قليلا ثم قال:

– يبدو أنها الليدي "**فرانسيس ديروينت**".

– آه، كم أن هذا جميل! أعرف إذن بعضًا من أبناء خالاتها جيدًا، آل "**دريكوت**"! قال "**جورج**":

– أتساءل عما إذا كان وجودها هنا يسبب لكم أية مضايقات، لكن إن أمكن أن

تبقى حيث هي مدة يوم أو يومين. . . وتوقف "**جورج**" عن الحديث عند هذا الحد.

– آه، بكل تأكيد، لا بأس في ذلك إطلاقًا يا دكتور. . .

– "**أربثنوت**"، وللعلم سوف أهتم بأمر السيارة. سوف أمر في طريق عودتي على إحدى الورش لسحبها.

– شكرًا جزيلا يا دكتور "**أربثنوت**"، كم أن الحظ قد حالفها بتصادف مرورك هنا! أعتقد أن طبيبًا ينبغي أن يراها غدًا ليتأكد أن حالتها آخذة في التحسن. فقال "**جورج**":

– لا أعتقد أنها تحتاج إلى ذلك، فكل ما تحتاجه الآن هو الهدوء.

– لكن ذلك يجعلني أكثر اطمئنانا عليها، كما ينبغي إبلاغ أقاربها. فقال "**جورج**":

– سوف أهتم أنا بذلك. أما بالنسبة إلى استدعاء طبيب – فيبدو أنها مؤمنة بالعلم النصراني، ولن ترحب بالأطباء بأي ثمن كان، ولم تكن مسرورة جداً برعايتي لها طبيًا. فقالت السيدة "**باسنجتون فرنش**" متعجبة:

– يا إلهي! وقال الدكتور "**جورج**" مؤكدًا:

– ولكنها ستكون على خير ما يرام، أؤكد لك هذا. فقالت السيدة "**باسنجتون فرنش**" بقدر من التشكك:

– طالما تعتقد ذلك فلا بأس. فقال الطبيب:

– أنا واثق به، إلى اللقاء، يا إلهي، لقد نسيت إحدى أدواتي بالحجرة. وعاد مسرعًا إلى الحجرة وإلى جوار الفراش؛ ليقول هامسًا بسرعة:

– "**فرانكي**" أنت من المؤمنين بالعلم النصراني، لا تنسي ذلك.

– لكن لماذا؟

– اضطررت إلى أن أقول ذلك، كان السبيل الوحيد أمامي. فقالت "**فرانكي**":

– لا بأس، ولن أنسى.

الفصل الثاني عشر
في معسكر الأعداء

قالت "**فرانكي**" محدثة نفسها: "حسنا، هأنا قد وصلت بسلام إلى معسكر الأعداء، وأصبح الأمر كله بيدي". كان هناك قرع خفيف على الباب قبل أن

تدخل السيدة "**باسنجتون فرنش**". رفعت "**فرانكي**" نفسها بقدر طفيف فوق وسائدها. قالت بصوت واهن:

- إنني في غاية الأسف على كل ما سبَّبته لكم من إزعاج. وأجابتها السيدة "**باسنجتون فرنش**":

- لا إزعاج إطلاقًا. فسمعت "**فرانكي**" مجددًا ذلك الصوت المتشدق الجذاب الفاتر ذا النبرة الأمريكية الخفيفة وتذكرت ما كان اللورد "**مارتشنجتون**" قد قاله لها بأن أحد أفراد عائلة "**باسنجتون فرنش**" المنتمين إلى فرع "**هامبشير**" قد تزوج بوريثة أمريكية. استطردت السيدة تقول:

- ذكر الدكتور "**أربثنوت**" أنك ستتعافين بعد يوم أو اثنين إذا لزمت الهدوء التام. أحست "**فرانكي**" بانه لابد لها - عند هذه النقطة - من أن تقول شيئا عن "الخطإ" أو عن "العقل البشري"، ولكنها خشيت من أن تقول شيئًا غير مقبول؛ لهذا قالت:

- يبدو ظريفًا، كان في غاية الكرم معي. وأجابتها السيدة "**باسنجتون فرنش**" بقولها:

- يبدو أنه شاب كفء، لحسن الحظ أنه تصادف مروره بالمكان في تلك اللحظة.

- نعم، أليس هذا صحيحا؟ ولا يعني هذا أنني كنت أحتاج إلى رعايته لي.

فاستطردت المضيفة قائلة:

- لكن لا ينبغي لك أن تتكلمي، سوف أبعث إليك بخادمتي ومعها بعض اللوازم لك، ثم يمكنها معاونتك، على أن تكوني بالفراش كما ينبغي.

- هذا كرم بالغ منك.

- عفواً. أحست "**فرانكي**" بغثيان لحظة بعدما غادرت السيدة الحجرة. قالت محدثة نفسها: "مخلوقة ظريفة عطوفة وغير مرتابة إلى درجة جميلة". أحست للمرة الأولى أنها تمارس على مضيفتها حيلة وضيعة. كان ذهنها مشغولا بصورة "**باسنجتون فرنش**" القاتل وهو يدفع بالضحية المطمئن إلى الهوّة بحيث لم يدخل خيالها أي من الشخصيات الأقل أهمية في تلك الأحداث. قالت محدثة نفسها: "حسنا ،ينبغي لي أن أتعامل مع هذا الوضع الآن، وإن كنت أتمنى لو أنها لم تكن ظريفة معي إلى هذا الحد". قضت فترة ما بعد الظهيرة والمساء راقدة في الحجرة التي تم إظلامها بقدر الإمكان. أطلت السيدة "**باسنجتون فرنش**" عليها بضع مرات ولكنها لم تمكث معها.

وفي اليوم التالي تقبلت "**فرانكي**" ضوء النهار، وأعربت عن رغبتها في صحبة، فأتت مضيفتها وجلست معها فترة من الزمن. اكتشفتا معا عددا من المعارف والأصدقاء المشتركين، وبنهاية ذلك اليوم أحست "**فرانكي**"، مع تأنيب الضمير، أنهما قد أصبحتا صديقتين. أشارت السيدة "**باسنجتون فرنش**" بضع مرات إلى زوجها وإلى ابنها "**تومي**". بدت امرأة بسيطة شديدة الارتباط ببيتها، ومع ذلك تخيلت "**فرانكي**" أنها - لسبب أو لآخر - ليست سعيدة جداً في حياتها. كانت في عينيها تعبيرات قلق في بعض الأحيان، لا تستقيم مع ذهن متمتع بسلام مع نفسه.

غادرت "**فرانكي**" الفراش في اليوم الثالث وتعرفت إلى رب البيت وكان كبير الحجم، قوي الملامح بادي العطف، وإن كان شارد الذهن إلى حد ما. بدا أنه كان يقضي الوقت الأكبر من وقته بمفرده بحجرة مكتبه، وإن كانت "**فرانكي**" قد رأت أنه شديد الولع بزوجته على الرغم من عدم اهتمامه الكبير بصحبتها. أما "**تومي**" ذلك الولد الصغير فكان في السابعة من العمر بادي الصحة مشاغباً إلى حد ما. كان واضحاً أن "**سيلفيا باسنجتون فرنش**" تحبه حباً جماً. قالت "**فرانكي**" متنهدة:

- كل شيء ظريف هنا. كانت مستلقية فوق مقعد طويل بالحديقة، وأردفت:

- لا أدري ما إذا كان بسبب ارتطام رأسي أو ماذا غير ذلك لا أشعر برغبة في أن أتحرك، وأود لو أنه يمكنني أن أستلقي هنا أياماً وأياماً. فقالت "**سيلفيا باسنجتون فرنش**" بنبرتها الهادئة الغافلة:

- ابقي معنا إذن، أعني هذا بحق ولا تتعجلي العودة إلى المدينة، تعلمين، إنني سعيدة جداً ببقائك معنا، أنت ذكية ومسلية جداً، وصحبتك تبهجني. لاح بذهن "**فرانكي**" أنها تحتاج إلى شيء يبهجها، وأحست في ذات الوقت بالخجل من نفسها. استطردت المرأة الأخرى تقول:

- أشعر بأننا قد أصبحنا صديقتين حميمتين. فأحست "**فرانكي**" بمزيد من الخجل. لعبة وضيعة تلك التي كانت تمارسها. وضيعة ووضيعة جداً. ليتها تكف عنها، وتعود إلى المدينة على الفور! واستطردت المضيفة تقول:

- لن يكون الجو مملاً جداً هنا، سيعود شقيق زوجي غداً، سوف تعجبين به، أنا واثقة بذلك فالجميع يحبون صحبته.

- يعيش معكم؟

– على نحو غير دائم، فهو من النوعية القلقة، يصف نفسه بأنه الشخص العديم النفع بالعائلة، وربما يكون مصيبا في ذلك إلى حد ما، لا يعمِّر طويلا في أي عمل يلتحق به، واقع الأمر أنني لا أرى أنه قد قام بأي عمل حقيقي طوال حياته، ولكن بعض الناس هكذا، وبخاصة في العائلات العريقة، وعادة ما يتمتعون بسحر خاص في أسلوب تعاملهم مع الآخرين، و"روجر" عطوف إلى حد كبير، لا أدري ماذا كنت سأفعل دونه عندما مرض "تومي" في الربيع الماضي؟

– ما الذي أصاب "تومي"؟

– سقط من فوق الأرجوحة على ارتفاع كبير. لابد من أنها كانت مثبتة بفرع ضعيف من الشجرة وانهار هذا الفرع. تأثر "روجر" معنويًا بهذا الحادث؛ لأنه هو الذي كان يؤرجح الصبي في تلك اللحظة – كما تعلمين – كان يدفع الأرجوحة إلى أعلى بالطريقة التي يحبها الأطفال. ظننا في بادئ الأمر أن العمود الفقاري قد تأثر بالسقطة، لكن اتضح أن الإصابة كانت طفيفة جدًا وأصبح الآن على خير مايرام. فقالت "فرانكي" مبتسمة؛ إذ ترامت إليهما صيحات ابتهاج خافتة عن بعد:

– هذا واضح بالتأكيد.

– أعلم، فهو يبدو بحالة ممتازة، وهذا يشعرني بالارتياح، فقد كان سيىء الحظ في الحوادث، كاد أن يغرق في فصل الشتاء الماضي. قالت "فرانكي" دهشة:

– حقيقة؟ لم تفكر "فرانكي" بعد الآن في العودة إلى المدينة؛ إذ انخفض لديها منسوب الإحساس بالذنب. الحوادث! تساءلت: هل كان "**روجر باسنجتون فرنش**" متخصصًا في الحوادث؟ قالت:

– إذا كنت واثقة بأنك تعنين ما قلت، فأنا أحب أن أبقى هنا مدة أطول قليلا، لكن ألا يضايق زوجك أن أطيل الإقامة هنا؟ تلوّت شفتا السيدة "**باسنجتون فرنش**" في تعبير غريب وهي تقول:

– "هنري"؟ لا، "هنري" لن يضايقه ذلك، "هنري" لا يهتم بأي شيء في هذه الأيام. رمقتها "فرانكي" بنظرات الفضول محدثة نفسها: "لو كانت تعرفني بدرجة أكبر لكانت قد أخبرتني بشيء ما. أرى أن أشياء غريبة كثيرة تحدث في هذا البيت". انضم إليهما "**هنري باسنجتون فرنش**" وقت تناول الشاي وأخذت "فرانكي" تتأمله عن قرب. من المؤكد أن شيئا ما غريب بشأنه. كان نموذجا واضحًا لأحد أعيان الريف البسطاء الرياضيين المرحين، لكن لا ينبغي لمثله أن

يجلس متململا في حالة من التوتر الشديد الموشك على الانفجار، ثم تنتابه نوبة من الشرود الذهني يستحيل إفاقته منها، يلي ذلك ما ينطق به من إجابات ساخرة تهكمية عن أي شيء يقال له، ولا يعني هذا أن هذه هي حالته على الدوام؛ لأنه في وقت لاحق من ذات المساء، وهم إلى مائدة العشاء، بدا بحالة مختلفة تماماً. كان يمزح ويضحك ويروي القصص، فبدا بالمقارنة بقدراته ذكيًّا إلى حد كبير، بل وأحست "فرانكي" بأنه غاية في الذكاء، ولكن ذلك الذكاء لم يكن طبيعيًّا ولا متّسقًا مع شخصيته. حدّثت نفسها في صمت: "عيناه غريبتان، تخيفانني إلى حد ما".

ولكنها لم تشك في أن لـ"هنري باسنجتون فرنش" يدًا في أي شيء؟ شقيقه، وليس هو، من كان في "مارتشبولت" في ذلك اليوم المأساوي، وأما عن ذلك الشقيق، فكانت "فرانكي" تتطلع إلى لقائه باهتمام شغوف. فقد رأت فيه – كما رأى "بوبي" – قاتلا. سوف تلتقي وجهًا لوجه بقاتل. أحست بتوتر لحظي، لكن كيف له أن يخمّن؟ كيف له أن يربط بحال من الأحوال ما بينهما وبين جريمة ارتكبت بنجاح تام؟ قالت محدثة نفسها: "تختلقين لنفسك شبحًا مخيفًا من حيث لا شيء". وصل "روجر باسنجتون فرنش" قبل موعد الشاي مباشرة بعد ظهر اليوم التالي، ولم تلتق "فرانكي" به حتى موعد الشاي. كان لا يزال من المفترض أن يستريح في فترة ما بعد الظهيرة. عندما خرجت إلى المرج حيث كان الشاي قد وُضع قالت "سيلفيا" مبتسمة:

– هذه هي مريضتنا، وهذا هو شقيق زوجي يا ليدي "فرانسيس ديروينت".

رأت "فرانكي" شابًّا نحيلا طويل القامة يزيد قليلا على الثلاثين عامًا جميل العينين، وعلى الرغم من أنها قد فهمت ما كان "بوبي" يعنيه بقوله إنه من المفترض أن تكون له نظارة وحيدة العدسة وشارب قصير كانت هي أكثر ميلا إلى ملاحظة عمق زرقة عينيه. تصافحا. قال:

– لقد سمعت عن الجهد الذي بذلته في محاولة تحطيم جدار الحديقة. وقالت "فرانكي":

– أعترف بأنني أسوأ سائق سيارة في الوجود، ولكنني كنت أقود سيارة عتيقة جدًّا، كانت سيارتي تحت الإصلاح فاشتريت أخرى مستعملة بثمن زهيد. قالت "سيلفيا":

– أنقذها من بين الحطام طبيب شاب غاية في الوسامة. فقالت "فرانكي":

ـ نعم، كان دمث الخلق أيضًا. وصل "تومي" في تلك اللحظة وألقى بنفسه بين ذراعي عمّه بين صيحات الفرح والابتهاج قائلا:

ـ هل اشتريت لي القطار الذي وعدتني به؟ لقد وعدتني. قالت "سيلفيا":

ـ لا يا "تومي"، لا ينبغي لك أن تطلب أشياء.

ـ لا بأس يا "سيلفيا"، لقد وعدته بذلك، وقد أحضرت لك القطار ياصديقي.

ثم رمق "سيلفيا" بنظرة عابرة وسأل:

ـ الن ياتي "هنري" لتناول الشاي؟ فقالت وقد شاب صوتها نبرة مكبوحة:

ـ لا أعتقد ذلك، أعتقد أنه ليس بحالة جيدة اليوم. ثم قالت على نحو اندفاعي:

ـ "روجر"، كم أنا سعيدة بعودتك! وضع يده على ذراعها لحظة وقال:

ـ لا بأس يا "سيلفيا" يا عزيزتي. بعد تناول الشاي شارك "روجر" ابن شقيقه اللعب بالقطار، وكانت "فرانكي" تراقبهما بذهن مضطرب. من المؤكد أن "روجر" ليس من النوعية التي تدفع الغير ليسقطوا فوق الصخور! هذا الشاب شديد الجاذبية من غير الممكن أن يكون قاتلا هادئ الأعصاب! لكن لابد إذن من أن تكون هي و"بوبي" مخطئين على طول الخط. مخطئين في هذه الجزئية من الحادث. أحست بثقة بأنه لم يكن "باسنجتون فرنش" هو الذي دفع "بريتشارد" ليسقط على الصخرة. من كان إذن من فعل بالرجل ذلك؟

كانت لم تزل مقتنعة بأن ذلك الرجل قد دُفع فسقط، فمن الذي فعل به ذلك؟ ومن الذي وضع المورفين في زجاجة جعة "بوبي"؟ مع فكرة المورفين لاح بذهنها فجأة تفسير عيني "هنري باسنجتون فرنش" الزائغتين.

هل كان "هنري باسنجتون فرنش" مدمن مخدرات؟

الفصل الثالث عشر
"ألان كارستيرز"

كان من الغريب جدًا أن تتلقى تأكيداً لهذه النظرية من اليوم التالي مباشرة، وأن ياتي هذا التأكيد من "روجر" نفسه. كانا يلعبان مباراة تنس، وجلسا بعد ذلك يتناولان مشروبات مثلجة. كانا يتحدثان في تلك الأثناء عن موضوعات شتى وبدأت "فرانكي" تستشعر بالتدريج مدى جاذبية "روجر" الذي سافر إلى كافة

أنحاء العالم تقريبًا، فكان هذا المتبطل غير النافع للعائلة النقيض الأمثل لشقيقه المتعقل الجاد التفكير. خيمت فترة صمت بينما كانت مثل تلك الأفكار تراود ذهن "فرانكي"، أنهاها "روجر" بقوله بنبرة صوت مغايرة تمامًا:

– ليدي "فرانسيس"، إنني مقدم على شيء غريب إلى حد ما، لقد عرفتك منذ ما دون الأربع وعشرين ساعة، ولكن حدسي يؤكد لي أنك الوحيدة التي يمكنني استشارتها في أمر معين. فقالت "فرانكي" دهشة:

– تستشيرني؟

– نعم، لا يمكنني الاختيار بين أسلوبين لمعالجة شأن ما. توقف قليلا وكان متكئًا نحو الأمام يؤرجح مضرب كرة بين ركبتيه ومقطب الجبين. بدا مهمومًا بدرجة كبيرة.

– خاص بشقيقي يا ليدي "فرانسيس".

– نعم؟

– إنه يتعاطى المخدرات، أنا واثق بذلك. سألته:

– وما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟

– جميع المؤشرات، مظهره وتغيراته المزاجية الغريبة، وهل لاحظت عينيه؟ إن بؤبؤيهما غاية في الضآلة. فقالت "فرانكي" مقرَّة:

– لقد لحظت ذلك. ماذا ترى أنه السبب؟

– المورفين أو نوع من الأفيون.

– هل هذا حاله منذ زمن طويل؟

– أؤرخ لبدء هذه الحالة منذ ستة أشهر مضت، أذكر أنه كان يعاني الأرق طويلا، لكن كيف اهتدى إلى تناول هذه الأشياء؟ لا أدري، ولكنني أعتقد أنه قد بدأ تعاطيها على أثر معاناته الأرق. طرحت "فرانكي" استفسارًا عمليًّا:

– وكيف يحصل عليها؟

– أعتقد أنه يتلقَّاها عن طريق البريد. هل لحظت كم يكون متوترًا وقلقًا في بعض الأحيان في وقت الشاي؟

– نعم، لحظت ذلك.

– أعتقد أن هذا يحدث عندما يكون قد استهلك تمامًا ما لديه منها وينتظر إمداده بالمزيد، ثم بعد وصول بريد السادسة مساء يدخل مكتبه ويخرج إلى العشاء بحالة مزاجية مختلفة تمامًا. أومأت "فرانكي". تذكرت ذلك الذكاء غير الطبيعي

الذي ميَّز حديثه على العشاء في بعض الأحيان. سألته:

– لكن من أين يأتيه ما يتعاطاه؟

– هذا ما لا أعلمه .،لا طبيب حسن السمعة من الممكن أن يزوِّده به، لكن على ما أفترض هناك مصادر مختلفة يمكن للمرء أن يحصل عليه منها في "لندن" مقابل ثمن باهظ. أومأت "فرانكي" متأملة. كانت تستعيد ما كانت قد ذكرته لـ"بوبي" من أن هناك عصابة لتهريب المخدرات وإجابته بأنه من المستحيل أن يجمع بين عدد من الجرائم ،وكان غريبا أن يقطعوا على أثر هذه العملية بمثل هذه السرعة في تقصِّيهم الموضوع، والغريب أيضا هو أن المتهم الرئيسي هو الذي يلفت نظرها إلى هذا الأمر، وهذا ما جعلها أكثر ميلا إلى تبرئة "روجر" من تهمة القتل.

ومع ذلك لايزال هناك موضوع استبدال الصورة الفوتوغرافية الذي لم يُعرف له تفسير بعد. ذكَّرت نفسها بأن الأدلة التي تدينه لم تزل قائمة، وعلى الجانب الآخر كانت حقيقة شخصية الرجل ذاته، ويجمع الناس على أن القتلة يتميزون بسحر خاص. نهضت عنها تلك الأفكار والتفتت إلى رفيقها تسأله صراحة:

– لماذا بالتحديد تخبرني بهذا؟ فقال ببساطة:

– لأنني لا أدري كيف أتصرف حيال "سيلفيا".

– تظن أنها لا تعلم؟

– لا تعلم بالتأكيد، هل ينبغي لي أن أخبرها؟

– إنه من الصعب...

– إنه صعب بالفعل؛ لهذا رأيت أنه من الممكن أن تساعديني بالرأي. لقد أحبَّتك "سيلفيا" جدًّا. لا تحب أيًّا من الناس الذين في محيطها بصفة خاصة ولكنها أحبَّتك على الفور. هذا ما قالته لي. ما الذي من واجبي أن أفعله يا ليدي "فرانسيس"؟ إذا أخبرتها فإنني أضيف إلى حياتها عبئا ثقيلا. قالت "فرانكي":

– لو أنها علمت ربما يكون لها تأثير إيجابي.

– أشك في ذلك. في حالات الإدمان لا أحد من المقربين ولا أعز الأعزاء يكون له تأثير يذكر.

– وجهة نظر محبطة، أليست كذلك؟

– بل هو واقع. هناك بعض الوسائل بالتأكيد، فلو أن "هنري" يوافق على أن يذهب للعلاج... فهناك مصحَّة قريبة من هنا يديرها طبيب اسمه الدكتور "نيكلسون".

– ولكنه يرفض، أليس كذلك؟

– لكن من الممكن أن يوافق، يمكن التحدث إلى متعاطي المورفين في إحدى حالات إحساسه بالندم الشديد الذي يساوره في بعض الأحيان، فيكون على أتم استعداد لأن يفعل أي شيء ليشفى من إدمانه، وفي رأيي أن "**هنري**" من الممكن أن يُستدرج إلى مثل هذا الإطار الذهني بسهولة أكبر إذا ظن أن "**سيلفيا**" لا تعلم، وإذا كان أمر إخبارها مسلطًا عليه كتهديد، وإذا نجح علاجه (ويشيرون إليه بأنه علاج الأعصاب) فليس هناك ما يدعو إلى أن تعرف.

– هل يضطر إلى الذهاب إلى مكان بعيد للعلاج؟

– المكان الذي أتحدث عنه يبعد عن هنا بحوالي خمسة كيلومترات على الجانب الآخر من القرية، ويشرف على العمل فيه رجل كندي هو الدكتور "**نيكلسون**"، طبيب مشهور بالمهارة، ولحسن الحظ أن "**هنري**" يحبه، والآن "**سيلفيا**" آتية إلى هنا. انضمت السيدة "**باسنجتون فرنش**" إليهما متسائلة:

– هل لعبت بالنشاط اللازم؟ فقالت "**فرانكي**":

– ثلاث مجموعات، وهزمت فيها جميعًا. فقال "**روجر**":

– أنت لاعبة ممتازة. فقالت "**سيلفيا**" معلّقة:

– أما أنا خاملة جدًا في هذه اللعبة. لابد من أن ندعو الدكتور "**نيكلسون**" إلى هنا ذات يوم. زوجته مولعة جدًا بهذه اللعبة. ماذا هناك؟ قالت "**سيلفيا**" ذلك لأنها لحظت تلك النظرة التي تبادلها الاثنان الآخران.

– لا شيء، كل ما في الأمر انه تصادف أنني كنت أتحدث عن الدكتور "**نيكلسون**" مع الليدي "**فرانسيس**" حالا. فقالت "**سيلفيا**":

– أفضل لك أن تخاطبها باسم "**فرانكي**" كما أفعل أنا. أليس غريبًا عندما يتحدث شخص ما عن أي إنسان أو شيء يتحدث شخص آخر عنه في وقت لاحق مباشرة؟ سألت "**فرانكي**":

– إنهما كنديّان، أليسا كذلك؟

– هو كندي بالتأكيد، وأميل إلى الاعتقاد أنها إنجليزية وإن كنت لست واثقًا بذلك تمامًا. هي امرأة صغيرة جميلة – ذات سحر خاص وعينين حزينتين واسعتين جميلتين، ولسبب أو لآخر أتصور أنها ليست سعيدة جدًا. لابد من أنها حياة كئيبة تلك التي تعيشها.

– يدير مصحة من نوع ما، أليس كذلك؟

– بلى، يعالج حالات الأمراض العصبية ومن يتعاطون المخدرات، وهو ناجح جداً على حد تقديري . فضلا على أنه شخصية تتمتع بقدر من الجاذبية.

– يعجبك؟ فقالت "**سيلفيا**" على الفور:

– لا، لا أطيقه. ثم أضافت بحماس بعد لحظة أو اثنتين:

– إطلاقا! وفي وقت لاحق أشارت لـ"**فرانكي**" إلى صورة امرأة جميلة واسعة العينين موضوعة فوق البيان قائلة:

– هذه هي "**مويرا نيَكلسون**"، وجه شديد الجاذبية، أليس كذلك؟ أُعجب رجل أتى إلى هنا مع بعض أصدقائنا منذ فترة مضت بهذا الوجه إلى حد بعيد، وأعتقد أنه طلب التعرف إليها. ثم ضحكت قائلة:

– سوف أدعوهما إلى العشاء مساء غد؛ لأنني أحب أن أعرف رأيك فيه.

– فيه؟

– نعم، فكما قلت لك لا يعجبني، ومع ذلك فهو رجل شديد الجاذبية. شيء ما في نبرتها دفع "**فرانكي**" إلى أن تنظر إليها مسرعة إلا أن "**سيلفيا باسنجتون فرنش**" كانت قد أشاحت بوجهها إلى اتجاه آخر، وأخذت تخرج بعض الزهور الذابلة من الفازة. قالت "**فرانكي**" محدثة نفسها وهي تصفف شعرها الأسود الكثيف استعداداً للعشاء: "ينبغي لي أن أجمع أفكاري وربما حان الوقت لإجراء بعض تجاربي". هل هو "**روجر باسنجتون فرنش**" أم ليس هو المجرم الذي افترضته هي و"**بوبي**"؟ لقد اتفقت هي و"**بوبي**" على أن الذي حاول التخلص من "**بوبي**" أيًّا كانت هويته لابد من أن كان المورفين في متناول يده، وهذا ينطبق إلى حد ما على "**روجر باسنجتون فرنش**" الذي طالما يتلقى شقيقه المورفين بالبريد، فمن السهل عليه جداً أن يحصل لنفسه على قدر منه لاستخدامه في أغراضه الخاصة.

كتبت "**فرانكي**" على قطعة ورق المذكرات التالية: (1) محاولة اكتشاف أين كان "**روجر**" في اليوم السادس عشر من الشهر، وهو اليوم الذي تسمم "**بوبي**" فيه. رأت أن سبيلها إلى معرفة ذلك سهل للغاية. (2) عرض صورة الرجل المتوفى ومراقبة ردود الفعل إن وجدت، وكذلك ملاحظة ما إذا كان "**روجر**" يعترف بأنه كان في "**مارتشبولت**" في يوم الحادث.

أحست قدراً من التوتر بشأن القرار الثاني، فهو يعني لعبًا على المكشوف ومن ناحية أخرى فإن المأساة وقعت في البلدة التي تقطنها، فإذا ما تحدثت عنها بطريقة عابرة فسيبدو الأمر طبيعيًّا جداً. جعدت قصاصة الورق وأحرقتها. تمكنت من

عرض أولى النقاط بطريقة طبيعية جداً على العشاء. قالت مخاطبة "روجر" صراحة:

– تعلم أنه لا يسعني سوى أن أشعر بأننا قد التقينا من قبل، وليس منذ زمن بعيد أيضاً. ألم يكن هذا بحفل الليدي "شين" في الـ"كلاريدج"؟ كان الحفل في السادس عشر من هذا الشهر، وأسرعت "سيلفيا" تجيب:

– من غير الممكن أن يكون قد كان في السادس عشر؛ لأن "روجر" كان هنا في ذلك اليوم. أتذكَّر ذلك جيداً لأن في ذلك اليوم أقمنا حفلا للأطفال، وماذا كان يمكنني أن أفعل دون "روجر"، هذا ما لا أعلمه. وألقت نظرة امتنان في اتجاه شقيق زوجها الذي تجاوب معها بابتسامة وأجاب "فرانكي" بعد لحظة تفكير:

– لا أشعر بأنني قد التقيت بك من قبل لأنني كنت سأتذكر ذلك قطعًا، لو أنه حدث. قال ذلك بنبرة ظريفة فحدثت "فرانكي" نفسها في صمت: "بهذا انتهيت من إحدى النقاط". لم يكن "روجر باسنجتون فرنش" في "ويلز" يوم أن أصيب "بوبي" بالتسمم، وتم التعرض للنقطة الثانية بسهولة معقولة في وقت لاحق. حولت "فرانكي" مسار الحديث إلى الأماكن الريفية، وملل الحياة فيها، والاهتمام الذي يثيره أي حادث محلي غير عادي. قالت:

– سقط بمنطقتنا رجل فوق الصخور فابتهجنا بالحادث حتى النخاع، حضرت التحقيق الذي أجري بكل انفعال إلا أنه لم يسفر عن شيء مثير. سألت "سيلفيا" فجأة:

– هل كان ذلك بالمنطقة المعروفة باسم "مارتشبولت"؟ وأومأت "فرانكي" موضحة:

– يقع قصر "ديروينت" على مسافة أحد عشر مترًا تقريبًا من "مارتشبولت". فصاحت "سيلفيا":

– "روجر"، لابد من أن ذلك كان الرجل الذي تحدثت عنه. نظرت "فرانكي" إليه مستفسرة فقال:

– كنت هناك بالفعل عند موته، لازمت الجثة لحين حضور رجال الشرطة. فقالت "فرانكي":

– ظننت أن أحد أبناء القس هو الذي قام بهذه المهمة.

– كان مضطراً إلى أن يرحل حتى يعزف على الأرغن أو شيء كهذا؛ لذا توليت عنه المهمة. فقالت "فرانكي":

– كم أن هذا غريب ! سمعت بالفعل أن شخصًا آخر كان هناك أيضًا، ولكنني لم أسمع عن اسمه. كان هو أنت إذًا؟ أليس العالم صغيرًا جدًا؟ أحست "**فرانكي**" بأنها كانت تقوم بهذه المهمة بدرجة جيدة. قال "**روجر**" :

– ربما تكونين قد رأيتني هناك من قبل في "**مارتشبولت**" ؟ فقالت:

– لم أكن متواجدة بالبلدة في ذلك التوقيت، جئت إليها بعد الحادث بيومين، هل حضرت التحقيق؟

– لا، عدت إلى "**لندن**" في اليوم التالي لحدوث المأساة. قالت "**سيلفيا**" :

– كانت تراوده فكرة غريبة لشراء منزل هناك. فقال "**هنري باسنجتون فرنش**" :

– هراء مجرد. وقال "**روجر**" بنبرة مرحة:

– ليس كذلك إطلاقًا.

– أنت خير من يعلم يا "**روجر**" أنك ما إن تشتريه حتى تتجدد لديك شهوة التجوال، فتنطلق إلى خارج البلاد مرة أخرى.

– لا يا "**سيلفيا**"، لابد لي من أن أستقر في يوم ما. فقالت "**سيلفيا**" :

– عندما تقرر ذلك فمن الأفضل أن تستقر في مكان قريب منا، ولا تذهب للإقامة في "**ويلز**". ضحك "**روجر**"، ثم التفت إلى "**فرانكي**" مستفسرًا:

– أية نقاط مثيرة للاهتمام حول الحادث؟ لم يسفر التحقيق عن أنه انتحار أو شيء من هذا القبيل؟

– آه، لا ، كان كل شيء واضحًا تمامًا وأتى بعض أقارب الرجل وتعرفوا إليه. كان يقوم بجولة سيرًا على القدمين كما يبدو. حادث مؤسف بحق. كان جميل الملامح. هل رأيتم صورته بالصحف؟ قالت "**سيلفيا**" :

– أعتقد أنني رأيتها، ولكنني لا أتذكر ملامحه جيدًا.

– لدي قصاصة من الصحيفة المحلية، وبكل شغف أسرعت "**فرانكي**" إلى الطابق العلوي وعادت بالقصاصة في يدها أعطتها لـ"**سيلفيا**" فأتى "**روجر**" ونظر من فوق كتف "**سيلفيا**". وسألت "**فرانكي**" بأسلوب ساذج:

– ألا تعتقدا أنه جميل الملامح؟ فقالت "**سيلفيا**" :

– إلى حد كبير، يبدو قريب الشبه بذلك الرجل "**ألان كارستيرز**"، ألا ترى ذلك يا "**روجر**"؟ أعتقد أنني قلت ذلك وقتئذ. فقال "**روجر**" :

– هناك بعض الشبه بينهما ولكنه ليس كبيرًا. فقالت "**سيلفيا**" وهي تعيد القصاصة:

- من غير الممكن الاعتماد على الصور التي تنشر بالصحف، أليس كذلك؟
واتفقت "فرانكي" معها في هذا الرأي، وتحوّل الحديث إلى موضوعات أخرى.
أوت "فرانكي" إلى الفراش في حالة من عدم الاستقرار على رأي معين. بدا لها أن ردة فعل الجميع كانت طبيعية، ولم يكن بحث "روجر" عن منزل بالأمر السري. كان الشيء الوحيد الذي نجحت في الحصول عليه هو ذلك الاسم "**ألان كارستيرز**".

الفصل الرابع عشر
الدكتور "نيكلسون"

فاجأت "**فرانكي**" "**سيلفيا**" في صباح اليوم التالي بسؤالها على نحو عابر:
- ماذا كان اسم الرجل الذي ذكرته في الليلة الماضية؟ هل كان "**ألان كارستيرز**"؟ أشعر بأنني واثقة بأنني قد سمعت هذا الاسم من قبل.
- أجرؤ على قول إنك لابد من أن تكوني قد سمعته، فهو مشهورفي مجاله. هو كندي وأحد الممارسين للمذهب الطبيعي، مكتشف في مجال الطبيعيات وصائد وحوش. لا أعرفه جيداً. أتى به بعض أصدقاء لنا هم آل "**ريفينجتون**"، إلى هنا ذات يوم للغداء. رجل شديد الجاذبية قوي البنية برنزي البشرة ذو عينين زرقاوين.
- كنت واثقة بأنني قد سمعت عنه.
- لم يكن قد أتى إلى هذا البلد من قبل على حد علمي، وفي العام الماضي قام بجولة في "**إفريقيا**" مع المليونير "**جون سافيدج**"، ذلك الرجل الذي ظن أنه مصاب بالسرطان وانتحر بتلك الطريقة المأساوية. سافر "**كارستيرز**" إلى جميع أقطار العالم، إلى شرق "**إفريقيا**" وجنوب "**أمريكا**"، إلى كل مكان تقريباً. فقالت "**فرانكي**":
- يبدو أنه مغامر كبير.
- نعم، هكذا كان وشديد الجاذبية أيضاً. فقالت "**فرانكي**":
- من الغريب أن يكون قريب الشبه بذلك الرجل الذي سقط على الصخرة في "**مارتشبولت**".
- إنني أتساءل عما إذا كان لكل إنسان صور طبق الأصل منه؟ وأخذتا تسردان بعض أمثلة للشخصيات الشديدة الشبه ببعضها البعض، وراعت "**فرانكي**" ألا تشير إلى "**ألان كارستيرز**" مرة أخرى حتى لا تثير الشكوك حولها وتعرِّض حياتها للخطر.

رأت أنها قد بدأت تتقدم الآن؛ إذ كانت واثقة بأن "**ألان كارستيرز**" هو ضحية مأساة صخرة "**مارتشبولت**" ؛ إذ انطبقت عليه جميع هذه الأوصاف، ولم يكن له أصدقاء أو أقرباء مقربون في هذا البلد، وبالتالي فمن غير المحتمل أن يُلحَظ اختفاؤه، فالرجل الذي اعتاد السفر إلي البلاد النائية من غير المتوقع أن يفتقده أحد على الفور. كذلك لحظت "**فرانكي**" أنه على الرغم من أن "**سيلفيا**" قد علّقت على شبهه الكبير بالصورة التي نشرت بالصحف إلا أنه لم يلح بذهنها قط أنه هو الضحية المعني.

رأت "**فرانكي**" في ذلك موضوعًا نفسيًّا جديراً بالاهتمام إلى حد ما، فنحن نادراً ما نتوقع أن يكون الأشخاص الذين تتناولهم الأخبار هم ذاتهم من اعتدنا رؤيتهم ولقاءهم. حسنًا جداً إذن، "**ألان كارستيرز**" هو المتوفّي. أصبحت الخطوة التالية هي معرفة المزيد عن "**ألان كارستيرز**". بدا لها أن صلته بآل "**باسنجتون فرنش**" طفيفة جداً، وقد أتى إلى هنا بفعل مصادفة بحتة مع أصدقاء لهذه العائلة. ماذا كان اسمهم؟ آل "**ريفينجتون**". قامت "**فرانكي**" بتخزين هذه المعلومة بذهنها للاستفادة بها مستقبلا. من المؤكد أنه طريق ممكن للبحث، ومن الأفضل أن يتم هذا بتأنٍ يجب أن تتم أي استفسارات عن "**ألان كارستيرز**" بكل حكمة وتعقُّل. قالت "**فرانكي**" محدثة نفسها: "لا أريد أن يسممني أحد أو أتلقى ضربة على رأسي. كانوا على أتم استعداد لأن يودوا بحياة "**بوبي**" وبلا سبب إطلاقًا". تحولت أفكارها فجأة إلى تلك العبارة التي أثارت كل هذه المغامرات. "**إيفانز**"، من "**إيفانز**"؟ وما دوره في كل هذا؟ حدثت "**فرانكي**" نفسها بأنها عصابة مخدرات، وربما أن قريبًا لـ"**كارستيرز**" قد وقع ضحية لعملية ما فصمم هو على إثارة الموضوع، وربما أنه أتى إلى "**إنجلترا**" لهذا الغرض، وربما أن "**إيفانز**" كان أحد أفراد العصابة وتقاعد عن العمل بها وذهب إلى "**ويلز**" ليعيش هناك و"**كارستيرز**" قدم له رشوة للإرشاد عن الآخرين ووافق "**إيفانز**" على طلبه، فذهب "**كارستيرز**" للقائه فتبعه أحدهم إلى هناك وقتله.

هل كان أحدهم هو "**روجر باسنجتون فرنش**"؟ لم يبد هذا محتملا إطلاقًا، فإن آل "**كيمان**" هم الأقرب لأن يكونوا مهربي مخدرات، ومع ذلك... تلك الصورة الفوتوغرافية. لو أن هناك فقط شيئًا واحداً يفسر لغز الصورة! في المساء كان الدكتور "**نيكلسون**" وزوجته متوقعًا حضورهما على العشاء، وكادت "**فرانكي**" أن تنتهي من الاستعداد عندما سمعت صوت سيارتهما تتوقف أمام باب المنزل.

كانت نافذة حجرتها في مواجهة الطريق فاطلت منها. رأت رجلا طويل القامة يغادر مقعد القيادة بسيارة "تالبوت" باللون الأزرق القاتم. تراجعت "**فرانكي**" إلى الداخل على الفور. كان "**كارستيرز**" كنديًا، والدكتور "**نيكلسون**" كنديًا، وللدكتور "**نيكلسون**" سيارة "تالبوت" باللون الأزرق القاتم.

صحيح أنه من الغريب أن يقام أي شيء على ذلك، لكن ألا يوحي هذا بشيء إطلاقًا؟ كان الدكتور "**نيكلسون**" رجلا قوي البنية يوحي بمخرون كبير من القوة والنفوذ، بطيء الحديث وقليل الكلام على وجه العموم، وإن كان يخطط بطريقة أو بأخرى لكي يجعل كل كلمة مما ينطق به تبدو ذات أهمية ومعنى. ارتدى نظارة قوية اتّقدت عيناه ذواتا اللون الأزرق الباهت من خلف عدستيها بنشاط تأملي، وكانت زوجته نحيلة القوام ربما في السابعة والعشرين من العمر.. جميلة، بل فاتنة جداً. بدت متوترة الأعصاب إلى حد ما، وكانت تثرثر على نحو محموم كما لو كان لتخفي توترها. قال الدكتور "نيكلسون" وقد جلس بجوار "**فرانكي**" إلى مائدة العشاء:

- سمعت أنه قد وقع لك حادث يا ليدي "**فرانسيس**". شرحت "**فرانكي**" له ماحدث، وتساءلت عن سبب توترها وهي تتحدث عنه خاصة أن أسلوب الطبيب كان بسيطًا بادي الاهتمام. لماذا تشعر وكأنها تتدرب على الدفاع عن نفسها في تهمة لم تقترف؟ هل هناك أي سبب كان لئلا يصدق الطبيب أن حادثا قد وقع لها؟ عندما انتهت من حديثها عن الحادث مع ذكر بعض التفاصيل التي رأت أنها ضرورية قال الطبيب:

- أمر مؤسف، لكن يبدو أن شفاءك تم على الوجه الأكمل وفي زمن قياسي. فقالت "**سيلفيا**":

- لن نعترف بأنها قد شفيت تمامًا بعد؛ لأننا نريدها معنا بعض الوقت. اتجهت نظرة الطبيب إلى "**سيلفيا**" ولاحت على شفتيه ابتسامة باهتة سرعان ما تلاشت. قال بنبرة صارمة:

- لو كنت مكانك لأبقيتها معك أطول مدة ممكنة. كانت "**فرانكي**" تجلس بين مضيفها والدكتور "**نيكلسون**"، وكان "**هنري باسنجتون فرنش**" في حالة مزاجية سيئة في تلك الليلة. ظل يلوي يديه وتناول من الطعام لا شيء تقريبًا كما لم يشارك في أي حوار أو حديث. عانت السيدة "**نيكلسون**" صحبته، وكانت جالسة على الجانب المقابل فالتفتت إلى "**روجر**" بارتياح واضح. تحدثت إليه

بطريقة عابرة إلا أن "فرانكي" لحظت أن عينيها لم تغيبا طويلا عن وجه زوجها. تناول حديث الدكتور "نيكلسون" موضوع الحياة في الريف حيث قال:

– هل تعرفين يا ليدي "فرانسيس"، ما هي المزرعة؟

– لا أفهم ما تعنيه.

– ما أشير إليه هو الجراثيم. تتكاثر كما تعلمين في مصل مجهز خصيصًا لهذا الغرض، والريف يا ليدي "فرانسيس"، يشبه ذلك إلى حد معين. به الوقت والمساحة ووقت الفراغ بلا حدود ... ظروف مواتية للنمو والتكاثر. سألته "فرانكي" متحيرة:

– هل ما تعنيه هو الأشياء السيئة؟

– هذا متوقف يا ليدي "فرانسيس"، على نوعية الجرثومة الجاري استزراعها. حوار غبي لكن لماذا يقشعر له بدني؟ قالت بنبرة عابرة:

– ربما أكون مزرعة لجميع الصفات السيئة. نظر إليها ثم قال بهدوء:

– لا لا، لا أرى ذلك يا ليدي "فرانسيس"، أعتقد أنك دائما على جانب القانون والنظام. هل كان هناك تأكيد طفيف منه على كلمة القانون؟ فجأة قالت السيدة "نيكلسون" عبر المائدة:

– يتباهى زوجي بقدرته على تحليل الشخصيات. وأومأ الدكتور "نيكلسون" برفق قائلا:

– هذا صحيح يا "مويرا"، صغائر الأمور تثير اهتمامي. ثم التفت إلى "فرانكي" ثانية وقال:

– سمعت عن الحادث الذي وقع لك، شيء واحد بشأنه حيَّرني. سألته "فرانكي" وقلبها يخفق بشدة:

– وما هو؟

– الطبيب الذي تصادف مروره ... الذي قام بنقلك إلى هنا.

– ماذا عنه؟

– لابد من أنه غريب الشخصية حتى يغير اتجاه سيارته قبل أن يخف إلى إسعافك.

– لا أفهم ما تعنيه.

– لا بكل تأكيد، فقد كنت فاقدة الوعي، لكن "ريفز" ساعي البريد الشاب أتى من "ستافرلي" على دراجته ولم تمر به أية سيارة، ومع ذلك ما إن انعطف عند

الزاوية حتى رأى الحادث ورأى سيارة الطبيب من ذات الاتجاه الذي كان آتيًا منه . . . صوب "**لندن**" . فهمت وجهة نظري؟ لم يأت الطبيب من اتجاه "**ستافرلي**" لهذا لابد من أن يكون قد أتى من الاتجاه الآخر الهابط من التل، لكن في هذه الحالة يجب أن يكون اتجاه سيارته صوب "**ستافرلي**"، ولم يكن كذلك. بناء على ذلك فمن المؤكد أنه قد غيَّر اتجاهها. فقالت "**فرانكي**" :
– ما لم يكن قد أتى من "**ستافرلي**" في وقت سابق.
– في هذه الحالة كانت سيارته ستكون واقفة هناك بينما أنت نازلة من على التل، فهل كانت؟ ودققت العينان الزرقاوان النظر إليها من خلال الزجاج السميك. قالت "**فرانكي**" :
– لا أتذكر، ولا أعتقد ذلك. فقالت السيدة "**نيكلسون**" :
– تتحدث مثل مخبر سري يا "**جاسبر**"، وكل هذا بشأن لا شيء إطلاقًا. فقال "**نيكلسون**" :
– صغائر الأمور تثير اهتمامي. التفت بعد ذلك إلى مضيفته فتنفست "**فرانكي**" الصعداء. لماذا يستجوبها بهذه الطريقة؟ وكيف كان له أن يعرف تفاصيل الحادث؟ "صغائر الأمور تثير اهتمامه" . هل هذا كل ما يهم في الموضوع؟ تذكرت السيارة الـ"تالبوت" الزرقاء الداكنة وأن "**كارستيرز**" كان كنديًا وبدا لها أن الدكتور "**نيكلسون**" رجل شرير.
اجتنبت الاقتراب منه بعد العشاء حيث آثرت صحبة زوجته الرقيقة الظريفة. لحظت أن عيني السيدة "**نيكلسون**" لا تزالا تراقبان زوجها. تساءلت "**فرانكي**" هل هذا غرام أم خوف؟ كرَّس "**نيكلسون**" نفسه إلى "**سيلفيا**"، وفي العاشرة والنصف التقى بعيني زوجته ونهضا لينصرفا. قال "**روجر**" معلّقا بعد ذلك:
– حسنًا، ما رأيك في الدكتور "**نيكلسون**"؟ قوي الشخصية، أليس كذلك؟ فقالت "**فرانكي**" :
– أنا مثل "**سيلفيا**" لا أعتقد أنه يروقني جدًا، أفضّل زوجته عليه. فقال "**روجر**" :
– جميلة الوجه، ولكنها غبية إلى حد ما، إما أنها تحبه حبًا جمًا وإما أنها تخافه حتى الموت، لا أدري أيهما هو الحقيقة. فقالت "**فرانكي**" :
– هذا ما كنت أتساءل عنه فعلا. وقالت "**سيلفيا**" :
– لا يروقني، لكن ينبغي لي أن أعترف بأن لديه قدرًا كبيرًا من القوة العقلية،

وأعتقد أنه عالج كثيرين من مدمني المخدرات بطريقة مدهشة جداً. منهم من كان أهلهم قد يئسوا من حالتهم وأودعوهم لديه كامل أخير وخرجوا من عنده مكتملي الشفاء. فصاح "**هنري باسنجتون فرنش**" على نحو مفاجئ:

– نعم، وهل تعلمون ما يجري هناك؟ لديكم فكرة عن المعاناة الرهيبة والعذاب الذهني؟ إنسان معتاد تعاطي مخدر ويمنعونه عنه ... يمنعونه عنه تماماً، حتى يجن جنونه بسبب الحرمان منه ويضرب الجدار برأسه. هذا ما يفعله طبيبكم ذو القوة الذهنية. هذا يعذب الناس... يعذبهم... يلقي بهم إلى الجحيم... يدفعهم إلى الجنون. وبدأ يرتعش بعنف، ثم استدار فجأة وغادر الحجرة. بدت "**سيلفيا**" مذعورة. قالت دهشة:

– ما الذي أصاب "**هنري**"؟ يبدو منفعلا جداً. لم تجرؤ "**فرانكي**" و"**روجر**" على أن ينظر كل منهما إلى الآخر، وغامرت "**فرانكي**" بملاحظتها:

– لم يبد على ما يرام طوال الأمسية. فقالت "**سيلفيا**" :

– نعم، لقد لحظت ذلك، يعاني حالة مزاجية سيئة في الآونة الأخيرة، ليته لم يتوقف عن ركوب الخيل! بهذه المناسبة لقد دعا الدكتور "**نيكلسون**" "**تومي**" للذهاب إلى هناك غدا، ولكنني لا أحب أن يذهب إلى هناك كثيراً في ظل وجود كل هذا العدد من مرضى الأعصاب ومتعاطي المخدرات. فقال "**روجر**" :

– لا أعتقد أن الطبيب سيسمح له بالاتصال بهم. يبدو مغرماً بالأطفال جداً.

– نعم، أرى أنه من أسباب ضيقه أنه لم ينجب أطفالا، وربما هذا يضايقها هي أيضاً، تبدو حزينة جداً، وشديدة الحساسية. فقالت "**فرانكي**" :

– تبدو كواحدة من الإيطاليات العريقات الحزينات.

– نعم، هذا هو أصدق وصف لها. سألت "**فرانكي**" بطريقة عابرة:

– مادام الدكتور "**نيكلسون**" مغرم بالأطفال، فمن المفترض أن يكون قد حضر حفل الأطفال الذي أقمتموه؟

– لسوء الحظ أنه كان متغيباً مدة يوم أو يومين في ذلك التاريخ، أعتقد أنه قد اضطر إلى التوجه إلى "**لندن**" لحضور مؤتمر ما.

– نعم. ذهب الجميع إلى الفراش، وجلست "**فرانكي**" في حجرتها تكتب خطاباً لـ"**بوبي**" قبل أن تنام.

الفصل الخامس عشر
اكتشاف

عاش "**بوبي**" فترة من الضيق والحيرة. كان فرض عدم العمل عليه بمثابة محنة له. كره البقاء بهدوء في "**لندن**" لا يعمل شيئًا. كان "**جورج أربثنوت**" قد اتصل به هاتفيًا وأخبره بإيجاز شديد بأن الخطة قد تمت بنجاح، وبعد ذلك بيومين تلقى خطابًا من "**فرانكي**" سلمته إليه خادمتها كان قد أرسل إليها على عنوان اللورد "**مارتشنجتون**" بالمدينة، ومنذ ذلك الحين لم يتلقَّ أية أخبار. ناداه "بادجر" قائلا:

– خطاب لك. تقدم إليه "**بوبي**" منفعلا، ولكن الخطاب كان معنونًا بخط يد والده ومختومًا بختم مكتب بريد "**مارتشبولت**". إلا أنه في تلك اللحظة لمح خادمة "**فرانكي**" في ثوبها الأسود الأنيق تتجه نحوه، وفي غضون خمس دقائق كان يفتح خطاب "**فرانكي**" الثاني الذي تقول فيه:

"عزيزي "**بوبي**"، أعتقد أن الوقت قد حان لأن تأتي. أعطيت الذين بالبيت تعليمات بأن تأخذ السيارة الـ"بنتلي" وقتما تطلبها. احصل على زي سائق... المعتاد لدينا باللون الأخضر الداكن. اشتره من محلات "**هارودز**" وقيِّده على حساب أبي. من الضروري العناية بالتفاصيل. ركِّز في عمل شارب مناسب، فله تأثير قوي في وجه أي إنسان، وتعال إلى هنا واطلبني. ربما من المناسب أن تحمل إليَّ رسالة مزعومة من والدي. أبلغني بأن السيارة أصبحت الآن تعمل بكفاءة تامة. المرآب هنا لا يتسع إلا لسيارتين وبه سيارة العائلة الـ"ديلمر"، وسيارة "**روجر**" الصغيرة. لحسن الحظ أنه مشغول بالكامل الآن لهذا ستذهب إلى "**ستافرلي**" وتبقى هناك.

وافني بجميع المعلومات التي يمكنك الحصول عليها هناك وبخاصة ما يتعلق منها بالدكتور "**نيكلسون**" الذي يدير مصحَّة لمدمني المخدرات. هناك عدد من حالات التشكك بشأنه. يمتلك سيارة "تالبوت" زرقاء داكنة، وكان غائبًا عن المنطقة في اليوم السادس عشر الذي تم دس السم لك فيه، ولديه اهتمام تفصيلي بظروف الحادث الذي وقع لي. أظنني قد تعرفت إلى صاحب الجثة!!!

إلى اللقاء يا رفيقي الشرطي السري، لك كل الحب ممن أصيبت بالارتجاج المخي بنجاح".

"**فرانكي**"

ملاحظة: "سأتولى إرسال هذا الخطاب بالبريد بنفسي"

ارتفعت معنويات "بوبي" بدرجة مذهلة. خلع الأوفرول وأخبر صديقه بضرورة انصرافه على عجل. همّ بالرحيل، ولكنه تذكر فجأة أنه لم يفتح خطاب والده بعد. فعل ذلك بحماس محدود؛ لأن خطابات والده كانت دائما من منطلق الواجب ويفوح منها عبق الاحتمال والصبر مما يسبب له الكآبة. أخبره القس بكل دقة تفاصيل كثيرة بكل ما يجري في "مارتشبولت" واصفًا له متاعبه مع عازف الأرغن ومعلّقا على الروح غير المسيحية التي أبداها أحد وكلاء الكنيسة. كذلك حدثه عن إعادة تجليد كتب الترانيم، وتمنى أن يكون "بوبي" ملتزمًا بعمله برجولة تامة ويحاول فعل الخير، ويؤكد له حبه الأبوي على الدوام.

وكان الخطاب مذيّلا بملاحظة هذا نصها:

"فاتني أن أخبرك بأن شخصا ما أتى إلينا يطلب عنوانك في "لندن". لم أكن بالبيت آنذاك ولم يترك اسمه. وصفته السيدة "روبرتس" بأنه طويل القامة منحنيا قليلا ويرتدي نظارة أنفية. بدا آسفًا جدًّا لعدم لقائك وشغوفًا برؤيتك مرة أخرى".

رجل طويل القامة منحنٍ قليلا يرتدي نظارة أنفية. راجع "بوبي" بذهنه جميع معارفه على أمل أن يهتدي إلى من ينطبق عليه هذا الوصف ولم يوفّق، وفجأة لاح بذهنه شك سريع. هل هذا هو مفتتح محاولة أخرى لإنهاء حياته؟ وهل هؤلاء الأعداء أو هذا العدو لا يزال يحاول اقتفاء أثره؟ جلس ساكنًا يفكر في الأمر بجدية. لقد اكتشف هؤلاء، أيًّا من كانوا، مؤخرًا أنه قد غادر المنطقة، وببساطة تامة أعطتهم السيدة "روبرتس" عنواني الحالي، وبذلك ربما يكونون في حالة مراقبة لهذا الموقع، فإذا خرج منه يتبعونه وهذا ما ليس مناسبًا إطلاقًا في مثل هذه الظروف. قال "بوبي":

– "بادجر".

– نعم يا صديقي.

– أقبل إليّ. وقضى الخمس دقائق التالية في عمل جاد حقيقي، وبانقضاء العشر دقائق كان بوسع "بادجر" تكرار التعليمات الصادرة إليه عن ظهر القلب. عندما اطمأنّ "بوبي" إلى ذلك تمامًا استقل سيارة "فيات" يرجع تاريخ صنعها إلى عام 1902 وانطلق بسرعة مذهلة ليتركها تنتظر في ميدان "سانت جيمز" ويسير من هناك على قدميه قاصداً النادي الذي ينتمي إليه. أجرى هناك بعض الاتصالات الهاتفية وبعد بضع ساعات تم تسليمه طرودا، وفي النهاية وفي حوالي الثالثة والنصف كان سائق سيارة في زيّه الأخضر الداكن يتوجه سيرا على قدميه إلى الميدان المذكور ويسرع نحو سيارة "بنتلي". كانت قد تركت هناك منذ حوالي

نصف الساعة. أومأ حارس ساحة الانتظار إليه قائلا إن السيد الذي ترك السيارة قد أخبره متلعثماً بأن سائقه سوف يأتي بعد قليل ليأخذها.

أنزل "بوبي" ذراع مكابح اليد وغادر الساحة متأنياً بينما ظلت السيارة ال"فيات" تنتظر مجيء صاحبها بدأ "بوبي" يستمتع بوقته على الرغم من الإزعاج الذي سببه له ثقل شفته العليا. اتجه شمالاً، لا جنوباً، ولم يمض وقت طويل حتى انطلقت السيارة القوية على طريق الشمال العظيم. إمعاناً في الحذر على الرغم من ثقته بأن أحداً لم يكن يتبعه انعطف إلى الشمال سالكاً طرقاً جانبية ملتوية إلى "هامبشير". بعد موعد الشاي بقليل توقفت الـ"بنتلي" على الممر خارج "ميرووي كورت"، وخلف عجلة قيادتها سائق مثالي معتدل. قالت "فرانكي" بنبرة مرحة:

– إنها السيارة. توجهت إلى الباب الخارجي ومعها "سيلفيا" و"روجر".

– هل كل شيء على ما يرام يا "هوكينز"؟ لمس السائق قبعته قائلا:

– نعم يا سيدتي، لقد أجريت عَمرة كاملة.

– هذا على ما يرام إذن. أخرج السائق لها رسالة قائلا:

– من سيدي اللورد يا سيدتي. أخذتها "فرانكي" قائلة:

– سوف تنزل في ... ما اسمه؟ فندق "أنجلرز آرمز" في "ستافرلي" يا "هوكينز"، وسوف أتصل بك هاتفياً صباح الغد إذا احتجتُ إلى السيارة.

– سمعاً وطاعة يا سيدتي. عاد "بوبي" بالسيارة إلى الخلف، ثم انعطف وانطلق على الطريق. قالت "سيلفيا":

– إنني آسفة لعدم وجود مكان بالمرآب، إنها سيارة رائعة. قال "روجر":

– سيارة سريعة مقتصرة للوقت. فقالت "فرانكي":

– هذا صحيح. وسرّها أن لم يلح على وجه "روجر" أي قدر من التعرف إلى "بوبي". كانت ستدهش لذلك؛ لأنها هي ذاتها ما كانت ستتعرف إليه لو أنها لقيته مصادفة. كان للشارب الصغير مظهر طبيعي تماماً أسهم مع سلوك "بوبي" الصارم – المتناقض مع طبيعته تماماً – في اكتمال الصورة التنكرية التي لعب زي السائق فيها دوراً مهماً، والصوت أيضاً كان ممتازاً ومختلفاً تماماً عن صوت "بوبي". بدأت "فرانكي" تتأكد أن "بوبي" موهوب بقدر أكبر مما كانت تفترضه فيه.

في تلك الأثناء كان "بوبي" قد نجح في الحصول على محل للإقامة بفندق "أنجلرز آرمز"، وأصبح المسؤول عن إبداع دور "إدوارد هوكينز" السائق الخاص لليدي "فرانسيس ديروينت"، ولم تكن له دراية بكيفية سلوك السائقين في

حياتهم الخاصة، ولكنه تصور أن قدراً من التعالي لن يضر. حاول أن يشعر بأنه مخلوق رفيع المستوى ويتصرف وفقًا لذلك، وقد شجعه على هذا إعجاب جميع الفتيات العاملات بالفندق به، وسرعان ما تبين أن "**فرانكي**" والحادث الذي وقع لها هما الموضوع الرئيسي للحديث في "**ستافرلي**" منذ تاريخ هذا الحادث. استرخى "**بوبي**" قليلا في اتجاه صاحب الفندق وهو رجل ظريف قوي البنية، اسمه "**توماس أسكيو**" وسمح للمعلومات بأن تتسرب منه. قال "**أسكيو**":

– كان الشاب "**ريفز**" هناك وقت وقوع الحادث. بارك "**بوبي**" الكذب الطبيعي في الشباب. تم التصديق على الحادث الآن بمعرفة شاهد عيان. استطرد "**أسكيو**" قائلا:

– تصوَّر أن لحظته الأخيرة قد حانت. انطلقت السيارة نحوه من فوق التل ولكنها انحرفت مصطدمة بالجدار بدلا منه والمعجزة أن الفتاة لم تقتل. فقال "**بوبي**":

– سيادتها لا تقتل بمثل هذه السهولة.

– وقعت لها حوادث عديدة إذن؟ فقال "**بوبي**":

– الحظ حليفها، ولكنني أؤكد لك يا سيد "**أسكيو**"، أنه عندما تتولى سيدتي القيادة بنفسها، كما يحدث في بعض الأحيان، أشعر بأن ساعتي قد حانت. هز عدد من الحاضرين رؤوسهم متأملين وقائلين إنه لا عجب في ذلك وإنه أمر متوقع. قال "**بوبي**" بنبرة مشاركة لم تخلُ من قدر من التنازل:

– مكان ظريف جداً هذا، وراقٍ أيضا على الرغم من صغر مساحته. فشكره السيد "أسكيو" على مجاملته.

– هل "ميرووي كورت" هو المبنى الوحيد الكبير في هذه المنطقة؟

– هناك منزل المزرعة أيضا يا سيد "**هوكينز**"، وإن لم يمكن اعتباره منزلا فلا أسرة تعيش فيه، لا، وظل خاليا حتى شغله ذلك الطبيب الأمريكي.

– طبيب أمريكي؟

– نعم، اسمه "**نيكلسون**"، ولعلمك الخاص يا سيد "**هوكينز**"، هناك أشياء غريبة تجري في هذا المنزل. علَّقت عاملة البار عندئذ قائلة إن جسدها يقشعر لمجرد ذكر اسم هذا الطبيب. فقال "**بوبي**":

– أشياء غريبة يا سيد "**أسكيو**"؟ ماذا تعني بذلك؟ هز السيد "**أسكيو**" رأسه بأسى وقال:

– بالمنزل أناس لا يرغبون في أن يكونوا هناك. أودعهم أقرباؤهم به. أؤكد لك أنك لن تصدق حجم الصياح والأنين والزمجرة الذي يحدث هناك.

– ولماذا لا تتدخل قوات الشرطة؟

– من المفترض أن يكون الحال على ما هو عليه، فالمكان لعلاج حالات عصبية وما إلى ذلك. من مرضى عقليين لا يمثلون خطورة حقيقية، وهذا الرجل طبيب ومهنته تعطيه الحق فيما يفعل. وهنا اختفى رأس صاحب الفندق بداخل وعاء "**باينتي**"، ثم خرج ثانية ليهتز متشككًا، فقال "**بوبي**" بنبرة اكتئاب ذات مغزى:

– آه! لو علمنا كل ما يجري في مثل هذه الأماكن... وشرب هو أيضًا من إناء "**بيوتري**". قالت عاملة البار بنبرة حماسية:

– سأخبرك يا سيد "**هوكينز**"، بما يجري هناك، ذات ليلة هربت من هناك شابة في ملابس النوم، وخرج الطبيب وعدد من الممرضات بحثًا عنها، ظلت تصيح متوسلة: "لا تدعوهم يعيدونني إلى هناك". كانت مثيرة للشفقة، وقالت إنها ثرية وإن أقاربها أودعوها هذا المكان للتخلص منها، ولكنهم أخذوها وأعادوها وتعلل الطبيب بأنها مصابة بفوبيا الاضطهاد، أي أنها تعتقد أن الجميع ضدها، ولكنني كنت أتساءل دائمًا... نعم، كنت أتساءل. فقال السيد "**أسكيو**":

– آه، من السهل جدًا أن يقول... وذكر أحد الحاضرين أن لا أحد يعلم شيئًا عما يجري في هذه الأماكن وصدّق آخر على قوله، وأخيرًا انفضّ الاجتماع وعبّر "**بوبي**" عن رغبته في التمشي قليلا قبل النوم. كان على علم بأن المزرعة تقع على الجانب الآخر من القرية، المواجه إلى "**ميرووي كورت**" لهذا وجّه خطاه إلى هناك؛ لأن ما سمعه في ذلك المساء بدا له جديرا بالاهتمام. من المؤكد أن قدراً كبيراً منه يستحق التغاضي عنه؛ لأن أهل القرية عادة ما يكونون متحاملين على السكان الجدد، وبخاصة إذا كانوا من قوميات أو جنسيات مختلفة. مادام "**نيكلسون**" يدير مصحّة لعلاج مدمني المخدرات، فمن المرجح جدًا أن تصدر عن هذا المكان أصوات غريبة ... أنين أو حتى صياح دون أسباب توحي بشيء فاسد أو شرير، ومع هذا أثرت الرواية عن الفتاة التي هربت من الدار في نفس "**بوبي**" إلى حد مزعج.

لنفترض أن المزرعة تستخدم بحق كمكان لاحتجاز الناس رغمًا عن إرادتهم، ويمكن في هذه الحالة الاستعانة بعدد من الحالات الحقيقية كستار لما يجري. وصل "**بوبي**" عند هذه النقطة من تأملاته إلى جدار مرتفع ذي مدخل من بوابات من

الحديد المشغول. تقدم إليها وحاول فتح إحداها برفق، ولكنها كانت مقفلة، ولمَ لا على أية حال؟ ومع ذلك أوحى إليه ملمس البوابة بشيء شرير غير مريح جعل من هذا المكان سجناً.

ابتعد قليلا عن الجدار ليسير على الطريق مقيِّما بعينيه ارتفاع الجدار، وما إذا كان يمكنه أن يتسلقه فيقفز إلى الداخل، ولكن الجدار كان أملس ومرتفعاً وليس به أية صدوع أو شقوق تساعده على التسلق. هزّ رأسه يائسا، ولكنه سرعان ما اهتدى إلى باب صغير وبلا أمل يذكر حاول فتحه ولدهشته فُتِح الباب؛ لأنه لم يكن مقفلا. ابتسم "بوبي" قائلا:

– ضرب من السهو. دخل وأغلق الباب بلا ضجة من خلفه. وجد نفسه على طريق ممتد من خلال بقعة معترشة. سار على هذا الطريق وكان كثير الانعطافات والالتواءات. ذكَّر "بوبي" بالطريق الذي ظهر في رواية "أليس من خلال المرآة"، وفجأة وبلا مقدمات انعطف الممر بشدة لينتهي عند رقعة مكشوفة مجاورة للمنزل، وكانت تلك ليلة مقمرة والبقعة مضاءة بوضوح . كان "بوبي" قد توغل بالفعل في ضوء القمر قبل أن ينتبه لذلك.

في تلك اللحظة ظهر شكل بشري لامرأة تاتي عند زاوية المنزل. كانت تسير بحرص شديد تحسباً لأن تحدث ضجة، وتنظر من جانب إلى جانب، بيقظة عصبية حيوان مطارد ... أو هكذا بدت لـ"بوبي" ،وفجأة توقفت حيث كانت، وبدأت تتمايل وكأنها ستسقط. اندفع "بوبي" إلى الأمام وأمسك بها. شحبت شفتاها متحولتين إلى اللون الأبيض بحيث بدا لـ"بوبي" أنه لم يسبق له مواجهة جزع بشري بهذا القدر. قال يطمئنها بصوت خافت جداً:

– لا بأس، لا بأس إطلاقا، أنت الفتاة؟ لأنها لم تزد عن كونها فتاة بصوت خافت وجفناها نصف مغمضين. قالت متمتمة:

– إنني خائفة.. خائفة جداً. سألها "بوبي":

– ما الخطب؟ اكتفت الفتاة بأن هزت رأسها ورددت بوهن:

– إنني خائفة.. خائفة جداً. وفجاة بدا أنها سمعت صوتاً ما انتصبت مبتعدة عن "بوبي" ثم استدارت نحوه قائلة:

– ارحل من هنا.. ارحل من هنا حالا. وقال "بوبي":

– أود مساعدتك.

– حقيقة؟ وظلت تنظر إليه على مدى دقيقة أو اثنتين. كانت نظراتها غريبة...

فاحصة ومؤثرة. بدت كما لو كانت تغور في عمق نفسه، ثم هزت رأسها قائلة:
– لا يمكن لأحد أن يساعدني. فقال "بوبي":
– يمكنني أنا، مستعد لأي شيء، أخبريني بما يخيفك. هزت رأسها قائلة:
– ليس الآن، أسرع، إنهم قادمون! لا يمكنك أن تساعدني ما لم تذهب الآن فوراً... فوراً. استسلم "بوبي" أمام إلحاحها. همس إليها قبل أن ينطلق على الممر قائلا:
– أنا نزيل بفندق "أنجلرز آرمز". وكان آخر ما رآه منها حركة بيدها تحثه على الإسراع بالرحيل، وفجأة سمع صوت وقع أقدام على الممر أمامه. شخص ما كان آتيا على الممر من خلال الباب الصغير. قفز "بوبي" إلى الشجيرات التي على جانب الممر فجأة، ولم تخطأ حركته. كان رجل يتقدم على الممر بقرب شديد من "بوبي" إلا أن الظلام كان حالكًا، فلم يتمكن "بوبي" من رؤية وجهه. بعدما توارى الرجل استأنف "بوبي" انسحابه. أحس بأنه ليس بإمكانه أن يفعل المزيد في تلك الليلة، وكان رأسه في مثل دوامة...
لقد تعرف إلى الفتاة... تعرف إليها بما لا يدع مجالا لأدنى قدر من الشك... كانت هي الأصل للصورة الفوتوغرافية التي اختفت بطريقة غامضة.

الفصل السادس عشر
"بوبي" يصبح محاميا

– السيد "هوكينز"؟
– نعم. هكذا أجاب "بوبي" بصوت مطموس؛ لأن فمه كان مملوءاً بقدر من طعام فطوره.
– أنت مطلوب على الهاتف. ارتشف "بوبي" قدراً من قدح قهوته وجفف فمه ونهض. كان الهاتف في ممر معتم ضيق. رفع السماعة وجاءه صوت "فرانكي":
– ألو! وأجاب هو بلا حذر:
– أهلا يا "فرانكي". وأجابته بصوت فاتر:
– الليدي "فرانسيس ديروينت" على الهاتف، هل هذا "هوكينز"؟
– نعم يا سيدتي.
– سأحتاج إلى السيارة في الساعة العاشرة لتقلني إلى "لندن".

– سمعًا وطاعة يا سيدتي. أعاد السماعة إلى موضعها وأخذ يتفكر: متى يقول المرء يا سيدتي، ومتى يقول سعادتك؟ ينبغي لي أن أعرف ولكنني لا أعرف، فهذا من الأمور التي تمكّن سائقًا أو كبير خدم حقيقيًا من كشف أمري، وعلى الجانب الآخر أعادت "فرانكي" سماعة الهاتف إلى موضعها، ثم التفتت إلى "روجر باسنجتون فرنش" تقول بنبرة عابرة:

– يضايقني أن أضطر إلى الذهاب إلى "لندن" اليوم، وكل هذا بسبب قلق والدي عليّ. فقال "روجر":

– ومع ذلك ستعودين في المساء؟

– آه، نعم! فقال بنبرة لا مبالاة:

– كنت أفكر في أن أطلب منك توصيلي إلى وسط المدينة. فكرت "فرانكي" مدة ثانية قبل أن تجيبه باستعداد باد:

– بكل تأكيد. فاستطرد قائلا:

– ولكنني عندما فكرت جيداً تبينت أنه ليس من المنطق أن أذهب اليوم، يبدو "هنري" في حالة أسوأ من المعتاد، ولا أحب أن أترك "سيلفيا" بمفردها معه. فقالت "فرانكي":

– أقدّر ذلك. سألها "روجر" بنبرة عابرة وهما يبتعدان عن الهاتف:

– ستقودين السيارة بنفسك؟

– نعم، لكن سيكون "هوكينز" معي. أريد أن أشتري بعض الأشياء أيضًا وهناك مضايقات عند قيادة السيارة بنفسك؛ لأنه لا يمكنك تركها في أي مكان.

– نعم، هذا صحيح. لم يزد بشيء لكن عندما وصلت السيارة وكان "بوبي" خلف عجلة القيادة معتدلا في جلسته تمامًا وصارمًا في تحركاته خرج إلى عتبة الباب لتوديعها. قالت "فرانكي":

– إلى اللقاء. ولم تفكر في أن تمد يدها إليه فأخذ هو يدها واحتفظ بها بعض الوقت قائلا بإلحاح غير عادي:

– ستعودين؟ فضحكت "فرانكي" قائلة:

– بالتأكيد، ما كنت أعنيه هو إلى اللقاء في المساء.

– اجتنبي الحوادث.

– سأدع "هوكينز" يتولى القيادة إذا كان هذا يرضيك. ثم اتخذت مكانها بجوار "بوبي" الذي لمس قبعته بأدب. انطلقت السيارة على الممر ولم يزل "روجر"

واقفًا على عتبة الباب يتابعها بنظراته. قالت "فرانكي" :

– "بوبي"، هل تظن أنه من الممكن أن يقع "روجر" في غرامي؟ فسأل "بوبي" :

– وهل وقع؟

– حسنا... إنني أتساءل وحسب. فقال "بوبي" :

– أعتقد أنك تعرفين الأعراض جيداً. ولكن "بوبي" قال ذلك بقدر من شرود ذهني، فرمقته "فرانكي" بنظرة سريعة مستفسرة:

– هل حدث أي شيء؟

– نعم يا "فرانكي"، لقد عثرت على الفتاة ... الأصل لتلك الصورة الفوتوغرافية!

– تعني الصورة التي تحدثت عنها كثيراً التي كانت في جيب المتوفى؟

– نعم.

– "بوبي"، عندي لك بعض الأخبار لكن لا شيء منها يرقى إلى هذا المستوى، أين عثرت عليها؟ أشاح "بوبي" برأسه إلى الخلف من فوق كتفه قائلا:

– بدار الرعاية التي يديرها الدكتور "نيكلسون".

– حدثني عن كل شيء. وصف "بوبي" لها بكل دقة وبكافة التفاصيل أحداث الليلة السابقة بينما أصغت "فرانكي" كابحة الأنفاس. قالت:

– إننا إذن على الطريق الصحيح، وللدكتور "نيكلسون" يد في كل ما يجري! "بوبي"، أشعر بالخوف من ذلك الرجل.

– كيف يبدو؟

– كبير الحجم، ذو قوة ذهنية ملحوظة، يظل يراقب بكل دقة من خلف نظارته، يشعرك بأنه يعرف عنك كل شيء.

– متى التقيت به؟

– أتى إلى العشاء. وصفت له حفل العشاء وإصرار الدكتور "نيكلسون" على الحديث عن تفاصيل "الحادث" الذي وقع لها، وأنهت روايتها بقولها:

– شعرت بأنه مرتاب. فقال "بوبي" :

– من المؤكد أنه من الغريب أن يتطرق إلى تفاصيل كهذه. ماذا تظنين وراء كل هذه الأمور يا"فرانكي"؟

– حسنا، بدأت أرى أن ظنك بوجود عصابة مخدرات، الذي كنت مترفعة عنه آنذاك، ليس بالتخمين السيىء على أية حال.

– وأن الدكتور "**نيكلسون**" على رأس العصابة؟

– نعم، بيت الرعاية المذكور أو تلك المصحَّة يشكل تمويهًا جيداً لهذا النوع من النشاط. يتيح له الاحتفاظ بكم معين من المخدرات بالدار بطريقة مشروعة تماما، وبينما يتظاهر بعلاج حالات الإدمان ربما يمدهم بما يحتاجون إليه منها. فقال "**بوبي**":

– يبدو هذا منطقيًا جداً.

– لم أخبرك بعد بـ "**هنري باسنجتون فرنش**". أصغى "**بوبي**" باهتمام إلى ما وصفت به حالة مضيفها المزاجية المتقلبة.

– وزوجته لا تشك في شيء؟

– أنا واثقة بأنها لا تشك.

– كيف تبدو، ذكية؟

– لم أر ذلك بالضبط. لا أعتقد أنها ذكية جداً وإن كانت مبهرة في بعض الجوانب. امرأة صريحة مريحة.

– ورجلنا "**باسنجتون فرنش**"؟ قالت "**فرانكي**" بتأنٍ:

– أمره يحيرني. هل تعتقد يا "**بوبي**"، أن هناك مجرد احتمال لأن نكون قد أخطأنا تماما بشأنه؟ فقال "**بوبي**":

– هراء! لقد بحثنا الوقائع جيداً قبل أن نقرر أنه لابد من أن يكون البطل الوغد لهذه الأحداث.

– بسبب الصورة الفوتوغرافية؟

– بسبب الصورة الفوتوغرافية لا أحد غيره يمكنه أن يستبدل بتلك الصورة صورة أخرى. فقالت "**فرانكي**":

– أنا مقتنعة بذلك ولكن هذه الجزئية هي كل ما لدينا لإدانته.

– وهي كافية تماما.

– أعتقد ذلك، ومع هذا...

– نعم؟

– لا أدري، ولكن يراودني إحساس غريب بأنه بريء، وأن لا شأن له بالموضوع إطلاقًا. رمقها "**بوبي**" بنظرة فاترة، ثم سألها بأدب:

– هل ذكرت أنه قد وقع في غرامك أم أنك أنت التي وقعت في غرامه؟ تورَّد وجهها خجلا.

– كف عن هذه الدعابة الغريبة يا "بوبي" ، كنت أتساءل وحسب عما إذا لم يكن هناك تفسير يبرئه وهذا كل ما في الأمر.

– لا أرى أن هناك مثل هذا التفسير، وبخاصة الآن بعد أن عثرنا على الفتاة في هذه المنطقة، فهذا يبدو رابطاً بين الأمور. لو كان لدينا فقط أدنى إلماعة عمن كان الرجل المتوفى...

– آه! هذه لدي. أخبرتك بذلك في خطابي. أكاد أكون متأكدة أن القتيل هو رجل يدعى "**ألان كارستيرز**" . وطفقت تزوده بتفاصيل هذه المعلومة. فقال "**بوبي**" :

– تعلمين، إننا في طريقنا إلى الحل بحق. لابد من أن نحاول بطريقة أو بأخرى إعادة ترتيب الأحداث. نسرد الوقائع التي لدينا ونرى ما يمكننا الخروج به منها. توقف عن الحديث لحظة وخفضت السيارة سرعتها كما لو كان تجاوباً معه. ضغط على دواسة البنزين مرة أخرى وبدأ الحديث في ذات الوقت.

– لنفترض أولا أنك تصيبين فيما يتصل بـ"**ألان كارستيرز**" من المؤكد أنه مستوف ظروف الواقعة. فهو من النوعية الصحيحة وعاش حياة التجوال، وأصدقاؤه ومعارفه في "**إنجلترا**" قليلون للغاية بحيث إنه إذا اختفى فمن غير المحتمل أن يفتقده أحد أو يسعى للبحث عنه. كل شيء متسق حتى هذا الحد. يأتي "**ألان كارستيرز**" إلى "**ستافرلي**" مع هؤلاء الناس، ماذا قلت؟ إن اسمهم...

– آل "**ريفينجتون**" وهناك وسيلة للاستقصاء عنهم. في الواقع إنني أرى ضرورة أن نتتبعهم.

– سوف نفعل ذلك. حسنا يأتي "**كارستيرز**" إلى "**ستافرلي**" بصحبة آل "**ريفينجتون**" ، والآن هل ينطوي هذا على شيء؟

– هل تعني أنه قد أملى عليهم اصطحابه إلى هنا متعمداً؟

– هذا ما أعنيه، أم أنها كانت مجرد مصادفة عابرة؟ هل اصطحبوه إلى هنا فالتقى عندئذ بتلك الفتاة مصادفة تماماً كما حدث لي؟ أفترض أنه كان يعرفها من قبل وإلا لما حمل صورتها معه. قالت "**فرانكي**" متأملة:

– والبديل لذلك هو أنه كان بالفعل يقتفي أثر الدكتور "**نيكلسون**" وعصابته.

– وأنه استخدم آل "**ريفينجتون**" كوسيلة طبيعية للمجيء إلى هنا؟ فقالت "**فرانكي**" :

– نظرية ممكنة تماماً. ربما أنه قد أتى في أثر هذه العصابة.

– أو في أثر الفتاة ببساطة تامة.
– الفتاة؟
– نعم، ربما كانت مختطفة وأتى إلى "إنجلترا" بحثًا عنها.
– لكن إذا كان قد أتى إلى "ستافرلي" في أثرها فما الذي جعله يذهب إلى "ويلز"؟ فقال "بوبي":
– واضح أن هناك أمورًا كثيرة لا نعرفها. فقالت "فرانكي" بعد تفكير:
– "إيفانز"، ليس لدينا أي شيء من شأنه أن يحل لنا لغز "إيفانز"، لابد من أن للجزئية الخاصة بـ"إيفانز" علاقة بمجيئه إلى "ويلز". صمتا بعض الوقت، ثم انتبهت "فرانكي" للأجواء المحيطة بها.
– يا إلهي! لقد وصلنا بالفعل إلى "بتني هيل". يبدو أن وصولنا إلى هناك لن يستغرق أكثر من خمس دقائق. إلى أين نذهب وماذا عسانا أن نفعل؟
– عليك الإجابة عن هذه الاستفسارات، فأنا لا أعلم حتى الهدف من مجيئنا إلى المدينة.
– الهدف الوحيد من المجيء إلى هنا هو مبرر للتحدث إليك. لم يمكنني أن أغامر بأن يراني أحدهم أتمشى في طرقات "ستافرلي" منهمكة في الحديث إلى سائق سيارتي. استخدمت الخطاب المزعوم من والدي كذريعة للمجيء إلى "لندن" والتحدث إليك في الطريق، وحتى هذه الخطة كادت أن تتحطم بمجيء "باسنجتون فرنش" معي أيضًا.
– كان هذا سيكون مدمرًا لهدفنا تمامًا.
– ليس إلى هذا الحد. كنا سننزله حيث يريد، ثم نتوجه إلى "بروك ستريت" ونتحدث هناك. أرى أنه من الأفضل أن نفعل ذلك على أية حال. منطقة ورشتك ربما تكون مراقبة. اتفق "بوبي" معها في هذا الرأي وروى لها عن الاستفسار الذي جرى عنه في "مارتشبولت". قالت "فرانكي":
– لنتوجه إذًا إلى منزل "ديروينت" بالمدينة، لا أحد هناك سوى وصيفتي واثنتين من الخدم. توجها إلى "بروك ستريت" ضغطت "فرانكي" زر ناقوس الباب وفتح لها على الفور وظل "بوبي" منتظرًا بالخارج. فتحت "فرانكي" الباب بعد لحظات وأشارت إليه بالدخول. توجها إلى الطابق العلوي وإلى حجرة الاستقبال الفسيحة حيث أسدلا بعض الستائر. قالت "فرانكي":
– هناك شيء آخر نسيت أن أقوله لك. في اليوم السادس عشر، يوم أن أصبت

بحالة التسمم، كان "باسنجتون فرنش" في "ستافرلي" ولكن الدكتور "نيكلسون" كان متغيبًا . . . يفترض أنه كان يحضر مؤتمرًا ما في "لندن" وسيارته "تالبوت" بلون أزرق داكن. فقال "بوبي" :

– وهو سهل التوصل إلى المورفين. تبادلا نظرات ذات مغزى، ثم قال "بوبي" :

– لا أفترض أن هذا دليل قاطع وإن كان متسقًا مع الظروف. توجهت "فرانكي" إلى منضدة جانبية، ثم عادت حاملة دليل الهاتف.

– ماذا ستفعلين؟

– سأبحث عن اسم "ريفينجتون" . وأخذت تقلب الصفحات بسرعة. حتى توقفت عند اسمين رجحت احتمال صلة ما لأحدهما أو للآخر بالموضوع.

– "بوبي" ، يتعين لقاء هؤلاء بلا تأخير.

– أرى أن هذا رأي صائب، لكن ماذا عسانا أن نقول؟ فكري في عدد من الأكاذيب يا "فرانكي" ، لست ماهرًا في ذلك جدًا. فكرت "فرانكي" في الأمر بعض الوقت ثم قالت:

– أرى أنك سوف تضطر إلى الذهاب إليهم بنفسك. هل ترى لديك قدرة على أن تتصرف كشريك شاب في مكتب محاماة مهم؟ فقال:

– هذا الدور مشرِّف جدًا. كنت أخشى أن تفكري لي في شيء دون ذلك بكثير، ومع ذلك فإن هذا التصرف ليس متسقًا تمامًا.

– كيف؟

– لا يقوم المحامون بزيارات للعملاء، أليس كذلك؟ يكتبون إليهم أو يستدعونهم في مواعيد محددة بمكاتبهم بمقتضى رسائل مكتوبة. فقالت "فرانكي" :

– هذه المنشأة بالذات غير تقليدية، انتظر دقيقة. غادرت الحجرة، ثم عادت إليها وبيدها بطاقة. قالت وهي تناوله إياها:

– يا سيد "فردريك سبراج" ، انت عضو شاب في منشأة "سبراج جنكنسون وسبراج" في "بلومزبيري سكوير" .

– هل ابتكرت اسم هذه المنشأة يا "فرانكي" ؟

– لا بكل تأكيد، إنها منشأة المحاماة التي يتعامل أبي معها.

– وماذا لو أنهم أثبتوا عليَّ تهمة انتحال شخصية؟

– لا بأس، فلا وجود لشاب اسمه "سبراج" ، والوحيد الذي يحمل هذا الاسم

في حوالي المائة من العمر ويحصل مني على أتعاب، ويمكنني التفاهم معه إذا حدث شيء ما، وهو نفَّاج كبير ذو ولع باللوردات وأصحاب الألقاب الرفيعة مهما قلَّ مستوى الأتعاب التي يتقاضاها منهم.

– وماذا بشأن الملابس؟ هل أتصل بـ"**بادجر**" ليحضر إليّ بعضها؟ بدت "**فرانكي**" غير مطمئنة إلى ذلك جداً. قالت:

– "**بوبي**"، لا أعني الإساءة إلى مشاعرك أو معايرتك بفقرك ولا شيئًا كهذا، لكن هل ستكون ملابسك مقنعة؟ أرى أنه من الأفضل أن نغير على خزانة ملابس أبي، ستكون ملابسه مناسبة لك إلى حد بعيد. بعد ربع الساعة كان "**بوبي**" قد ارتدى معطفًا نهاريًا وبنطلونًا ذا أقلام على مستوى رفيع من حسن الذوق والأناقة، ووقف أمام مرآة الحائط بحجرة اللورد "**مارتشنجتون**" يتأمل وسامته. قال بنبرة امتنان:

– والدك شديد الاهتمام بهندامه، أما أنا فأشعر في ظل كل هذه الأناقة باعتداد متزايد وثقة عظيمة بنفسي. قالت:

– أعتقد أنه من الواجب أن تحتفظ بالشارب. فقال "**بوبي**":

– نعم، إنه عمل فني لا يمكن تكراره في وقت قصير.

– من الأفضل أن تحتفظ به إذن وإن كان المظهر القانوني المثالي يقتضي حلاقة كاملة. فقال "**بوبي**":

– إنه أفضل من أن تكون لي لحية، والآن يا "**فرانكي**"، هل تعتقدين أن والدك لا يمانع في إقراضي قبعة؟

الفصل السابع عشر
السيدة "ريفينجتون" تتكلم

توقف "**بوبي**" عند عتبة الباب متسائلا:

– لو افترضنا أن السيد "**ريفينجتون**" المقيم في ميدان "**أونسلو**" هو ذاته محام؟ فسيكون هذا بمثابة صفعة عنيفة. فقالت "**فرانكي**":

– من الأفضل إذن أن تجرِّب العقيد "**ريفينجتون**" المقيم بشارع "**تايت**" أولا، لا علم له بأي شيء مما يخص المحامين. بناء على ذلك استقل "**بوبي**" سيارة أجرة. لم يكن العقيد "**ريفينجتون**" بالبيت، إلا أن زوجته كانت هناك. أعطى "**بوبي**"

الخادمة الأنيقة بطاقته المدون بها من السادة "**سبراج**"، "**سبراج جنكنسون**" و"**سبراج**" "عاجل جداً". كان لهذه البطاقة وملابس اللورد "**مارتشنجتون**" عظيم الوقع على الخادمة، فلم تعتقد أن "**بوبي**" قد أتى إليهم لتسويق التحف أو لإغرائهم بالتأمين. أُدخل حجرة استقبال فاخرة الأثاث والرياش، وفي الحال أتت السيدة "**ريفينجتون**" – في ثيابها القشيبة وزينة وجهها الأنيقة – إليه. قال "**بوبي**":

– يجب عليّ أن أعتذر لإزعاجك يا سيدة "**ريفينجتون**"، لكن الأمر الذي أتى بي إلى هنا عاجل إلى حدما ورأينا اجتناب التأخير المترتب على الاتصال بكم عن طريق البريد. أن يتمنى أي محام التأخير بدا من الأمور المستحيلة بوضوح تام حتى أن "**بوبي**" خشي على مدى لحظة قصيرة أن تكتشف هذه السيدة الخدعة. إلا أنه اتضح له على الفور أن السيدة "**ريفينجتون**" أكثر جمالاً منها عقلا وأنها تتقبل الأمور على علاّتها. قالت:

– آه، تفضل بالجلوس، تلقيت رسالة هاتفية الآن علمت منها أنك في الطريق إلينا. أثنى "**بوبي**" ذهنيًا على هذه اللمحة الذكية التي تفتق عنها ذهن "**فرانكي**" في آخر لحظة. جلس وبذل ما باستطاعته ليبدو على المستوى اللائق بالشخصية التي انتحلها. قال:

– الأمر يتعلق بموكّلنا السيد "**ألان كارستيرز**".

– آه، نعم؟

– ربما قد ذكر لك أننا وكلاء عنه. قالت السيدة "**ريفينجتون**" فاتحة عينيها الزرقاوين الواسعتين:

– أعتقد ذلك، ولكنني بالتأكيد أسمع عنكم، كنتم وكلاء عن "**دوللي ملترافيرز**"، أليس كذلك؟ التي أطلقت الرصاص على مصفف الشعر الوغد؟ أعتقد أنك على علم تام بتفاصيل الحادث؟ رمقته بنظرات الفضول السافرة، فادرك "**بوبي**" أنها ستكون لقمة سهلة. قال مبتسماً:

– نعرف الكثير مما لا تتناوله ساحات المحاكم. فنظرت إليه بحسد، ثم قالت:

– هذا صحيح بالتأكيد. أخبرني، هل كانت بالفعل.. أعني، هل كانت في ملابس.. كما ذكرت المرأة؟ قال "**بوبي**" بوقار سادلا طرف جفنه:

– نقضت هذه الرواية في المحكمة. فتنهدت السيدة انفعالا:

– آه، فهمت. قال "**بوبي**" وقد أحس أنه قد وطّد علاقة وديّة وأصبح يمكنه

مواصلة مهمته:

- بشأن السيد "**كارستيرز**" غادر "**إنجلترا**" على نحو مفاجئ جداً وربما تعلمين ذلك. هزت السيدة "**ريفينجتون**" رأسها قائلة:

- هل غادر "**إنجلترا**"؟ لم أعلم، فلم نره منذ فترة.

- هل أخبرك بالفترة التي كان يعتزم قضاءها هنا؟

- قال إنه ربما يمكث هنا أسبوعاً أو أسبوعين وربما تمتد إقامته إلى ستة أشهر أو عام.

- أين كان يقيم؟

- في الـ"**سافوي**".

- ومتى رأيته آخر مرة؟

- منذ حوالي ثلاثة أسابيع أو شهر، لا أتذكر جيداً.

- اصطحبتموه إلى "**ستافرلي**" ذات يوم؟

- بالتأكيد! أعتقد أن هذه كانت آخر مرة رأيناه فيها. اتصل بنا يتساءل متى يمكنه زيارتنا. كان قد وصل إلى "**لندن**" حالا وكان "**هوبرت**" مضطرباً جداً؛ لأنه كان من المقرر أن نتوجه إلى "**اسكتلندا**" في اليوم التالي، وكنا مرتبطين بموعد غداء في "**ستافرلي**" وموعد عشاء خارج البيت مع أناس مزعجين لم يمكننا التخلص منهم، وأراد زوجي أن يلتقي بـ"**كارستيرز**" لأنه كان يعتز به جداً؛ لهذا قلت له: يا عزيزي، لنصطحبه معنا إلى آل"**باسنجتون فرنش**"، لن يضايقهم هذا. وبالفعل ذهب معنا ولم يتضايق مضيفونا. توقفت عن الحديث لاهثة فسألها "**بوبي**":

- هل أخبركم بسبب مجيئه إلى "**إنجلترا**"؟

- لا، هل كانت هناك أية أسباب لذلك؟ آه، نعم، أعلم. اعتقدنا أن لمجيئه إلى هنا صلة بما حدث لذلك المليونير، صديقه الذي انتهت حياته نهاية مأساوية. أخبره أحد الأطباء بأنه مصاب بالسرطان فانتحر. خطأ كبير من جانب الطبيب أن يفعل ذلك. ألا ترى هذا؟ وعادة ما يكونون مخطئين تماما في تشخيصهم. قال طبيب عائلتنا ذات يوم إن ابنتي الصغيرة مصابة بالحصبة واتضح أنها مصابة بطفح جلدي، وقد طلبت من "**هوبرت**" ضرورة تغييره. عاد "**بوبي**" إلى الموضوع متجاهلا أسلوب حديث هذه السيدة عن الأطباء كما لو كانوا عددا من الكتب بمكتبة بيتها:

– هل كان السيد "كارستيرز" يعرف عائلة "باسنجتون فرنش"؟

– آه، لا، ولكنني أعتقد أنه أحبهم وإن كان غريب المسلك وسيىء المزاج في طريق عودتنا. أعتقد أن شيئا ما مما قيل لابد من أن يكون قد أغضبه، فهو كندي واعتقادي أن الكنديين مفرطو الحساسية.

– لا تعرفين ما الذي أغضبه؟

– ليست لديّ أدنى فكرة، أتفه الأمور تُغضب في بعض الأحيان، أليس كذلك؟ سأل "بوبي":

– هل قام بجولات سيراً على قدميه في هذه المنطقة؟ دققت النظر إليه قائلة:

– آه، لا ايا لها من فكرة غريبة! فكرر "بوبي" المحاولة:

– هل دعي إلى حفل ما؟ هل التقى بأي من الجيران؟

– لا، لم يلتق إلا بنا وبهم، لكن من الغريب أن تقول... ولما توقفت عن الحديث حثها "بوبي" بقوله:

– ماذا؟

– لأنه طرح عدداً كبيراً من الأسئلة عن أناس مقيمين على مقربة من هذا المكان.

– هل تذكرين الاسم؟

– لا، لا أذكر، لم يكن شخصية مثيرة للاهتمام... طبيب أو آخر.

– الدكتور "نيكلسون"؟

– أعتقد أن هذا هو الاسم، كان يريد أن يعرف كل شيء عنه وعن زوجته ومتى جاءا إلى هنا وأخباراً من هذا القبيل، بدا الأمر غريباً لأنه لا يعرفهما ولم يكن هو من النوعية الفضولية إطلاقاً، لكن ربما كانت استفساراته هذه من قبيل الحوار لا أكثر عندما لم يمكنه التفكير في أي شيء يقوله، جميعنا نفعل هذا أحياناً. اتفق "بوبي" معها في ذلك وسألها كيف تم التطرق إلى موضوع آل "نيكلسون"، لكن لم يمكن للسيدة "ريفينجتون" أن تخبره. قالت إنها قد كانت بالحديقة مع "هنري باسنجتون فرنش" وعندما عادت وجدت الآخرين يتحدثون عن هذين الزوجين.

جرى الحوار بطريقة سلسة جداً حتى تلك اللحظة واستقى "بوبي" المعلومات التي يطلبها دون حاجة إلى تمويه أو أي شيء آخر، إلا أن السيدة أبدت فضولا مفاجئا. سألت:

– لكن ما الذي تريد أن تعرفه عن السيد "كارستيرز"؟

– كنت أريد عنوانه، فكما تعلمين نحن وكلاء عنه وقد تلقَّينا حالا برقية عاجلة إلى حد ما من "**نيويورك**". تتعلق بالتقلبات الحادة الحالية بقيمة الدولار... أومأت السيدة "**ريفينجتون**" في محاولة يائسة أن تتفهم معنى ما يقول بينما استطرد "**بوبي**" مسرعاً:

– لهذا أردنا الاتصال به للحصول على تعليماته ولم يكن قد ترك لنا عنوانًا، وإذ كنا قد سمعناه يقول إن علاقة صداقة تربطه بكم رأيت أنه من الممكن أن تكون لديكم أخبار عنه. قالت السيدة "**ريفينجتون**" باقتناع تام:

– آه، فهمت، لكن للأسف فهو رجل غامض دائما. فقال "**بوبي**":

– هذا واضح. ثم نهض قائلا:

– أعتذر عن أنني استغرقت كل هذا القدر من وقتك. فقالت السيدة "**ريفينجتون**":

– إطلاقًا، وسرَّني أن أعرف أن موضوع "**دوللي ملترافيرز**" قد انتهى إلى ماذكرت أنه قد انتهى إليه. فقال "**بوبي**":

– لم أذكر عن هذا الموضوع شيئًا إطلاقًا. فقالت ضاحكة:

– هذا صحيح، ولكنني أقدّر كم أن المحامين يتوخَّون الحكمة والصمت. قال "**بوبي**" محدثًا نفسه في طريق عودته: "لا بأس في ذلك إذن. يبدو أنني قد سلبت "**دوللي**" هذه شخصيتها إلى الأبد، لكن يمكنني القول إنها تستحق ذلك، وهذه المرأة الغبية الساحرة لن تتساءل أبداً لماذا لم أتصل بهم هاتفيًا مادام كل ما أريده هو عنوان "**كارستيرز**"؟ إذ عاد إلى "**بروك ستريت**" ناقش مع "**فرانكي**" الموضوع من جميع زواياه. قالت "**فرانكي**" بعد لحظة تفكير:

– يبدو أن المصادفة المحضة هي التي ذهبت به إلى منزل آل "**باسنجتون فرنش**".

– أعلم، لكن يبدو أنه وهو هناك وجهت ملاحظة عابرة انتباهه إلى آل "**نيكلسون**".

– وبذلك يكون "**نيكلسون**" هو المتورط في هذا الموضوع وليس آل "**باسنجتون فرنش**"؟ نظر "**بوبي**" إليها مليًا، ثم سأل بنبرة فاترة:

– مازلت مصممة على تبرئة بطلك؟

– يا عزيزي... إنني أشير فقط إلى ما يوحي به هذا. إنه ذكر "**نيكلسون**" ودار الرعاية التي يديرها هو الذي أثار "**كارستيرز**" وكان ذهابه إلى آل "**باسنجتون فرنش**" بفعل المصادفة البحتة. ينبغي لك أن تعترف بذلك.

– هذا ما يبدو.

– ولماذا يبدو فقط؟

– لأن هناك احتمالاً واحداً آخر. ربما يكون "**كارستيرز**" قد اكتشف بطريقة أو بأخرى أن آل "**ريفينجتون**" كانا مدعويْن إلى الغداء عند آل "**باسنجتون فرنش**". ربما يكون قد سمع ملاحظة ما بهذا المعنى بالمطعم في ال "**سافوي**" بطريق المصادفة؛ ولهذا اتصل بهم يلح على زيارتهم ويحدث ما كان يأمل في أن يحدث، فهم مشغولون بترتيبات وارتباطات مسبقة فيقترحون عليه الذهاب معهم؛ لأن ذهابه لن يضايق أصدقاءهم بينما هم أنفسهم يرغبون في رؤيته. هذا ممكن يا"**فرانكي**".

– ممكن على حد اعتقادي، وإن كان هذا الأسلوب يبدو لي ملتوياً جداً. فقال "**بوبي**":

– ليس أكثر التواء من حادثك. فأجابت "**فرانكي**" بفتور:

– كان حادثي عملا مباشراً جريئاً. خلع "**بوبي**" ملابس اللورد "**مارتشنجتون**" وأعادها إلى موضعها السابق، ثم ارتدى زي السائق الخاص به، ومرة أخرى استقلا السيارة مسرعين العودة إلى "**ستافرلي**". قالت "**فرانكي**" بدلال:

– لو أن "**روجر**" قد وقع في غرامي فستسره عودتي مبكرة. سوف يظن أنني لا أحتمل الابتعاد عنه طويلا. فقال "**بوبي**":

– لست متأكداً ما إذا كنت تتحملين ذلك أيضاً. كثيراً ما سمعت أن المجرمين الخطرين جداً يتمتعون بجاذبية خاصة.

– لسبب أو لآخر لست مقتنعة بأنه مجرم.

– قلت ذلك قبلا.

– حسناً، هذا هو إحساسي الخاص.

– من غير الممكن أن نتجاهل أمر الصورة الفوتوغرافية. فقالت "**فرانكي**":

– اللعنة على الصورة الفوتوغرافية! قاد "**بوبي**" السيارة إلى الممر في صمت، وغادرتها "**فرانكي**" إلى داخل المنزل بلا نظرة إلى الوراء. انطلق "**بوبي**" مبتعداً عن المكان. بدا المنزل في حالة من الهدوء التام. نظرت "**فرانكي**" إلى الساعة وكانت تشير إلى الثانية والنصف. قالت محدثة نفسها: "لا يتوقعون عودتي قبل بضع ساعات أخرى. إنني أتساءل أين عساهم أن يكونوا؟" فتحت باب حجرة المكتبة لتدخل فتوقفت فجأة على العتبة. كان الدكتور "**نيكلسون**" جالساً على

الأريكة قابضا على كلتا يدي "سيلفيا" بيديه. هبّت "سيلفيا" واقفة على قدميها مسرعة وأقبلت من الجانب الآخر للحجرة نحو "فرانكي" قائلة:
– لقد أخبرني. جاء صوتها مختنقا ورفعت يديها إلى وجهها كما لو كانت لتخفيه عن الأنظار. قالت ناشجة:
– هذا فظيع! وغادرت الحجرة مسرعة. كان الدكتور "نيكلسون" قد نهض من فوق الأريكة. تقدمت "فرانكي" إليه بمقدار خطوة أو اثنتين. التقت عيناه الحذرتان بعينيها. قال بنبرة مهذبة:
– مسكينة هذه السيدة! كان للموضوع وقع الصدمة عليها. انقبضت العضلات عند زاوية فمه. تصورت "فرانكي" على مدى لحظة أنه كان مسروراً، ثم تبينت على نحو مفاجئ أن شعوره كان مختلفًا عن ذلك تمامًا. كان الرجل غاضبًا ويحاول كبح إحساسه.. يخفي غضبه خلف قناع هادئ مهذب إلا أن الغضب كان هناك. كان هذا كل ما أمكنه فعله حتى يخفي حقيقة مشاعره. سادت فترة صمت قال الطبيب بعدها:
– كان من الأفضل أن تعرف السيدة "باسنجتون فرنش" الحقيقة. أريد منها أن تقنع زوجها بان يضع نفسه تحت رعايتي. وقالت "فرانكي" بنبرة رقيقة:
– يؤسفني أنني قد أزعجتكما. ثم توقفت قليلا قبل أن تستطرد:
– عدت بأسرع مما كنت أعني.

الفصل الثامن عشر
فتاة الصورة الفوتوغرافية

لدى عودة "بوبي" إلى الفندق قوبل بمعلومة بأن شخصًا ما ينتظره. "إنها سيدة ستجدها بحجرة جلوس السيد "أسكيو"." توجه "بوبي" إلى هناك ما لم يكن قد طار إلى هناك بجناحين. لم يكن "بوبي" ليتصور أنه بوسع "فرانكي" أن تصل إلى هذا الفندق قبله، كما لم يلح بباله قط أن هذه الزائرة من الممكن أن تكون امرأة أخرى غير "فرانكي".
فتح باب الحجرة الصغيرة التي اتخذ السيد "أسكيو" منها حجرة جلوس خاصة به. كان فوق أحد المقاعد شكل بشري نحيل يرتدي السواد... فتاة الصورة الفوتوغرافية. أصابه ذهول شديد سلبه القدرة على الكلام لبضع لحظات. لحظ بعد

ذلك شدة توتر الفتاة. كانت يداها الصغيرتان ترتعشان وتنقبضان على المسند الجانبي للمقعد وتنبسطان. بدت متوترة إلى حد عدم القدرة على الكلام إلا أن عينيها الواسعتين نطقتا بتوسل جزع. قال "بوبي" في النهاية وهو يغلق الباب من خلفه ويتقدم نحو المنضدة:

– إنه أنت إذن؟ ولم تتكلم الفتاة أيضًا، ولم تزل تلك العينان الجزعتان تنظران إلى عينيه، وأخيرًا خرجت الكلمات. مجرد همس أجش:

– لقد قلت... لقد قلت... إنك تريد مساعدتي. ربما ما كان ينبغي لي أن آتي إلى هنا. فقاطعها "بوبي" مطمئنًا إياها:

– ما كان ينبغي لك أن تأتي؟ هذا هراء، فعلت صوابًا بأن أتيت، من المؤكد أنه ينبغي أن تأتي وأنا على استعداد لأن أفعل أي شيء... أي شيء في الوجود لمساعدتك. لا تخافي، أنت في أمان تام الآن. توردت وجنتا الفتاة قليلا. قالت على نحو مفاجئ:

– من أنت؟ لست... لست سائقًا، أعني ربما تعمل سائقًا ولكنك لست سائقًا حقيقيًا. فهم "بوبي" ما كانت تعنيه على الرغم من الأسلوب المضطرب الذي تحدثت به. قال:

– يقوم المرء بأي نوع من العمل في هذه الأيام، كنت أعمل في سلاح البحرية، وفي واقع الأمر أنا لست سائقًا بالمعنى المعروف، لكن لا أهمية لذلك الآن، وعلى أية حال أؤكد لك أنه بوسعك أن تثقي بي وأن تخبريني بكل شيء. عمق توردُ وجهها وهي تقول متمتمة:

– لابد من أنك تظن أنني مجنونة، نعم لابد من أن تظن بي ذلك.

– لا، لا.

– لأنني أتيت إليك هكذا، ولكنني خائفة ... خائفة جدًا. واضمحل صوتها واتسعت عيناها كما لو كانتا تنظران إلى مشهدٍ مروع. أمسك "بوبي" بيدها بقوة قائلا:

– اسمعيني، لا بأس إطلاقًا، سيكون كل شيء على خير ما يرام، أنت الآن في أمانٍ مع... مع صديق، لن يصيبك أي مكروه. أحس بضغط أصابعها على يده تجاوبًا معه. قالت بصوت خافت:

– عندما خرجت إلى ضوء القمر في تلك الليلة بدا لي ذلك مثل حلم... حلم بالخلاص. لم أعلم من تكون ولا من أين أتيت، ولكن مجيئك أعطاني أملا

فقررت أن آتي وأبحث عنك... وأخبرك. فقال "بوبي" مشجعًا:

– هذا صحيح، أخبريني، أخبريني بكل شيء. جذبت يدها من يده فجأة، ثم قالت:

– لو أخبرتك فستظن أنني مجنونة، إن عقلي قد تأثر بفعل وجودي في هذا المكان مع نزلائه الآخرين.

– لا، لن أظن، لن أظن حقيقة.

– سوف تظن ذلك لأن ما سأقوله يبدو جنونًا.

– سوف أعلم أنه ليس كذلك، أخبريني، أرجوك أخبريني. ابتعدت عنه بمسافة أكبر حيث جلست معتدلة تمامًا تنظر إلى الأمام على خط مستقيم. قالت بصوت جاف أجش:

– إنه مجرد هذا: أخشى من أن أُقتل. كانت تتحدث بكبت واضح ويداها ترتعشان.

– تُقتلي؟!

– نعم، يبدو هذا جنونًا، أليس كذلك؟ مثلا... بماذا يصفونه... جنون الاضطهاد؟ فقال "بوبي":

– لا، لا تبدين فاقدة الصواب أبدًا... إنك مجرد جَزِعة. أخبريني... من الذي يريد أن يقتلك ولماذا؟ صمتت لحظة وهي تقبض يديها وتبسطهما، ثم قالت بصوت خافت:

– زوجي.

– زوجك؟ اوتواردت الأفكار بذهن "بوبي". قال فجأة:

– من أنت؟ كان دورها في أن تبدو دهشة:

– الا تعلمَ؟

– ليست لديَّ أدنى فكرة. قالت:

– أنا "مويرا نيكلسون"، زوجي هو الدكتور "نيكلسون".

– لست مريضة هنا إذن؟

– مريضة؟! لا. واقتمّ لون وجهها فجأة وأردفت:

– أرى أنك تعتقد أنني أتحدث كواحدة من هؤلاء المرضى. قال محاولا طمأنتها بكل الوسائل:

– لا، لا، لم أعن ذلك إطلاقًا، بشرفي لم أعن ما قلته بهذا المفهوم، كل ما في

الأمر هو أنني دهشت عندما تبينت أنك متزوجة وكل ذلك، والآن استطردي بما تقولينه لي بشأن زوجك ورغبته في أن يقتلك.

– يبدو هذا جنونًا، ولكنه ليس كذلك... ليس كذلك! فأنا أرى هذا في نظراته إليّ، كما أن هناك أشياءً غريبة، قد وقعت حوادث. فقال "**بوبي**" بنبرة حادة:

– حوادث؟!

– نعم، أعلم أن هذا يبدو ضربًا من الهستيريا وكأنني أبتدعه. فقال "**بوبي**":

– إطلاقًا، يبدو منطقيًا جدًا. استطردي بشأن تلك الحوادث.

– كانت مجرد حوادث، عاد إلى الخلف بالسيارة دون أن يرى أنني كنت هناك، استطعت أن أقفز جانبًا في آخر لحظة، وكان هناك شيء ما وضع لي في زجاجة، يالها من أحداث غبية! ويظن البعض أن لا غبار عليها، ولكنها لم تكن كذلك... كانت مقصودة، أعلم هذا جيدًا، وقد سئمت الحذر منها ومحاولة ملاحظتها طوال الوقت حتى أحافظ على حياتي. ابتلعت لعابها بصعوبة بينما سألها "**بوبي**":

– ولماذا يريد زوجك أن يقتلك؟ ربما لم يكن ليتوقع إجابة محددة، ولكن الرد جاءه على الفور:

– لأنه يريد الزواج بـ "**سيلفيا باسنجتون فرنش**".

– ماذا؟! ولكنها متزوجة فعلا.

– أعلم، لكن لديه ترتيبًا خاصًا لذلك.

– كيف؟ ماذا تعنين؟

– لا أعلم بالضبط، لكن ما أعلمه هو أنه يحاول أن يأتي بالسيد "**باسنجتون فرنش**" إلى المزرعة كمريض.

– ثم؟

– لا أعلم، ولكني أعتقد أن شيئًا ما من شأنه أن يحدث. ارتعشت ثم أضافت:

– لديه نوع من السلطة على السيد "**باسنجتون فرنش**"، لا أعلم ما هو. قال "**بوبي**":

– "**باسنجتون فرنش**" يتعاطى المورفين.

– هل كذلك هو الأمر؟ "**جاسبر**" هو من يعطيه إياه إذن.

– يحصل عليه بالبريد.

– ربما أن "**جاسبر**" لا يمده به بطريق مباشر فهو ماكر جداً، وقد لا يعلم السيد "**باسنجتون فرنش**" أن "**جاسبر**" هو مصدره، وإن كنت واثقة بذلك تماماً، وبذلك يتمكن "**جاسبر**" من أن يقنعه بالمجيء إلى المزرعة ، ويتظاهر بمحاولة علاجه، وما إن يصل إلى هنا... توقفت عن الحديث مرتعدة، وقالت بعد ذلك:

– كل شيء يحدث هنا بالمزرعة أشياء غريبة، يأتي الناس إلى هنا للاستشفاء، ولا يشفون بل تسوء حالاتهم. وبينما كانت تتحدث أدرك "**بوبي**" انه أمام أجواء شريرة غريبة. أحس بتقدير لحجم الذعر الذي يغلف حياة "**مويرا نيكلسون**" طوال الوقت. سأل فجأة:

– تقولين إن زوجك يريد الزواج بالسيدة "**باسنجتون فرنش**"؟ أومأت برأسها قائلة:

– إنه متيَّم بها.

– وهي؟ فأجابت بنبرة متأنية:

– لا أعلم، لا يمكنني أن أقرر، تبدو في ظاهر الأمور شديدة الولع بزوجها وابنها وقانعة وتعيش في سلام، يبدو أنها امرأة بسيطة جداً، ولكنني أتصور في بعض الأحيان أنها ليست بالبساطة التي تبدو عليها. حتى أنني قد تساءلت بضع مرات عما إذا كانت تختلف تماماً عن المرأة التي نراها فيها، وعما إذا كانت تلعب دوراً ما وبإتقان شديد... لكن أعتقد في الحقيقة أن كل هذا هراء... تصورات سخيفة من جانبي... فعندما يعيش الإنسان في مكان كهذا يتعرض ذهنه للتشوش، ويبدأ يتصور أشياء كهذه. سألها "**بوبي**":

– وماذا عن الشقيق "**روجر**"؟

– لا أعرف عنه الكثير. أرى أنه ظريف، ولكنه من النوعية التي يمكن خداعها بسهولة. إنه شديد الإعجاب بـ"**جاسبر**". أعلم هذا جيداً، ويحاول "**جاسبر**" أن يجعله يقنع أخاه بالمجيء إلى المزرعة، أعتقد أن هذه الفكرة فكرته هو أساساً. انحنت نحو الأمام فجأة وأمسكت بكمِّ "**بوبي**" قائلة بنبرة توسل صادقة:

– لا تدعه يأتي إلى المزرعة؛ لأنه إذا أتى فشيء رهيب سوف يحدث. أعلم هذا جيداً. صمت "**بوبي**" قليلا وهو يقلب هذه الرواية الغريبة بذهنه، سألها أخيرا:

– منذ متى تزوجت الدكتور "**نيكلسون**"؟ ارتعشت وهي تقول:

– منذ ما يزيد على عام بقليل.

– ألم تفكري قط في الافتراق عنه؟

– كيف يمكنني؟ ليس لي مأوى أذهب إليه، ولا مال، وإذا قبل أحد إيوائي فأية مبررات أبدي؟ قصة خيالية عن أن زوجي يريد قتلي؟ مَنِ مِن الممكن أن يصدقني؟ فقال "بوبي" :

– حسنا، أنا أصدقك. صمت لحظة كما لو كان يستعد ذهنيًا لمسار عمل معين، ثم استطرد قائلا :

– اسمعيني، سوف أطرح عليك سؤالاً مباشرًا. هل تعرفين رجلا اسمه "ألان كارستيرز" ؟ رأى وجنتيها تتوردان.

– لماذا هذا السؤال؟

– لأنه يهمني أن أعرف الإجابة عنه، لدي فكرة بأنه لابد من أنك تعرفينه، وأنك في وقت ما أهديته صورتك. صمتت لحظة خافضة بصرها ثم رفعت رأسها ونظرت إليه قائلة :

– هذا صحيح تمامًا.

– عرفته قبل الزواج؟

– نعم.

– وهل أتى إلى هنا لرؤيتك منذ زواجك؟ ترددت قليلا ثم قالت :

– نعم، مرة واحدة.

– هل كانت منذ حوالي شهر؟

– نعم، أظن أنها كانت منذ شهر تقريبًا.

– كان يعرف أنك تقيمين هنا؟

– لا أعلم كيف عرف؛ لأنني لم أخبره، ولم أكتب إليه أيضًا منذ أن تزوجت.

– ولكنه اكتشف ذلك وأتى لرؤيتك. هل علم زوجك بذلك؟

– لا.

– تعتقدين أنه لم يعلم لكن ربما يكون قد علم مع ذلك؟

– ربما، ولكنه لم يقل شيئًا عن ذلك قط.

– هل تحدثت عن زوجك إلى "كارستيرز" إطلاقًا؟ هل أخبرته بمخاوفك على حياتك؟ هزت رأسها وقالت :

– لم أكن قد بدأت أشك بعد.

– لكنك كنت تعسة؟

– نعم.

– وقلت له ذلك؟

– لا، حاولت الا اظهر بأي شكل كان أنني لم أوفَّق في زواجي. فقال "بوبي" برفق:

– لكن ربما أمكنه أن يخمِّن مع ذلك. قالت بصوت خافت:

– أعتقد أنه ربما أمكنه ذلك.

– هل تعتقدين؟ لا أدري كيف أصوغه... هل تعتقدين أنه كان يعرف أي شيء عن زوجك... أن يكون قد ارتاب، على سبيل المثال، في أن دار الرعاية هذه ربما لا تكون ما بدت عليه تمامًا؟ تغضن حاجباها بينما كانت تحاول أن تهتدي إلى الإجابة. قالت أخيراً:

– هذا ممكن، طرح عليّ بعضِ الأسئلة الغريبة... لكن لا، لا أعتقد أنه من الممكن أن يكون قد عرف شيئًا عن هذا الموضوع. صمت "بوبي" برهة قصيرة أخرى ثم سأل:

– هل يمكنك القول إن زوجك رجل غيور؟ ولشدة دهشته أجابته على الفور:

– نعم، مفرط الغيرة.

– يغار عليك مثلا؟

– تعني حتى وهو لا يحبني؟ ومع ذلك نعم يغار، على الرغم من ذلك. يعتبرني ملكية خاصة له. إنه رجل غريب شديد الغرابة. ارتعدت ثم سألت فجأة:

– لا علاقة لك بالشرطة بطريقة أو بأخرى، ألست كذلك؟

– أنا؟ نعم لا علاقة لي!

– كنت أتساءل، أعني... خفض "بوبي" بصره إلى زي السائق الذي كان يرتديه، ثم قال:

– إنها قصة طويلة.

– أنت سائق الليدي "فرانسيس ديروينت"، ألست كذلك؟ هذا ما أخبرني به صاحب الفندق. التقيت بها على العشاء ذات ليلة.

– أعلم. توقف عن الحديث قليلا ثم قال:

– لابد من استدعائها إلى هنا، وصعب عليّ أن أقوم بهذه المهمة، هل تعتقدين أنه يمكنك الاتصال هاتفيًا وطلب التحدث إليها، ثم تطلبي منها أن تأتي لمقابلتك في أي مكان خارجي؟ قالت "مويرا" بنبرة متأنية:

– أعتقد أن هذا يمكنني.

- أعلم أن هذا الطلب يبدو غريبًا جدًّا، ولكنه لن يكون هكذا بعدما أوضّح لك الصورة. ينبغي لنا أن نلتقي بـ"**فرانسيس**" بأسرع ما يمكننا. الضرورة مُلحَّة. نهضت "**مويرا**" قائلة:

- حسنًا جدًّا. توقفت قليلا ويدها على مقبض الباب لتسأل:

- "**ألان كارستيرز**"، هل قلت إنك رأيته؟ فقال "**بوبي**" ببطء:

- رأيته لكن ليس مؤخرًا. حدَّث نفسه وقد استشعر صدمة: "من المؤكد أنها لا تعلم أنه قد لقي حتفه". قال:

- اتصلي بالليدي "**فرانسيس**" هاتفيًّا، وبعد ذلك أخبرك بكل شيء.

الفصل التاسع عشر
مداولات ثلاثية

عادت "**مويرا**" بعد بضع دقائق معلنة:

- اتصلت بها، طلبت منها أن تاتي للقائي بمنتدى صيفي صغير قريب من النهر، لابد من أنها رأت في الأمر غرابة، ولكنها قالت إنها ستأتي. فقال "**بوبي**":

- حسنًا، والآن أين يقع هذا المنتدى؟ وصفت "**مويرا**" له المكان بدقة والطريق إليه، فقال:

- حسنًا جدًّا، اذهبي أنت أولا وسوف ألحق بك هناك. التزما بالبرنامج بينما تعطَّل "**بوبي**" قليلا ليتحدث إلى السيد "**أسكيو**". قال بنبرة عابرة:

- غريب جدًّا، هذه السيدة، أعني السيدة "**نيكلسون**"، كنت أعمل لدى قريب لها... رجل كندي. ذلك لأن "**بوبي**" قد أحس أن زيارة "**مويرا**" له قد تثير الأقاويل والشائعات، وكان هذا آخر ما يريده تحسبًا لأن تبلغ هذه الشائعات أذني الطبيب. سأل السيد "**أسكيو**":

- هذا إذن الموضوع؟ كنت أتساءل بالفعل. فقال "**بوبي**":

- نعم ،تعرفت إليّ وجاءت لتطمئن على أخباري في الوقت الحالي، سيدة ظريفة عطوفة.

- ظريفة جدًّا في الواقع ، من غير الممكن أن تكون مستمتعة بحياتها في هذه المزرعة. فقال "**بوبي**" مؤكدًا:

- لا أتصور ذلك. وإذ شعر بأنه قد بلغ مراده خرج للتمشي بالقرية ومتظاهرًا بأنه

يسير بلا هدف معين. اتجه إلى الطريق الذي وصفته "مويرا" له. بلغ المكان بسهولة ووجدها في انتظاره هناك ولم تكن "فرانكي" قد ظهرت بعد. كانت نظرات "مويرا" مستفسرة صراحة، وأحس "بوبي" أنه مدين لها بشرح الأمور على الرغم من مشقة هذا العمل عليه. قال:

– هناك الكثير الذي أرى ضرورة أن أطلعك عليه. وعندما توقف عن الكلام فجأة حثته على مواصلته فقال:

– أولا أنا لست سائقًا وإن كنت أعمل بورشة في "لندن"، واسمي "جونز"... "بوبي جونز" وليس "هوكينز"، وأنا من "مارتشبولت" في "ويلز". كانت "مويرا" تصغي إليه باهتمام شديد، وكان واضحا أن اسم "مارتشبولت" لا يعني لها شيئًا. تشجع "بوبي" وقرر أن يتطرق إلى الموضوع الرئيسي.

– اسمعيني، يؤسفني أنني سأبلغك خبرا مزعجا، صديقك... "ألان كارستيرز" لابد من أن تعرفي أنه قد لقي حتفه. أحس بالدهشة التي استشعرتها، فحوّل بصره عن وجهها. هل اهتمت كثيرًا؟ هل كانت تحب هذا الرجل؟ صمتت برهة قصيرة ثم قالت بصوت خافت متأمل:

– لهذا لم يعد؟ كنت أتساءل. استرق "بوبي" نظرة إليها فارتفعت معنوياته. بدت حزينة مهمومة لكن لا شيء أكثر من ذلك. قالت:

– أخبرني بما حدث. ولم يتردد "بوبي" وقال:

– لقد سقط فوق الصخرة في "مارتشبولت"... البلدة التي أعيش فيها، تصادف أن كنت أنا وطبيب البلدة من عثرنا عليه. توقف قليلا ثم أضاف:

– كانت صورتك بداخل جيبه. ارتسمت على وجهها ابتسامة حزينة عذبة وهي تقول:

– حقيقة؟ حبيبي "ألان"... كم كان وفيًا! سألت بعد فترة صمت:

– متى حدث كل هذا؟

– منذ حوالي شهر. في اليوم الثالث من شهر تشرين الأول (أكتوبر) تحديداً.

– لابد من أن ذلك كان بعد مجيئه إلى هنا مباشرة.

– نعم، هل أخبرك بأنه متوجه إلى "ويلز"؟ هزت رأسها، وقال "بوبي":

– لا تعرفين أحدا اسمه "إيفانز"... أليس كذلك؟

– "إيفانز"؟ وقطبت "مويرا" مستغرقة في التفكير، ثم قالت:

– لا، لا أعتقد ذلك. إنه اسم شائع بالتأكيد ولكنني لا أستطيع أن أتذكر أحداً

له هذا الاسم. ماذا عنه؟

– هذا تماما ما لا نعرفه، آه... أهلا... ها هي "فرانكي". أقبلت "فرانكي" مسرعة على الممر. تضاربت التعبيرات على وجهها لرؤية "بوبي" والسيدة "نيكلسون" جالسين معًا في حديث ودي. بادرها "بوبي" بقوله:

– أهلا يا "فرانكي"، أنا سعيد بانك قد أتيت. لابد لنا من أن نتحدث معا. أولا السيدة "نيكلسون" هي أصل الصورة الفوتوغرافية. قالت "فرانكي" بشرود ذهن:

– أوه! ثم نظرت إلى "مويرا" وضحكت فجأة. خاطبت "بوبي" قائلة:

– يا عزيزي، أقدر الآن لماذا كان لرؤية السيدة "كييمان" في التحقيق وقع الصدمة عليك! فقال "بوبي":

– هذا صحيح تماما. كم كان أحمق! كيف كان له أن يتصور أن أية فترة زمنية مهما طالت من الممكن أن تحول امرأة مثل "مويرا نيكلسون" إلى أخرى مثل "أميليا كييمان"؟! قال متعجبا:

– يا إلهي، كم كنت غبيًا! بدت الحيرة واضحة على وجه "مويرا"، فقال "بوبي" لها:

– هناك أمور كثيرة يجب أن تعرفيها ولا أدري كيف أقولها لك جميعًا. وصف لها الزوجين "كييمان" وكيفية تعرفهما إلى الجثة، فقالت "مويرا" متحيرة:

– لكنني لا أفهم... جثة من كانت في الحقيقة... جثة شقيقها أم "ألان كارستيرز"؟ فقال "بوبي":

– هنا تأتي اللعبة القذرة. وأكملت "فرانكي" لها الرواية بقولها:

– ثم دس السم لـ"بوبي" بعد ذلك. وقال "بوبي" متأملا:

– ثماني قمحات من المورفين. فقالت "فرانكي":

– لا تبدأ الحديث عن هذه القصة. بوسعك أن تسترسل ساعات وساعات وهذا يضايق الآخرين. دعني أوضح الأمور. التقطت نفسا عميقًا ثم استطردت تقول:

– أتى الزوجان "كييمان" بعد التحقيق لمقابلة "بوبي"، والاستفسار منه عما إذا كان الشقيق المفترض قد قال شيئًا قبل أن يسلم الروح فأجابهما "بوبي" بالنفي، ولكنه تذكر بعد ذلك أن الرجل قال شيئًا عن رجل يدعى "إيفانز" فكتب إليهما بهذه المعلومة، وبعد أيام قليلة تلقى خطابًا تعرض فيه وظيفة عليه في "بيرو" أو مكان كهذا، وعندما رفضها حدث أن شخصًا ما دس له قدرًا كبيرًا من المورفين...

وهنا قاطعها "بوبي" قائلا:

– ثماني قمحات. واستطردت هي قائلة:

– في زجاجة الجرعة. يبدو أنه يستمتع بمعدة قوية جداً؛ لهذا لم تقتله هذه الجرعة. من ذلك رأينا أن "بريتشارد" هذا... أو "كارستيرز" لابد من أن يكون قد دُفع عمداً ليسقط على الصخرة. سألت "مويرا":

– لكن لماذا؟

– ألا تفهمين؟ الأمر واضح تماماً لنا. ربما لم أرو الحادث بوضوح كاف. على أية حال قررنا أن "روجر باسنجتون فرنش" ربما يكون الفاعل الحقيقي. قالت "مويرا" متأملة:

– "روجر باسنجتون فرنش"؟!

– هذا ما أمكننا التوصل إليه بتحليلنا الوقائع. ذلك لأنه كان هناك في موقع الحادث آنذاك، كما أن صورتك قد اختفت وبدا لنا أنه الوحيد الذي كان يمكنه أن يأخذها. فقالت "مويرا":

– فهمت. واستطردت "فرانكي" قائلة:

– ثم حدث أن وقع لي حادث في هذه المنطقة، مصادفة غريبة جداً، أليست كذلك؟ ونظرت إلى "بوبي" محذرة، ثم استطردت:

– لهذا اتصلت بـ"بوبي" هاتفيا واقترحت عليه أن يأتي إلى هنا متظاهراً بأنه سائق سيارتي حتى نتدارس الموضوع معاً. فقال "بوبي" متقبلا حيد "فرانكي" الوحيد عن الحقيقة:

– ترين الآن ما جرى إذن، وكانت ذروة الأحداث عندما كنت أتجول في المزرعة في الليلة الماضية والتقيتك مصادفة ... أصل الصورة اللغز. فقالت "مويرا" وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة:

– وتعرفت إليَّ بسرعة شديدة. فقال "بوبي":

– نعم، كان يمكنني التعرف إلى أصل الصورة في أي مكان. وبلا سبب معين تورَّد وجه "مويرا" خجلا، ثم بدا أن فكرة ما قد لاحت بذهنها؛ إذ نظرت من الواحد إلى الآخر قائلة:

– هل أنتما صادقان فيما أخبرتماني به؟ هل صحيح أنكما أتيتما إلى هنا بطريق المصادفة؟ أم أنكما جئتما لأنكما.. لأنكما... وهنا ارتعش صوتها رغماً عنها وهي تقول:

– شككتما في زوجي؟ تبادل "بوبي" مع "فرانكي" النظرات ثم قال:
– أقسم لك بشرفي أننا حتى لم نسمع عن زوجك قبل أن نأتي إلى هنا. فقالت:
– آه... أصدقك. ثم التفتت إلى "فرانكي" قائلة:
– أنا آسفة يا ليدي "فرانسيس". أذكر ذلك المساء عندما دعينا إلى العشاء كم ظل "جاسبر" يسألك عن تفاصيل الحادث. لم يمكنني أن أتوصل إلى سبب لذلك. أما الآن فاصبحت أظن أنه كان يشك في أن الحادث كان مفتعلا. فقالت "فرانكي":
– حسنا، لو أردت أن تعرفي... كان مفتعلا بحق، والآن كم أشعر براحة الضمير! رتّبنا لكلٍ شيء بدقة لكن لم يكن له علاقة بزوجك. قمنا بهذه المسرحية لأننا أردنا أن نتتبع "روجر باسنجتون فرنش". قطبت "مويرا" ثم ابتسمت غاضبة:
– "روجر"؟! هذا يبدو غريبًا تمامًا! فقال "بوبي":
– ومع ذلك، الوقائع تدينه. فهزت رأسها قائلة:
– "روجر"... آه... لا! من الممكن أن يكون ضعيفًا أو مندفعًا. من الممكن أن يتورط في دَيْن أو حتى في فضيحة... أما أن يدفع رجلا ليسقط على صخرة... فلا، لا يمكنني أن أتصور ذلك. فقالت "فرانكي":
– أتعلمين، لا يمكنني أنا أيضًا أن أتصور شيئا كهذا. أما "بوبي" فقال مؤكداً:
– لكن لابد من أن يكون هو الذي أخذ الصورة. اسمعيني جيداً يا سيدة "نيكلسون" وأنا أذكر الوقائع بترتيب حدوثها. وفعل ذلك بتأنٍ ودقة، وعندما انتهى أومأت برأسها متفهمة:
– فهمت ما تعنيه مع أنه يبدو غريبًا. ثم توقفت عن الحديث لحظة استطردت بعدها قائلة على غير المتوقع:
– لماذا لا تسألانه؟

الفصل العشرون
مداولات ثنائية

أدهشتهما بساطة جرأة هذا السؤال، وبعد لحظة بدأ كل من "فرانكي" و"بوبي" يتكلمان. قال "بوبي":
– هذا مستحيل. في ذات اللحظة التي قالت "فرانكي" فيها:

– لن يفيد هذا بشيء. ثم صمت كلاهما تمامًا عندما استوعبا إمكانية تنفيذ هذه الفكرة، وهنا قالت "مويرا" بحماس:
– إنني مقدرة ما تعنيان، يبدو أن "روجر" هو الذي أخذ الصورة، لكن لا يمكنني أن أظن لحظة واحدة أنه هو الذي دفع "ألان" فاسقطه؛ لأنه لماذا يفعل هذا؟ إنه حتى لا يعرفه، فلم يلتقيا إلا مرة واحدة كانت على العشاء هنا، ولم يكن قد سبق لهما أن التقيا قط تحت أي ظرف كان، فلا دافع إلى ذلك. فسألتها "فرانكي" صراحة:
– من إذن الذي دفعه؟ لاح شبح كآبة على وجه "مويرا". قالت بنبرة تحفُّظ:
– لا أعلم. فقال "بوبي":
– اسمعيني، هل يضايقك أن أطلع "فرانكي" على ما قلته لي بشأن مايخيفك؟ أشاحت "مويرا" بوجهها بعيدًا عنه وقالت:
– إذا أردت، لكن كل هذا يبدو خيالا وهستيريا، حتى انا لا يمكنني أن أقتنع به. وبالفعل بدت العبارة الصريحة التي نطقت بها بفتور تام في الهواء الطلق بتلك البقعة من الريف الإنجليزي مفتقرة إلى الصدق تمامًا. نهضت "مويرا" على نحو مفاجئ قائلة بشفتين مرتعدتين:
– أشعر بحق بأنني كنت غبية جدًّا، أرجو الا تعلق أية أهمية على أي شيء قلته لك يا سيد "جونز"، كنت في حالة توتر عصبي لا أكثر، وعلى أية حال ينبغي لي أن أنصرف الآن، إلى اللقاء. أسرعت الخطى ونهض "بوبي" ليتبعها لكن "فرانكي" دفعته بحزم إلى الخلف قائلة:
– ابق هنا أيها الغبي واترك هذا الأمر لي. ثم أسرعت وراء "مويرا" وعادت بعد بضع دقائق. سألها "بوبي" بقلق:
– حسنا؟
– لا بأس، استطعت تهدئتها، كان من الصعب عليها أن تسمعك تخبرني بمخاوفها، جعلتها تعدني بأن تلتقي بنا ثانية في وقت قريب، والآن وقد ذهب عنك عبء وجودها في أثناء الحديث عنها، أخبرني بكل ما قالته لك. أصغت "فرانكي" إليه باهتمام شديد حتى انتهى "بوبي" من حديثه، ثم قالت:
– هذا يتسق مع أمرين: أولهما أنني عدت الآن لأجد "نيكلسون" قابضا على كلتا يدي "سيلفيا"، وأخذ ينظر إليّ شذرًا! ولو كان للنظرات قدرة على أن تقتل لأصبحتُ جثة هامدة في ذات الزمان والمكان. سأل "بوبي":

– والأمر الثاني؟

– مجرد تعليق عابر، وصفت "**سيلفيا**" لي كيف أن صورة "**مويرا**" قد أثارت إعجابًا شديدًا لدى رجل غريب ما كان قد أتى إلى منزلهم، تأكد أن هذا الرجل هو "**كارستيرز**"، وأنه تعرّف إلى الصورة، أخبرته السيدة "**باسنجتون فرنش**" بأنها صورة السيدة "**نيكلسون**"، وهذا يفسر لنا كيف أمكنه الاهتداء إليها، ولكنني يا"**بوبي**" لا أرى حتى الآن دورًا لـ"**نيكلسون**" في كل هذا، ما هو دافعه إلي أن يودي بحياة "**ألان كارستيرز**"؟

– تعتقدين أنه هو وليس "**باسنجتون فرنش**"؟ لو كان هو و"**باسنجتون فرنش**" قد كانا في "**مارتشبولت**" في ذات ذلك اليوم، فهذا من قبيل المصادفة.

– وهناك مجال للمصادفات، لكن لو كان "**نيكلسون**" فلا أرى له دافعًا، هل كان "**كارستيرز**" يقتفي اثر "**نيكلسون**" على اعتبار أنه رئيس عصابة تهريب المخدرات؟ أم أن صديقتك الجديدة هي دافعه إلى القتل؟ فقال "**بوبي**":

– ربما يكون هذان الاحتمالان معًا، ربما علم أن زوجته و"**كارستيرز**" قد التقيا، واعتقد أن زوجته قد أفشت سره بأسلوب أو بآخر. فقالت "**فرانكي**":

– احتمال كبير، لكن ينبغي لنا أولا أن نتأكد بشأن "**روجر باسنجتون فرنش**"، الشيء الوحيد الذي نأخذه عليه هو موضوع الصورة. إذا أمكنه قشع الغموض المحيط بهذه العملية بطريقة مقنعة...

– هل ستتحدثين إليه في هذا الموضوع؟ هل في ذلك حكمة يا "**فرانكي**"؟ لو كان هو الوغد بطل هذا الحادث، كما قررنا أنه لابد من أن يكون، فهذا يعني لعبًا على المكشوف.

– ليس تمامًا... ليس بالأسلوب الذي سأتولى هذا الأمر به، فهو على الأقل صادق وواضح في كل شيء عدا هذا، لقد افترضنا أن هذا مكر من جانبه، لكن ماذا لو أنه براءة حقيقية؟ إذا أمكنه أن يبرر لنا موضوع الصورة فسوف أراقبه جيدًا في أثناء حديثه عنها، بحيث ألحظ أدنى قدر من التردد أو الإحساس بالذنب كما قلت، لو أمكنه أن يبرر موقفه من واقعة الصورة، فمن الممكن إذن أن يصبح لنا حليفا مفيدًا للغاية.

– كيف يا "**فرانكي**"؟

– يا عزيزي، صديقتك الصغيرة ربما تكون مثيرة للذعر ومروِّجة له... تعشق

المبالغة، ولكن بافتراض غير ذلك وأن كل أقوالها حقائق منزَّلة وأن زوجها يريد الخلاص منها والزواج بـ"سيلفيا"، ألا يرد بذهنك أنه - والحال كذلك - يكون "هنري باسنجتون فرنش" أيضاً مهدداً بالقتل؟ ينبغي لنا أن نحول دون ذهابه إلى المزرعة أيًّا كان الثمن، خاصة أن "روجر" الآن يؤيد وجهة نظر "نيكلسون". قال "بوبي" بهدوء:

- لا بأس يا "فرانكي"، واصلي العمل بهذه الخطة. نهضت "فرانكي" لتنصرف ولكنها توقفت لحظة ثم قالت:

- أليس هذا غريباً؟ نبدو وكأننا بين غلافي كتاب، فنحن عند منتصف رواية شخص آخر، إحساس غريب جداً. فقال "بوبي":

- أفهم ما تعنينه، شيء غير عادي، إنه أقرب إلى مسرحية منه إلى كتاب، كما لو كنا قد صعدنا إلى خشبة المسرح عند منتصف الفصل الثاني دون أن نكون قد لعبنا دوراً في المسرحية إطلاقا، لكن نجد نفسينا مضطرين إلى أن نتظاهر بالأداء، وما يزيد الموقف صعوبة علينا هو أنه ليست لدينا أدنى فكرة عما تناوله الفصل الأول منها. أومأت "فرانكي" بحماس قائلة:

- لست حتى متأكدة تماما أنه الفصل الثاني، فهو أقرب إلى الثالث. "بوبي"، أنا واثقة بأنه ينبغي لنا أن نعود إلى الوراء مسافة طويلة... وعلى وجه السرعة أيضاً؛ لأنني أتصور أن الستار سوف يُسدل عن قريب جداً. فقال "بوبي":

- على جثث متناثرة هنا وهناك، والذي أتى بنا إلى هذا العرض ليس إلا مُشعِرة منظمة.. عبارة عن خمس كلمات لا تعني لنا شيئاً إطلاقاً.

- لماذا لم يطلبوا من "إيفانز"؟ أليس هذا غريبا يا "بوبي"، أن نكون قد اكتشفنا الكثير وأدوار شخصيات وشخصيات في هذا الموضوع، ولم نقترب قيد أنملة من شخصية "إيفانز" الغامضة؟

- تراودني فكرة ما بشأن "إيفانز"، لدي إحساس بأن "إيفانز" هذا لا يمثل أدنى أهمية إطلاقا، وأنه على الرغم من أنه قد كان نقطة البداية إلا أنه ربما لا تكون له أهمية في حد ذاته، ربما نكتشف أنه شيء شبيه برواية "وِلْز" التي تحدثت عن أمير بنى قصراً أو معبداً رائعاً حول مقبرة حبيبته، وعندما اكتمل هذا البناء لم يكن به سوى شيء واحد يعيبه، فأمر الأمير باستبعاد ذلك الشيء الذي لم يكن سوى المقبرة ذاتها. فقالت "فرانكي" معلقة بل مؤيدة الفكرة:

- لا أؤمن في بعض الأحيان بوجود مثل هذا الـ"إيفانز". وإذ قالت ذلك أومأت

إلى "بوبي" ووجهت خطاها عائدة إلى المنزل.

الفصل الواحد والعشرون
"روجر" يجيب عن سؤال

حالفها الحظ بأن التقت بـ"روجر" على مسافة غير بعيدة عن المنزل. بادرها بقوله:

– أهلا، لقد بكّرت في العودة من "لندن". فقالت:

– لم أكن في حالة مزاجية تشجعني على إطالة البقاء بـ"لندن". سألها وقد لاحت على وجهه تعبيرات جادة:

– هل ذهبت إلى المنزل بعد؟ اكتشفت أن "نيكلسون" قد أخبر "سيلفيا" بموضوع "هنري" وكان وقع الخبر صعبًا عليها، بدا واضحًا أنه لم يكن لديها أي قدر من الشك. فقالت "فرانكي":

– أعلم هذا. كانا معًا بالمكتبة عند عودتي، وكانت منفعلة جدًا.

– اسمعيني يا "فرانكي"، ينبغي أن يخضع "هنري" للعلاج، لا يبدو الأمر وكأن تعاطي المخدرات قد سيطر عليه تمامًا، فلم تبدأ هذه العملية منذ فترة طويلة، كما أن لديه جميع الأسباب التي تحفّز رغبته في الشفاء: "سيلفيا" و"تومي" وبيته. ينبغي أن يوضح له الموقف تمامًا. "نيكلسون" هو الرجل الوحيد الذي يمكنه تصحيح هذا الوضع، تحدث إليّ منذ يومين إنه يحقق نجاحًا مذهلا حتى بشأن متعاطي هذه المواد البشعة منذ زمن طويل، لو أن "هنري" يوافق فقط على الذهاب إلى المزرعة... وهنا قاطعته "فرانكي" بقولها:

– اسمعني، لدي شيء ما أود أن أسأل عنه، مجرد سؤال أطرحه، وأرجو ألا تعتبرني متعمدة تغيير موضوع الحديث. قال بقمة الاهتمام:

– وما هو؟

– هل يضايقك أن تخبرني بما إذا كنت قد أخذت صورة فوتوغرافية من جيب الرجل المتوفي... ذلك الذي سقط على الصخرة في "مارتشبولت"؟ كانت تتأمل وجهه بدقة متناهية تراقب كل تعبيرات وجهه، وأرضاها ما رأته، فقد رأت قدرا طفيفًا من الضيق، أثر لإحراج وليس علامة على إحساس بالذنب أو الحزن. قال:

– كيف بحق السماء أمكنك التوصّل إلى تخمين ذلك؟ أم أن "مويرا" هي التي

أخبرتك... ولكنها لا تعلم؟

– فعلت ذلك إذن؟

– أرى أنه يجب عليّ أن أعترف.

– لماذا؟ بدا الإحراج واضحاً على "روجر" ثانية وقال:

– حسنا، قيّمي الموضوع على ما هو عليه كما فعلت أنا، بينما كنت أقوم بحراسة جثة غريب لا أعرفه برز شيء ما من جيبه، نظرت إليه وبمحض المصادفة كان صورة فوتوغرافية لامرأة أعرفها... امرأة متزوجة ولا أعتقد أنها سعيدة جداً في زواجها. ما الذي كان عساه أن يعقب ذلك؟ تحقيق، علانية، ومن الممكن أن يتصدّر اسم المرأة المسكينة صفحات جميع الصحف، تصرفت بالاندفاع الذي أملته عليّ تلك المفاجإة: أخذت الصورة ومزقتها. ربما أكون قد أخطأت في ذلك، ولكن "مويرا" امرأة صغيرة جميلة ولم أرغب لها في أن تتورط في مشكلة كهذه.

تنهدت "فرانكي" الصعداء، ثم قالت:

– كان هذا ما حدث إذن، آه لو كنت تعلم... فقال "روجر" متحيراً:

– أعلم ماذا؟

– لست واثقة بأنه يمكنني أن أخبرك الآن، ربما فيما بعد، الموضوع معقد بعض الشيء، أتفهّم جيداً مبررات أخذك تلك الصورة، لكن هل كان لديك أي اعتراض على أن تقول إنك قد تعرفت إلى الرجل؟ ألم يكن واجبا عليك أن تبلغ الشرطة بمن كان؟ فقال "روجر" وقد بدت عليه حيرة واضحة:

– تعرفت إليه؟ كيف كان لي أن أتعرف إليه؟ لم أكن أعرفه.

– ولكنك قد التقيت به في هذا المكان قبل أسبوع واحد.

– يا فتاتي العزيزة... هل فقدت صوابك؟

– "ألان كارستيرز"، سبق لك أن التقيت بـ"ألان كارستيرز"؟

– إي نعم، الرجل الذي حضر بصحبة آل "ريفينجتون" ولكن المتوفى لم يكن "ألان كارستيرز".

– بل كان! ظل كل منهما يحملق إلى الآخر، ثم قالت "فرانكي" بارتياب متجدد:

– لابد من أن تكون قد تعرفت إليه؟ فقال "روجر":

– لم أر وجهه قط.

– ماذا؟

– لا، كان مغطى بمنديل. دققت "فرانكي" النظر إليه ثم تذكرت فجأة أن "بوبي" قد ذكر لها، في أول رواية له عن المأساة، أنه قد غطى وجه الرجل بمنديل. قالت:

– ولم تفكر قط في رؤية وجهه؟

– لا، ولماذا أفكر في ذلك؟ فقالت:

– من المؤكد أنه عندما أعثر على صورة امرأة أعرفها في جيب رجل متوفى، فلابد لي من أن ألقي نظرة إلى وجه ذلك الرجل ،لا مبالاة غاية في الجمال! ثم استطردت تقول:

– مسكينة جداً هذه المرأة، كم أرثي لحالها!

– من تعنين؟ "مويرا نيكلسون"؟ ولماذا ترثين لحالها؟ فقالت "فرانكي" بتمعن:

– لأنها مذعورة.

– دائماً ما تبدو شبه مذعورة حتى الموت، مما هي مذعورة؟

– من زوجها. فقال:

– لست واثقاً بأنه تعنيني معاداة "جاسبر". قالت "فرانكي" فجأة:

– إنها متأكدة من أنه يحاول قتلها. رمقها بنظرات عدم تصديق وقال:

– يا إلهي! قالت "فرانكي":

– اجلس وسأخبرك بأمور عدةّ، أريد أن أثبت لك أن الدكتور "نيكلسون" مجرم خطير.

– مجرم؟! كان واضحاً من نبرة صوت "روجر" أنه غير مصدق شيئاً مما يقال. قالت:

– انتظر حتى تسمع الرواية كلها. روت له بكل دقة ووضوح كل ما جرى منذ اليوم الذي عثر "بوبي" والدكتور "توماس" فيه على الجثة، ولم تخف عنه شيئاً سوى أن الحادث الذي وقع لها كان مفتعلا، ولكنها أظهرت له أنها أطالت البقاء في "ميرووي كورت" رغبة منها في التوصل إلى جذور هذا اللغز. أصغى "روجر" إلى حديثها بكل اهتمام بل وبدا مفتوناً جداً بهذه القصة. سألها في النهاية:

– هل هذه القصة حقيقية بالفعل؟ ما حدث من إصابة ذلك الشاب "جونز" بالتسمم وكل ذلك؟

– حقيقية تماماً يا عزيزي.

– آسف على عدم تصديقي إياها على الفور، ذلك لأن أحداثها تتطلب بعض

الوقت لاستيعابها. صمت لحظة مقطبًا ثم قال أخيرًا:

– على الرغم مما تبدو عليه هذه الرواية من الخيال وعدم الواقعية، إلا أنني أرى أنك تصيبين في استنتاجك أن الرجل "أليكس بريتشارد" أو "ألان كارستيرز" لابد من أن يكون قد قُتل، فإذا لم يكن قد قُتل فلا يكون هناك معنى للمؤامرات على حياة "جونز"، وليس في رأيي أهمية لما إذا كانت عبارة "لماذا لم يطلبوا من "إيفانز" " هي العبارة المفتاحية أو غير ذلك، خاصة أنكم لا تعرفون من "إيفانز" وما الذي كان سيطلب منه، لنفترض أن القاتل أو القتلة ظنوا أن "جونز" يعرف شيئًا ما، بغض النظر عما إذا كان هو ذاته يعرفه أو لا يعرفه، وأن هذا الشيء خطر عليهم، بناء على ذلك حاولوا التخلص منه ومن المحتمل أن يكرروا المحاولة لو أنه أمكنهم اقتفاء أثره، إلى هنا يبدو هذا منطقيًا، ولكنني لا أرى الفكرة المنطقية التي تؤسسين عليها رأيك بأن "نيكلسون" هو هذا المجرم.

– إنه رجل شرير وسيارته "تالبوت" باللون الأزرق الداكن، وكان متغيبًا عن هنا في اليوم الذي أصيب "بوبي" فيه بالتسمم.

– هذا الدليل واهٍ جدًا.

– هناك أيضًا كلّ تلك الأمور التي أخبرت السيدة "نيكلسون" "بوبي" بها. قالتها مرة أخرى، ومرة أخرى بدت هذه الأمور غير واقعية ومبالغ فيها عند الحديث عنها على خلفية المشهد الهادئ لتلك البقعة من الريف الإنجليزي. هز "روجر" كتفيه قائلا:

– تعتقد أنه يمد "هنري" بالمخدرات، لكن هذا مجرد استنتاج وليس لديها أدنى دليل عليه، تعتقد أنه يريد أن يأخذ "هنري" كمريض إلى المزرعة وهذه أمنية طبيعية لأي طبيب، فالطبيب يرغب في أن يكون له أكبر عدد من المرضى، تعتقد أنه يحب "سيلفيا" ولا تعليق لدي على ذلك بالتأكيد. فقاطعته بقولها:

– إذا كانت تعتقد ذلك فربما تكون على صواب؛ لأن المرأة خير من يعلم بأحوال زوجها.

– حسنا، لنفترض أن هذا هو الحال، فلا يعني هذا أن الرجل مجرم خطير، كثيرون من الرجال المحترمين يقعون في غرام زوجات آخرين. فقالت "فرانكي" مؤكدة:

– وهناك أيضًا اعتقادها أنه يريد أن يقتلها. رمقها "روجر" بنظرات الاستغراب وقال:

– وتتقبلين هذا بجدية؟

– هي واثقة بذلك على الأقل. أومأ "روجر" ثم أشعل سيجارة، وقال:

– السؤال هو إلى أي مدى يجب الالتفات إلى اعتقادها هذا؟ المزرعة مكان كئيب مليء بالنزلاء من المرضى ومتعاطي المخدرات، والحياة هناك من السهل أن تُفقد المرأة توازنها وبخاصة إذا كانت من النوعية المتوترة الخائفة.

– لا تعتقد إذاً صحة ظنها؟

– لم أقل هذا، ربما تعتقد بصدق تام أنه يحاول قتلها، لكن هل هناك أساس واقعي لهذا الاعتقاد؟ لا يبدو له وجود. تذكرت "فرانكي" بوضوح تام أن "مويرا" قد قالت إنها الأعصاب وحسب، ولكن قولها ذلك بدا مشيراً لـ"فرانكي" إلى أن الموضوع لا صلة له بالأعصاب، لكنها وجدت صعوبة في الاهتداء إلى أسلوب تشرح به وجهة نظرها هذه لـ"روجر". في ذات اللحظة كان هذا الشاب يستطرد قائلا:

– لعلمك الخاص، لو أمكنك إثبات أن "نيكلسون" قد كان في "مارتشبولت" في يوم مأساة الصخرة فهذا يغيِّر مجرى الأمور، أو إذا تمكنّا من وضع يدنا على أي دافع محدد يربطه بـ"كارستيرز"، لكن يبدو لي أنك تتجاهلين المشتبه فيهما الحقيقيين.

– أي مشتبه فيهما؟

– الـ... ماذا قلت... إن اسمهما "هيمان" وزوجته؟

– "كييمان" وزوجَته.

– نعم، مما لا شك فيه أنهما متورطان في هذه الجريمة تمامًا، أولا هناك التعرف المزعوم إلى الجثة، يلي ذلك إصرارهما على معرفة ما إذا كان المسكين قد نطق بأي شيء قبل وفاته، وأعتقد أنه من المنطق الظن بأن ذلك العرض الذي جاء من "بوينس أيرس" قد أتى منهما أو بإيعاز منهما. فقالت "فرانكي":

– الأمر المحير هو كل تلك الجهود للعمل على إقصائك لأنك تعرف شيئًا ما، على الرغم من أنك لا تعلم ما هو ذلك الشيء. فقال "روجر" باكتئاب:

– نعم، كان هذا خطأ اقترفوه... خطأ سيقضون العمر كله في تصويبه. صاحت "فرانكي":

– لقد لاحت بذهني الآن فكرة ما، حتى هذه اللحظة كنت أظن أن صورة السيدة "كييمان" قد وضعت بدلا من صورة "مويرا". فقال "روجر" بنبرة حادة:

– أؤكد لك أنني لم أحتفظ قط فوق قلبي بصورة للسيدة "**كييمان**". يبدو لي أنها مخلوق منفّرٌ جداً. فقالت "**فرانكي**":

– حسنا، كانت أنيقة بأسلوبها الخاص... ذلك الأسلوب المغري بخشونة وجرأة، لكن ما أعنيه هو الآتي: لابد من أن "**كارستيرز**" كان يحمل معه صورتها وصورة السيدة "**نيكلسون**" معاً. أومأ "**روجر**" قائلا:

– وتعتقدين...

– أعتقد أن إحداهما بدافع الحب والأخرى علاقة عمل! كان "**كارستيرز**" يحمل معه صورة "**كييمان**" لسبب ما، ربما أراد أن يتعرف إليها شخص ما، والآن اسمعني... ماذا حدث؟ شخص ما ربما يكون "**كييمان**" الزوج يقتفي أثره ويتحين فرصة مواتية فيتسلل من خلفه والضباب مخيم ويسدد إليه دفعة قوية فيسقط "**كارستيرز**" بصرخة جزع مدوية، يغادر "**كييمان**" الزوج الموقع بأقصى سرعة ممكنة لأنه لا يعلم من عساه أن يكون في موقع قريب، لنفترض أنه لا يعلم أن تلك الصورة بجيب "**ألان كارستيرز**" فما الذي يحدث بعد ذلك؟ يتم نشر الصورة... فقال "**روجر**" مؤيداً:

– رعب في بيت آل"**كييمان**".

– بالضبط، وما العمل؟ الإجراء الجريء هو مواجهة الموقف بشجاعة، من الذي يعرف أن هذا الرجل هو "**كارستيرز**"؟ لا أحد بهذا البلد، فتذهب السيدة "**كييمان**" ذارفة دموع التماسيح وتتعرف إلى الجثة بأنها جثة شقيق لها، ويقومان ببعض الأعمال التضليلية بشحن بعض الطرود بالبريد تأييداً لنظرية الجولة سيراً على القدمين. قال "**روجر**" بنبرة إعجاب:

– تعلمين يا "**فرانكي**"، أرى أنه تحليل ذكي إيجابي. وقالت "**فرانكي**":

– وأنا أيضا أرى أنه منطقي، وأنك قد أصبت الرأي، ينبغي لنا أن نقتفي أثر الزوجين "**كييمان**"، لا أعرف لماذا لم نفعل هذا من قبل؟ ولم تكن هذه هي الحقيقة المجردة؛ لأن "**فرانكي**" كانت تعلم تمام العلم السبب في ذلك، وهو أنهما كان يقتفيان أثر "**روجر**"، ورأت أنه من غير الحكمة أن تكشف عنه عند هذه المرحلة. سألت على نحو مفاجئ:

– وماذا عسانا أن نفعل بشأن السيدة "**نيكلسون**"؟

– ما الذي تعنين... أن نفعله بشأنها؟

– المسكينة مذعورة حتى الموت يا "**روجر**"، أرى أنك غير مشفق عليها.

– ليس هذا صحيحًا تمامًا، غير أن من لا يمكنهم مساعدة أنفسهم يسببون لي ضيقًا شديداً.

– آه، لكن كن عادلا، ماذا بيدها أن تفعل؟ لا مال لها ولا مأوى. فقال "روجر" على غير المتوقع:

– لو كنت أنت مكانها يا "فرانكي" لاهتديت إلى شيء تفعلينه. أذهل هذا "فرانكي" إلى حد ما فقالت:

– آه!

– نعم، كنت ستفعلين شيئًا، لو اعتقدت بحق أن شخصًا ما يريد أن يقتلك فما كنت لتبقي خائفة حيث أنت في انتظار أن يقتلك، كنت ستهربين وتكسبين عيشك بطريقة أو بأخرى، أو كنت ستقتلين الشخص الآخر أولا! كنت ستفعلين شيئًا! حاولت "فرانكي" أن تفكر فيما كانت ستفعله في مثل هذا الظرف. قالت:

– كنت سأفعل شيئًا بالتأكيد. فقال "روجر" مؤكداً:

– حقيقة الأمر أن لديك الإرادة وليست لديها. أحست "فرانكي" بأنه كان يمتدحها ويجاملها، فلم تكن "مويرا" – في واقع الأمر – من النوعية التي تروقها بل وأغضبها إعجاب "بوبي" بها. حدثت نفسها بأن "بوبي" يهواهن ضعيفات. تذكرت عندئذ افتتانه الشديد بالصورة الفوتوغرافية منذ بادئ الأمر. قالت "فرانكي" محدثة نفسها: "حسنا، على أية حال "روجر" مختلف عنه". كان واضحًا أن "روجر" لا يهواهن ضعيفات، و"مويرا" من جانبها لم تكن معجبة بـ"روجر". كانت قد وصفته بالضعف واستبعدت فكرة أن تكون لديه الشجاعة الكافية لأن يقتل أحداً. ربما يكون ضعيفًا... لكن له سحر لا يُخطيء كانت قد استشعرته منذ لحظة وصوله إلى "ميرووي كورت". قال "روجر" بنبرة هادئة:

– لو أنك أردت يا "فــــرانكي"، يمكنك أن تصنعي من رجلك أي شيء تختارينه... أحست "فرانكي" بابتهاج مفاجئ مصحوبًا بخجل حاد؛ لهذا عمدت إلى تغيير الموضوع على الفور. قالت:

– بشأن شقيقك، هل لاتزال ترى ضرورة أن يذهب إلى المزرعة؟

الفصل الثاني والعشرون
ضحية أخرى

قال "روجر" :

- لا، لا أرى ذلك، هناك على الأقل أعداد لا تحصى من الأماكن التي يمكنه أن يتلقى الرعاية اللازمة فيها، المهم في الأمر أن نقنع "هنري" بأن يوافق على الذهاب للعلاج. سألت "فرانكي" :

- هل تظن أن هذا سيكون صعبًا؟

- ربما يكون كذلك للأسف، لقد سمعت ما قاله في تلك الليلة، ومن ناحية أخرى إذا أمكننا أن نتحين لحظات الندم التي تراوده وتدفعه إلى الرغبة في أن يكف عن هذه العادة السيئة، فسيختلف الوضع تماما، انتبهي... ها هي "سيلفيا" قادمة. خرجت السيدة "باسنجتون فرنش" من المنزل وظلت تتلفت حولها، وعندما رأت "روجر" و"فرانكي" توجهت نحوهما سيرا على المرج. رأيا كم بدت مهمومة ومتوترة. قالت:

- "روجر"، كنت أبحث عنك في كل مكان. ثم عندما أبدت "فرانكي" حركة توحي بتركهما معا قالت "سيلفيا" :

- لا يا عزيزتي، لا تذهبي بعيداً، ما الفائدة من إخفاء مثل هذه الأمور؟ على أية حال أظن أنك تعلمين كل شيء عن الموضوع، لقد شككت في هذا الأمر منذ فترة... أليس كذلك؟ وأومأت "فرانكي" فقالت "سيلفيا" بنبرة أسى:

- بينما لم أر أنا شيئا، كلاكما رأى ما لم أكن حتى أتوقعه قط، كنت أتساءل فقط لماذا تغير "هنري" إلى هذا الحد تجاهنا جميعا، كنت أشعر بتعاسة شديدة، ولكنني لم أخمن السبب قط. توقفت قليلا ثم استطردت تقول بنبرة مختلفة قليلا:

- ما إن أطلعني الدكتور "نيكلسون" على حقيقة الأمر حتى توجهت إلى "هنري" رأسا، لم أتركه إلا الآن. توقفت عن الحديث لحظة تكبح نشيجا ثم قالت:

- "روجر"، سيكون كل شيء على خير ما يرام، لقد وافق، وسيذهب إلى المزرعة غدا ويضع نفسه بين يدي الدكتور "نيكلسون".

- آه، لا... جاءت هذه العبارة التعجبية من "روجر" و"فرانكي" في ذات

اللحظة، فنظرت "سيلفيا" إليهما دهشة، وهنا تحدث "روجر" مترددًا:
– تعلمين يا "سيلفيا"... كنت أفكر في الموضوع، ورأيت أن ذهابه إلى المزرعة ليس بالفكرة الصحيحة. سألته بنبرة ارتياب:
– هل تعتقد أنه يمكنه المقاومة بنفسه؟
– لا، لا أعتقد ذلك، ولكن هناك أماكن عديدة أخرى ليست إلى هذا الحد من القرب من المنزل، وأنا مقتنع بأن بقاءه بهذا الحي ليس من الحكمة. وهنا قالت "فرانكي" مؤيدة وجهة نظره:
– أنا واثقة بذلك. فقالت "سيلفيا":
– أما أنا فلا أوافق على ما تقولان، لا أحتمل أن يبتعد عن هنا، وأبدى الدكتور "نيكلسون" استعدادًا طيبًا وتفهمًا، ويسعدني أن يكون "هنري" تحت رعايته. فقال "روجر":
– كنت أظن أنك لا تستريحين لـ"نيكلسون" يا "سيلفيا". فقالت ببساطة تامة:
– لقد غيرت رأيي فيه، ما كان من الممكن أن يكون أحد أكثر ظرفًا ورقة منه بعد ظهر اليوم، لقد اختفى تحاملي الأحمق عليه تمامًا. سادت فترة صمت وكان الموقف محيرًا؛ إذ لا "روجر" ولا "فرانكي" كانا يعلمان ماذا عساهما أن يقولا تعقيبًا على قولها، فقالت "سيلفيا":
– مسكين "هنري"! لقد انهار عندما علم أنني قد عرفت سبب معاناته، ووافق على ضرورة مقاومة هذه الرغبة من أجلي ومن أجل "تومي"، ولكنه قال لي إنني لا أدرك ما يعنيه العلاج، وأعتقد أنني لا أدركه على الرغم من أن الدكتور "نيكلسون" قد شرح لي ذلك على نحو وافٍ.. وأنه يصبح كنوع من الاستحواذ يجعل الفرد غير مسؤول عن أفعاله، هذا ما قاله لي، آه يا "روجر" يبدو هذا بشعًا! ولكن الدكتور "نيكلسون" كان عطوفًا وأنا أثق به. بدأ "روجر" بقوله:
– ومع كل هذا أرى أنه من الأفضل... وسرعان ما قاطعته "سيلفيا":
– إنني لا أفهمك يا "روجر"، لماذا غيرت رأيك؟ منذ نصف ساعة فقط كنت متحمسًا لأن يذهب "هنري" إلى المزرعة.
– لقد أتيحت لي الفرصة منذ ذلك الحين لأن أفكر في الأمر مليًّا... وقاطعته "سيلفيا" ثانية:
– لقد اتخذت قراري على أية حال، وسوف يذهب "هنري" إلى المزرعة وليس

إلى أي مكان آخر. واجهاها في صمت ثم قال "روجر":

– تعلمين، أفكر في أن أتصل بـ"نيكلسون" هاتفيًا، سيكون قد عاد إلى البيت الآن، أريد فقط أن أتحدث إليه قليلا في هذا الموضوع. ودون أن ينتظر منها ردًا استدار متوجهًا إلى داخل المنزل. بينما وقفت المرأتان تنظران في عقبه. قالت "سيلفيا" بنبرة نفاد صبر:

– لا أستطيع أن أفهم "روجر"، منذ ربع ساعة مضت كان يحثني بحماس على أن أرتِّب لذهاب "هنري" إلى المزرعة. شابت صوتها نبرة غضب مؤكدة، فقالت "فرانكي":

– ومع ذلك، أتفق معه في الرأي، لقد قرأت ذات مرة ضرورة أن يذهب الناس في مثل هذه الحالات إلى أماكن بعيدة عن بيوتهم للعلاج. فقالت "سيلفيا":

– لا أرى معنى لذلك. أحست "فرانكي" بحيرة شديدة. هذا العناد غير المتوقع من جانب "سيلفيا" يزيد الموقف صعوبة، كما أنها أصبحت فجأة تدافع عن "نيكلسون" بذات القدر من العنف الذي كانت متحاملة به عليه فيما سبق. كان من الصعب على "فرانكي" أن تختار الحجج التي من الممكن أن تفيد في هذه الظروف، حتى أنها فكرت جديا في أن تُطلع "سيلفيا" على القصة كاملة، لكن هل كانت "سيلفيا" ستصدق؟ حتى "روجر" لم يستوعب تمامًا فكرة تورط "نيكلسون" في الجريمة؛ لذلك من الممكن لـ"سيلفيا" في ظل هذه الشراكة الجديدة فيما يتصل بالطبيب أن تكون أقل تصديقًا لهذه القصة. بل وربما تخبره بها كاملة. الموقف صعب بكل تأكيد.

مرت طائرة على ارتفاع منخفض من فوقهما في الظلام المخيم محدثة ضجة عالية. نظرت المرأتان إليها وقد أحست كلتاهما بارتياح لهذه الفترة من الراحة التي وفرتها لهما في لحظة لم تعرفا فيها ماذا تقولان. أتاح هذا لـ"فرانكي" فرصة لتجميع أفكارها ولـ"سيلفيا" وقتًا تفيق فيه من نوبة غضبها المفاجئ، وعندما اختفت الطائرة من فوق الأشجارواضمحل أزيزها على البعد التفتت "سيلفيا" إلى "فرانكي" فجأة لتقول:

– الموقف فظيع، ويبدو لي أن كليكما يريد إبعاد "هنري" عني. فقالت "فرانكي":

– لا لا، الأمر ليس كذلك إطلاقًا، كل ما هنالك هو أننا نرى أنه ينبغي له أن يحصل على أفضل علاج ممكن مع اعتقادنا أن الدكتور "نيكلسون" مدعي مهارة

في العلاج إلى حد ما. فقالت "**سيلفيا**":

– لا أصدق ذلك، وأرى أنه ماهر جداً ومن النوعية التي يحتاج "**هنري**" إليها تحديداً. ورمقت "**فرانكي**" بنظرات التحدي ودهشت "**فرانكي**" إزاء السلطة التي اكتسبها هذا الرجل على "**سيلفيا**" في مثل هذا الزمن القصير. بدا أن كل عدم ثقتها السابقة بهذا الرجل قد تلاشت تماماً. لم تعرف "**فرانكي**" ماذا تقول أو تفعل إزاء ذلك فآثرت الصمت التام. حضر "**روجر**" عائداً من المنزل وبدا لاهثا بعض الشيء. قال:

– لم يعد "**نيكلسون**" إلى البيت بعد، تركت له رسالة. قالت "**سيلفيا**":

– لا أرى سبباً لأن تريد لقاء الدكتور "**نيكلسون**" بهذا القدر من الاستعجال، أنت الذي اقترحت هذه الخطة وقد أعد كل شيء للتنفيذ ووافق "هنري" على أن يذهب. فقال "**روجر**" برفق:

– أظن أن لي رأياً في الموضوع يا "**سيلفيا**"؛ لأن "**هنري**" شقيقي قبل كل اعتبار آخر. فقالت "**سيلفيا**" بعناد:

– أنت الذي اقترحت هذه الخطة بنفسك.

– نعم، ولكنني سمعت أشياء عن "**نيكلسون**" بعد ذلك.

– أية أشياء؟ أنا لا أصدقك. عضت شفتها ثم استدارت مسرعة ودخلت المنزل. نظر "**روجر**" إلى "**فرانكي**" ثم قال:

– تصرف غريب قليلا.

– بل غريب جداً.

– ما إن تتخذ "**سيلفيا**" قراراً ما حتى تدافع عنه بعناد الشياطين.

– ماذا عسانا أن نفعل؟ جلسا على مقعد الحديقة ثانية وتباحثا في الأمر بعناية. اتفق "**روجر**" مع "**فرانكي**" في أن إخبار "**سيلفيا**" بالموضوع كاملا سيكون خطأ. رأى أن أفضل ما يمكن عمله هو التصرف مع الطبيب.

– لكن ماذا ستقول له على وجه التحديد؟

– لن أقول كثيراً وسأعتمد على التلميح، في جميع الظروف أتفق معك في شيء واحد... ألا يذهب "**هنري**" إلى المزرعة حتى لو اضطررنا إلى المصارحة في سبيل منعه من الذهاب؟ قالت "**فرانكي**" مذكِّرة إياه:

– سوف نكشف الموضوع كله في هذه الحالة.

– أعلم؛ لهذا ينبغي لنا أن نقوم بتجربة كل شيء آخر أولا، اللعنة على

"سيلفيا" ! لماذا عنادها في هذا التوقيت؟ فقالت "فرانكي" :

– هذا دليل على قوة تأثير الرجل.

– نعم، تعلمين... هذا يجعلني أميل إلى الأخذ برأيك بشأنه بغض النظر عن وجود الدليل أو غيابه... ما هذا؟ نهض كلاهما معًا. قالت "فرانكي" :

– أشبه بصوت طلقة نارية من داخل المنزل. نظر كل منهما إلى الآخر ثم أسرعا في اتجاه المبنى. دخلا من خلال النافذة الفرنسية بحجرة الاستقبال ومنها إلى الرواق. كانت "سيلفيا باسنجتون فرنش" واقفة هناك ووجهها شاحب بلون الورق. سأل:

– هل سمعت؟ إنها طلقة من حجرة مكتب "هنري". ترنحت فطوَّقها "روجر" بذراعه حتى لا تسقط بينما توجهت "فرانكي" إلى باب حجرة المكتب لتفتحه. قالت:

– إنه مقفل. فقال "روجر" :

– النافذة... وضعا "سيلفيا" وكانت في حالة شبه إغماء فوق إحدى الأرائك وخرجا مسرعين إلى الخارج عبر حجرة الاستقبال. سارا حول المنزل إلى نافذة حجرة المكتب وكانت مغلقة ولكنهما أطلا عبر الزجاج. كان ذلك عند غروب الشمس فلم يكن الضوءِ كافيًا، لكن أمكنهما رؤية ما بالداخل بوضوح كاف. استلقى "هنري" منبطحًا عبر المكتب وبصدغه جرح رصاصة واضح ومسدس على الأرض حيث سقط من يده. قالت "فرانكي" :

– لقد أطلق الرصاص على نفسه، كم أن هذا بشع! فقال "روجر" :

– عودي إليٍ الخلف قليلا، سأكسر النافذة. غلَّف يده بمعطفه وسدد إلى الزجاج ضربة قوية هشمته. جمع "روجر" الشظايا بعناية ثم دخل هو و"فرانكي" الحجرة، وفي تلك اللحظة أتت السيدة "باسنجتون فرنش" والدكتور "نيكلسون" مسرعين إلى الشرفة. قالت "سيلفيا" :

– ها هو الطبيب، لقد حضر حالا، هل أصاب "هنري" شيء ما؟ ثم رأت الجسد المنبطح على الأرض، وأطلقت صرخة. خرج "روجر" مسرعًا من خلال النافذة ودفع الدكتور "نيكلسون" بـ"سيلفيا" إلى ذراعيه، قائلا باقتضاب:

– خذها بعيدًا واعتن بها حتى لا ترى أكثر مما ينبغي. ودخل هو وانضم إلى "فرانكي". هز رأسه ببطء قائلا:

– مشهد مأساوي، مسكين "هنري"! أحس بأنه غير قادر على مواجهة الموقف.

انحنى فوق الجثة واعتدل ثانية قائلا:

– لا شيء ممكن عمله، لابد من أن الوفاة كانت فورية، أتساءل عما إذا كان قد ترك رسالة، عادة ما يفعل هؤلاء ذلك. تقدمت "فرانكي" إليه حتى وقفت بجواره. كان عند مرفق "هنري" ورقة كتبت عليها بضع كلمات... حديثا... فحواه واضح:

"أشعر بأن هذا هو أفضل حل، لقد سيطرت عليّ تلك العادة القاتلة بحيث لا يمكنني مقاومتها الآن، أريد أن أفعل أفضل ما يمكنني من أجل "سيلفيا"... "سيلفيا" و"تومي"، ليبارك الله كليكما يا عزيزيّ، اغفرا لي..." أحست "فرانكي" باحتقان في حلقها، قال "نيكلسون":

– ينبغي لنا ألا نلمس أي شيء، لابد من أن يكون هناك تحقيق، يجب أن نتصل بالشرطة. توجهت "فرانكي" بناء على تعليماته إلى الباب ثم توقفت وقالت:

– المفتاح ليس بالقفل.

– لا؟ ربما يكون في جيبه. ثم جثا وبحث بحرص وأخرج من جيب معطف المتوفى مفتاحا. جربه في القفل ففتح. خرجا معا إلى الرواق وتوجه الدكتور إلى الهاتف رأسا. أحست "فرانكي" بإعياء شديد وركبتاها ترتعشان من تحتها.

الفصل الثالث والعشرون
"مويرا" تختفي

اتصلت "فرانكي" بـ"بوبي" هاتفيا بعد حوالي ساعة قائلة:

– هل هذا "هوكينز"؟ أهلا "بوبي"، هل سمعت بما حدث؟ سمعت، أسرع، لابد من أن نلتقي في أي مكان، في وقت مبكر من صباح الغد أفضل، سأخرج قبل موعد الإفطار، لنقل في الثامنة في ذات المكان الذي التقينا فيه اليوم. أعادت السماعة إلى موضعها و"بوبي" ينطق بعبارة سمعا وطاعة يا سيدتي للمرة الثالثة، لصالح أية آذان فضولية مصغية. وصل "بوبي" إلى المكان المحدَّد أولا ولكن "فرانكي" لم تتركه ينتظر طويلا. بدت شاحبة مكتئبة.

– أهلا يا "بوبي"، أليس هذا مفجعا؟ لم أستطع النوم طوال الليل. قال "بوبي":

– لم أسمع أية تفاصيل، كل ما علمته هو أن السيد "باسنجتون فرنش" انتحر

بإطلاق الرصاص على نفسه، هل هذا صحيح؟

– نعم، تحدثت "سيلفيا" إليه لتقنعه بأن يقبل الخضوع لفترة علاج ووعدها بذلك، وبعد زمن وجيز جداً اعتقد أن شجاعته قد خانته فدخل حجرة مكتبه وأقفل بابها وكتب بضع كلمات على ورقة... و.. وأطلق الرصاص على نفسه...

"بوبي"، الأمر بشع للغاية، الجو كئيب. فقال "بوبي" بهدوء:

– أقدر. صمتا برهة. قالت "فرانكي" بعدها:

– سوف أضطر إلى الرحيل اليوم.

– نعم، أفترض ذلك، كيف حالها... أعني السيدة "باسنجتون فرنش"؟

– انهارت المسكينة، لم أرها منذ أن عثرنا على الرجل ميتاً، لابد من أن تكون قد أصيبت بصدمة شديدة. وأومأ "بوبي" بينما استطردت "فرانكي":

– من الأفضل أن تأتي بالسيارة في حوالي الحادية عشرة. لم يجب "بوبي"، فنظرت "فرانكي" إليه بنفاد صبر وقالت:

– ماذا بك يا "بوبي"؟ تبدو وكأن ذهنك قد شرد بعيداً جداً.

– آسف، في الواقع...

– ماذا؟

– حسنا، كنت أتساءل فقط. أعتقد... حسنا، أعتقد أن كل شيء على مايرام؟

– ماذا تعني؟

– أعني أنه من المؤكد أنه قد انتحر؟ فقالت "فرانكي":

– آه! فهمت. انخرطت في التفكير لحظة ثم قالت:

– نعم، إنه انتحار بالفعل.

– هل أنت واثقة تماماً؟ لا تنسي يا "فرانكي" ما قالته لنا "مويرا" بأن "نيكلسون" يسعى إلى الخلاص من فردين، حسنا، تم الخلاص من أحدهما الآن. فكرت "فرانكي" في الموضوع ثانية ولكنها هزت رأسها مرة أخرى قائلة:

– لابد من أن يكون انتحاراً، كنت مع "روجر" بالحديقة عندما سمعنا صوت الطلقة النارية، أسرعنا فوراً إلى الرواق عبر حجرة الاستقبال، كان باب حجرة المكتب مقفلا من الداخل، توجهنا إلى النافذة وكانت مغلقة أيضاً واضطر "روجر" إلى تهشيم زجاجها، ولم يكن "نيكلسون" قد ظهر على مسرح الأحداث حتى تلك اللحظة. فكر "بوبي" في هذه المعلومة ثم قال:

– يبدو الموضوع انتحاراً، لكن يبدو لي أن ظهور "**نيكلسون**" في المشهد كان مفاجئا جداً.

– كان قد نسي عصًا بعد الظهر وعاد ليأخذها. كان "**بوبي**" مقطبًا في حالة تفكير عميق.

– "**فرانكي**"... لنفترض أن "**نيكلسون**" هو الذي أطلق الرصاص على "**باسنجتون فرنش**"...

– بعدما أملى عليه أولا أن يكتب رسالة وداع يقر فيها بالانتحار؟

– أرى أن هذه أسهل وسيلة للتزوير ؛ لأن أي اختلاف في خط اليد سيكون ملحوظا.

– نعم، هذا صحيح ، واصل شرح نظريتك.

– يقتل "**نيكلسون**" الرجل بعد أن يترك رسالة الوداع، ثم يتسلل إلى الخارج بعدما يقفل الباب، ثم يظهر ثانية بعد بضع دقائق متظاهرا بانه قد قدم حالا. هزت "**فرانكي**" رأسها رفضا وقالت:

– إنها فكرة جيدة ولكنها غير متسقة مع الظروف، فاولا... كان المفتاح بجيب "**هنري**"...

– من الذي وجده به؟

– في الواقع إن "**نيكلسون**" هو الذي وجده.

– انتظري إذن، ماذا أكثر سهولة عليه من أن يتظاهر بأنه قد وجده به؟

– تذكّر أنني كنت أراقبه، وأنا واثقة بأن المفتاح كان بداخل الجيب.

– هذا ما نقوله عندما نشاهد ممارس الألعاب السحرية، نرى الأرنب وهو يوضع بداخل القبعة! فلو كان "**نيكلسون**" مجرما من الطبقة الأولى فقدر طفيف من خفة اليد لا يكلفه عناء كبيرا.

– حسنا، ربما تصيب في ذلك، لكن صدقني يا "**بوبي**"، العملية برمتها غير ممكنة، كانت "**سيلفيا**" بداخل المنزل فعلا عندما سُمع صوت الطلقة النارية، وخرجت إلى الرواق فور سماعها إياه، لو كان "**نيكلسون**" هو الذي أطلق الرصاصة وخرج من باب حجرة المكتب لكان لابد لها من أن تراه، أضف إلى ذلك أنها أخبرتنا بأنه قد قدم من الممر إلى الباب الخارجي، وأنها قد رأته قادما في اللحظة التي كنا نسرع فيها حول المنزل، وأنها ذهبت لاستقباله ثم اصطحبته إلى نافذة حجرة المكتب، لا يا "**بوبي**"، لدى الرجل دفع بالغيبة على الرغم من أنني

أكره أن أقول ذلك. فقال "بوبي":

– من حيث المبدإ لا أثق بمن لديهم دفع بالغيبة.

– وأنا أيضاً، ولكنني لا أرى كيف يمكنك دحض هذا الدفع.

– لا يمكنني؛ لأن شهادة "سيلفيا" لابد من أن تكون كافية.

– هذا صحيح. فقال "بوبي" متنهداً:

– لنعتبره حادث انتحار إذن، ما زاوية الهجوم التالية يا "فرانكي"؟ فقالت "فرانكي":

– آل "كييمان"، لا يمكنني أن أتصور كيف أهملنا أمر البحث عنهما من قبل، هل احتفظت بالعنوان الذي كان "كييمان" قد كتب إليك منه؟

– نعم، إنه ذات العنوان الذي ذكراه في التحقيق: الشارع رقم 17 حدائق "ليونارد"، "بادنجتون".

– ألا تتفق معي في أننا قد تناسينا قناة البحث هذه؟

– أتفق معك تماماً، ومع ذلك يا "فرانكي"، لاحت لي فكرة شيطانية بأننا قد نكتشف أنهما قد لاذا بالفرار، فلا أرى أنهما من السذاجة بحيث يبقيان.

– حتى لو كان هذا هو الواقع، فمن الممكن أن أكتشف شيئاً عنهما.

– لماذا تصرين على الحديث بضمير المتكلم؟

– لأنني... مرة أخرى... لا أرى أنه من الأفضل أن تظهر في هذه الجزئية، فهذا أشبه بمجيئنا إلى هنا ظنًّا منا أن "روجر" هو البطل الشرير في المشهد، أنت معروف لهما وأنا لست كذلك. سأل "بوبي":

– وكيف تقترحين التعرف إليهما؟ قالت "فرانكي":

– سأقوم بدور سياسي... أروج لانتخاب حزب المحافظين، سأحمل إليهما بعض النشرات. فقال "بوبي":

– هذا جيد بما يكفي، لكن كما سبق أن قلت ستجدي أن العصفورين قد طارا، هناك الآن أمر آخر يتطلب التفكير فيه... "مويرا". فقالت "فرانكي":

– يا إلهي، لقد نسيت موضوعها تماماً! فقال "بوبي" وقد شابت صوته نبرة فتور:

– لحظت ذلك. وقالت "فرانكي":

– لقد أصبت، لابد من أن نفعل شيئاً بشأنها. أومأ "بوبي" وقد لاح أمام عينيه ذلك الوجه الفاتن الشاحب. شيء ما مأساوي ذو صلة به. انتابه هذا الإحساس

منذ اللحظة الأولى التي وقع بصره فيها على الصورة التي كانت بجيب "**كارستيرز**". قال محدثا "**فرانكي**":

– لو كنت قد رأيتها في تلك الليلة التي ذهبت فيها إلى المزرعة للمرة الأولى، كانت فاقدة الصواب لشدة الجزع، وأؤكد لك يا "**فرانكي**" أنها صادقة فيما قالته، ليس هذا راجعاً إلى تعب أعصاب أو تخيلات أو أي شيء من هذا القبيل؛ لأنه إذا كان "**نيكلسون**" يريد الزواج بـ "**سيلفيا باسنجتون فرنش**" فهناك عقبتان تحولان دون تنفيذ رغبته. أزيحت إحداهما الآن؛ لهذا أشعر بأن حياة "**مويرا**" قد أصبحت معلقة بشعرة، وأن أي تأخير ربما يكون قاتلا. نبهت نبرة الشغف التي قال "**بوبي**" هذا بها ذهن "**فرانكي**" فقالت:

– أصبت الرأي يا عزيزي، وأصبح لزاماً علينا أن نتصرف بأقصى سرعة ممكنة، لكن ماذا سنفعل؟

– ينبغي لنا أن نقنعها بضرورة مغادرة المزرعة على الفور. أومأت "**فرانكي**" قائلة:

– رأيي الخاص أنه من الأفضل أن تذهب إلى "**ويلز**"... إلى القصر، لابد من أن تكون مكفولة الأمان هناك.

– إذا أمكنك الترتيب لذلك يا "**فرانكي**"، فلا شيء من الممكن أن يكون أفضل منه.

– الأمر غاية في البساطة، لا يلحظ أبي أبداً من يدخل أو من يخرج، وسوف يحب "**مويرا**"، أي رجل لابد من أن يحبها، فهي رقيقة جداً، غريب كيف أن الرجال يحبون الضعيفات. فقال "**بوبي**":

– لا أظن أن "**مويرا**" عاجزة عن التصرف تماماً.

– هراء! إنها أشبه بعصفور صغير ثابت في مكانه في انتظار أن يلتهمه ثعبان بلا أدنى قدر من المقاومة.

– ما الذي بوسعها أن تفعله؟ فقالت "**فرانكي**" بحماس:

– عشرات الأشياء.

– حسن، لا أرى ذلك، فلا مال لها ولا أصدقاء...

– لا تواصل الحديث هكذا وكأنك تخاطب مسؤولين عن جمعية أصدقاء اليتيمات. فقال "**بوبي**":

– آسف. وخيم صمت غاضب، فقالت "**فرانكي**" وقد استعادت هدوءها:

– أعتقد أنه من الواجب أن نبدأ هذه المهمة بأسرع ما يمكننا. فقال "بوبي" :
– وهذا ما أراه أيضا، حقيقة يا "فرانكي"، إنه كرم كبير منك أن... فقاطعته "فرانكي" قائلة:
– لا بأس، لايضايقني أن أصادق هذه الفتاة طالما لا تظل تتحدث عنها بهذه الطريقة الصبيانية وكان لا يدين لها ولا ساقين ولا لسانًا ولا مخًا. فقال "بوبي" :
– ببساطة تامة لا أفهم ما ترمين إليه. فقالت:
– حسنا، لا حاجة بنا إلى الحديث عن ذلك، فكرتي الآن أن أيًا ما كان ماسنقوم به فمن الأفضل أن نفعله على وجه السرعة، هل هذا اقتباس من عمل فني ما؟
– إنه صياغة جديدة لنص مقتبس معروف، استطردي يا ليدي "ماكبث". قالت "فرانكي" على نحو مفاجئ مغيرة موضوع الحديث:
– تعلم، دائما ما رأيت أن الليدي "ماكبث" قد شجعت زوجها على اقتراف كل تلك الجرائم لسبب بسيط وحيد: هو أنها كانت قد ملت الحياة، وملّت "ماكبث" أيضا. أنا واثقة بأنه كان من نوعية الرجال الهادئة الخانعة، الذين يدفعون زوجاتهم إلى الجنون بكثرة الملل، ولكنه ما إن اقترف الجريمة الأولى في حياته حتى أحس بأهميته وبدأ يتولد لديه جنون الإعجاب بالذات والغرور كتعويض عن مركب نقصه السابق.
– ينبغي لك أن تقومي بتأليف كتاب عن هذا الموضوع يا "فرانكي".
– لا أجيد التهجئة، والآن إلى أين وصلنا؟ نعم، إنقاذ "مويرا". من الأفضل أن تأتي بالسيارة في حوالي العاشرة والنصف. سأذهب إلى المزرعة وأطلب رؤية "مويرا"، وإذا كان "نيكلسون" متواجداً عندما ألقاها سوف أذكّرها بوعدها بأن تقضي معي بضعة أيام وآخذها معي في التو واللحظة.
– ممتاز يا "فرانكي"، يسعدني أننا لن نضيع وقتًا، فأنا أخشى من وقوع حادث آخر. فقالت "فرانكي" :
– في العاشرة والنصف إذن. كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف لدى عودتها إلى "ميرووي كورت". كان الفطور قد وضع على المائدة توًا، وكان "روجر" يملأ لنفسه قدح قهوة. بدا معتلاً منهكًا. قالت "فرانكي" :
– صباح الخير، لم أنم تقريبا طوال الليل، وفي النهاية نهضت في حوالي السابعة وخرجت للتمشي. فقال "روجر" :
– إنني غاية في الآسف لأنك تعرضت لكل هذه الهموم.

– كيف حال "سيلفيا" ؟

– أعطوها دواءً منومًا في الليلة الماضية، لا تزال نائمة على ما أعتقد، مسكينة، إنني متألم جدًا بشأنها، إنها مخلصة لـ"هنري" تمامًا.

– أعلم هذا. توقفت "فرانكي" عن الكلام لحظة، ثم بدأت تعرب عن رغبتها في الرحيل، فقال "روجر" عن غير رضا:

– أعتقد أنك ستضطرين إلى ذلك، ستعقد جلسة التحقيق يوم الجمعة، سوف أعلمك إذا كانت هناك ضرورة لحضورك، هذا متوقف على المحقق. شرب قدح قهوته وتناول قطعة من الخبز وانطلق للاهتمام بالأمور الكثيرة التي تتطلب الإنجاز. أحست "فرانكي" بشديد الأسف من أجله؛ إذ أمكنها أن تتصور كم الشائعات والفضول الذي من شأن حادث انتحار في الأسرة أن يثيره. ظهر "تومي" وكرَّست وقتها لمداعبته. أتى "بوبي" بالسيارة في حوالي العاشرة والنصف حيث وضعت أمتعة "فرانكي" بداخلها. ودَّعت "تومي" وتركت رسالة لـ"سيلفيا"، وانطلقت الـ"بنتلي" على الطريق. قطعا المسافة إلى المزرعة في وقت قصير جدًا. لم تكن "فرانكي" قد ذهبت إلى هناك من قبل. أحست بالاكتئاب لرؤية البوابات الحديدية العملاقة والنباتات غير المشذَّبة. قالت:

– مكان كئيب، لا عجب في أن تصاب "مويرا" بالذعر لإقامتها به. توجها بالسيارة إلى الباب الخارجي حيث نزل "بوبي" ودق الجرس. لم يجب أحد لبضع دقائق وأخيرا أتت امرأة في زي الممرضات وفتحته. قال "بوبي":

– السيدة "نيكلسون"؟ ترددت المرأة لحظة ثم تراجعت إلى داخل الرواق قليلا وفتحت الباب بقدر أكبر. قفزت "فرانكي" إلى خارج السيارة ودخلت المنزل، وأغلق من خلفها بصوت مدوٍّ مزعج. لحظت "فرانكي" أنه مزود بقضبان ومتاريس ثقيلة. أحست بالخوف على نحو يتنافى مع المنطق وكأنها سجينة في هذا المنزل الكئيب. حدثت نفسها قائلة: "هراء، "بوبي" بالسيارة خارج الباب، وأنا جئت إلى هنا في وضح النهار ولا شيء من الممكن أن يلحق بي". نفضت عنها ذلك الإحساس الغريب وتبعت الممرضة إلى الطابق الأعلى ثم إلى ممر. فتحت الممرضة بابًا ودخلت "فرانكي" حجرة جلوس صغيرة منمَّقة الفراش تزينها فازات الزهور والنقوش ذات الألوان المبهجة. ارتفعت معنوياتها. أما الممرضة فتمتمت بشيء ما ثم انصرفت. بعد انقضاء حوالي خمس دقائق فُتح الباب ودخل الدكتور "نيكلسون". لم تستطع "فرانكي" التغلب على فزع عصبي طفيف ولكنها

سترته بابتسامة ترحيب ومصافحة قائلة:

– صباح الخير.

– صباح الخير يا ليدي "**فرانسيس**"، آمل ألا تكوني قد جئت لتحملي لي خبراً غير سار عن السيدة "**باسنجتون فرنش**". فقالت "**فرانكي**":

– كانت لا تزال نائمة عندما رحلت.

– مسكينة هذه السيدة، من المؤكد أن طبيبها الخاص يشرف على رعايتها.

– نعم. توقفت عن الحديث قليلا ثم استطردت قائلة:

– أنا واثقة بأنك مشغول ولا ينبغي لي أن أستهلك وقتك يا دكتور "**نيكلسون**"، واقع الأمر أنني جئت للقاء زوجتك.

– للقاء "**مويرا**"؟ هذا جميل منك جدًّا. هل كانت تتخيل أم أن قدراً من الصلابة قد شاب تلك العينين الزرقاوين الباهتتين من خلف تلك النظارة السميكة؟ قال مردداً:

– نعم، هذا جميل منك جدًّا. فقالت "**فرانكي**" مبتسمة:

– سأجلس هنا وأنتظرها إذا كانت لم تنهض من فراشها بعد. فقال الدكتور "نيكلسون":

– آه! لقد نهضت. فقالت:

– حسن، أريد أن أقنعها بأن تأتي معي في زيارة، لقد وعدتني بذلك تقريبا. وابتسمت ثانية.

– هذا جميل منك جدًّا يا ليدي "**فرانسيس**"، فأنا واثق بأن "**مويرا**" كانت ستستمتع بذلك جدًّا. سألت "**فرانكي**" بنبرة حادة:

– كانت ستستمتع؟ ابتسم الدكتور "**نيكلسون**" كاشفًا عن أسنان بيضاء مستوية، وقال:

– لسوء الحظ أن زوجتي قد رحلت هذا الصباح.

– رحلت؟! إلى أين؟

– آه، من أجل قدر من التغيير، تعلمين أحوال النساء يا ليدي "**فرانسيس**"، وهذا المكان كئيب بعض الشيء لامرأة شابة، تشعر "مويرا" من وقت إلى أخر بأنها تحتاج إلى قدر من المرح والإثارة، فتغادر هذا المنزل على الفور. سألت "**فرانكي**":

– وأنت لا تعلم إلى أين ذهبت؟

– أتصور أنها توجهت إلى "**لندن**" حيث المتاجر والمسارح، تعلمين هذه الأمور. أحست "**فرانكي**" بأن ابتسامته هي أسوأ شيء رأته طوال حياتها. قالت بنبرة مرحة:

– سأذهب إلى "**لندن**" اليوم، هلاّ أعطيتني عنوانها؟ قال:

– عادة ما تنزل بفندق " **سافوي** "، ولكنني سأتلقى أخباراً منها في غضون يوم أو يومين، ليست مجتهدة في كتابة الرسائل للأسف، كما أنني أؤمن بالحرية الكاملة بين الزوجين، ولكنني أعتقد أن الـ"**سافوي**" هو المكان الأرجح أن تجديها به. فتح الباب ووجدت "**فرانكي**" نفسها تصافحه ويرافقها هو إلى الباب الخارجي، وكانت الممرضة واقفة عنده لتفتحه لها لتخرج، وكان آخر ما سمعته "**فرانكي**" هو صوت الدكتور "**نيكلسون**" وهو يقول بنبرة رقيقة وربما ساخرة:

– جميل منك أن تعرضي على زوجتي زيارة يا ليدي "**فرانسيس**".

الفصل الرابع والعشرون
في أثر آل "كييمان"

وجد "بوبي" صعوبة في الحفاظ على مظهر السائق الهادئ عندما خرجت "**فرانكي**" بمفردها من المنزل، ولأن الممرضة كانت لا تزال على مرمى السمع قالت بلهجة آمرة:

– سنعود إلى "**ستافرلي**" يا "**هوكينز**". انطلقت السيارة على الممر ومنه إلى خارج البوابة، ثم عندما بلغا بقعة خالية من المرور على الطرق أوقف "**بوبي**" السيارة ونظر إلى رفيقته متسائلا:

– ماذا حدث؟ وأجابت "**فرانكي**" وقد اتجه وجهها إلى الشحوب:

– "**بوبي**"، إنني غير مطمئنة تماما، لكن يبدو أنها رحلت من هنا.

– رحلت هذا الصباح؟

– أو في الليلة الماضية.

– ودونما اتصال بنا؟

– "**بوبي**"، لا أصدق هذا، كذب الرجل عليّ، أنا واثقة بأنه كاذب. شحب وجه "**بوبي**" تماماً وقال متمتماً:

– لقد ولّى الأوان، كم كنا غبيين! ما كان ينبغي لنا أبداً أن نتركها تعود إلى هناك بالأمس. همست "**فرانكي**" بصوت مرتعش:

– لا تعتقد أنها قد... ماتت... أليس كذلك؟ فقال "**بوبي**" بنبرة عنيفة كما كان ليطمئن نفسه بنفسه:

– لا. صمت كلاهما بضع لحظات ثم عدَّد "**بوبي**" استنتاجاته بأسلوب أكثر هدوءاً إذ قال:

– لابد من أن تكون لاتزال على قيد الحياة بسبب التخلص من الجثة وما إلى

ذلك، كما يجب أن يبدو موتها طبيعيًّا وعلى أثر حادث ما، لا، إما أنها قد رحلت إلى مكان ما ضد إرادتها وإما... وهذا هو الاعتقاد الأرجح أنها لاتزال هنا.

– بالمزرعة؟

– بالمزرعة. سألت "فرانكي":

– وماذا سنفعل نحن؟ فكر "بوبي" لحظة قال بعدها:

– لا أعتقد أنه بوسعك أن تفعلي أي شيء، عودي إلى "لندن" فقد اقترحت اقتفاء أثر آل "كييمان"، افعلي ذلك.

– آه يا "بوبي"!

– يا عزيزتي، لن تكوني بذات فائدة تذكر هنا، اصبحت معروفة... معروفة جدًّا، وقد أخبرتهم بأنك سترحلين، فما الذي بوسعك أن تفعليه؟ لا يمكنك مواصلة البقاء في "ميرووي"، كما لا يمكنك المجيء إلى "أنجلرز آرمز" والإقامة به، فهذا من شأنه أن يثير الاضطراب والشائعات، لا، لابد من أن ترحلي، ربما "نيكلسون" يشك لكن لا يمكنه أن يتأكد أنك تعرفين شيئًا، اذهبي أنت إلى المدينة وأبقى أنا هنا.

– في فندق "أنجلرز آرمز"؟

– لا، أعتقد أنه قد حان الوقت لأن يختفي سائقك الخصوصي، سأذهب إلى "أمبلديفر" وأقيم به، يقع على قيد ستة عشر كيلومترًا من هنا، وإذا كانت "مويرا" لا تزال في هذا المنزل الملعون فسوف أعثر عليها. فكرت "فرانكي" قليلا ثم قالت:

– "بوبي"، ستكون حريصًا؟

– ساكون خبيثًا مثل حيَّة. استسلمت "فرانكي" لهذا الرأي بفؤاد مثقل، فمن المؤكد أن ما قاله "بوبي" معقول بما يكفي. لن تكون هناك أي جدوى من بقائها هناك. قاد "بوبي" السيارة إلى المدينة وعندما دخلت "فرانكي" المنزل الواقع في "بروك ستريت" أحست بوحدة قاتلة. لم تكن من النوعية الخاملة التي تميل إلى تأجيل ما ينبغي لها القيام به، ففي الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم كانت سيدة أنيقة الهندام ترتدي نظارة أنفية وبيدها مجموعة من الأوراق والمنشورات تقترب من شارع "ليونارد جاردنز"، "بادنجتون".

كان هذا المكان عبارة عن مجموعة من المنازل كئيبة المنظر، العدد الأكبر منها بحالة متدهورة تمامًا. بدا على المكان جو يوحي بانه قد رأى أيامًا أفضل منذ زمن

بعيد. سارت "فرانكي" بالطريق تنظر إلى أرقام المنازل. توقفت فجأة وعلى وجهها علامات ازدراء غاضب. فقد حمل المنزل رقم 17 - الذي كانت تقصده - لافتة فحواها أنه معروض للبيع أو للإيجار مفروشًا. خلعت "فرانكي" عنها على الفور التعبيرات الجادة والنظارة الأنفية بعد أن رأت أن لا حاجة إلى الترويج السياسي. اختارت "فرانكي" اثنين من بين أسماء وعناوين الوكلاء العقاريين التي ذُكرت باللافتة ودونتها بمذكرة لديها، ثم قررت خطة عمل لهذه الحملة وشرعت في تنفيذها على الفور. كان أول هؤلاء الوكلاء السادة **"جوردون"** و**"بورتر"** في شارع **"برايد"**. قالت **"فرانكي"**:

- صباح الخير، أتساءل عما إذا كان يمكنكم إعطائي عنوان السيد **"كييمان"**، كان حتى فترة وجيزة سابقة يقيم برقم 17 شارع **"ليونارد جاردنز"**. فقال الشاب الذي كانت قد خاطبته:

- هذا صحيح، ولكنه أقام هناك فترة قصيرة جدًّا، ونحن الآن وكلاء عن ملاك العقار. استأجر السيد **"كييمان"** شقته على أساس رُبع سنوي تحسبًا لأن يُطلب لشغل وظيفة خارج البلاد في أية لحظة، أعتقد أنه قد سافر بالفعل.

- ليس لديكم عنوانه إذن؟

- نعم، يؤسفني ذلك، أقام لدينا ولا شيء أكثر من ذلك.

- لكن لابد من أنه قد أعطى عنوانًا عندما استأجر المنزل في بادئ الأمر.

- كان ذلك عنوان فندق بمنطقة محطة **"بادنجتون"**. فسألت **"فرانكي"**:

- ألم يذكر عناوين أقرباء أو أصدقاء؟

- دفع إيجار الثلاثة أشهر مسبقا وأودع مبلغا لتغطية مصاريف الكهرباء والغاز. أحست **"فرانكي"** بالإحباط. لحظت أن الشاب كان يرمقها بنظرات فضول واستغراب؛ لأن الوكلاء العقاريين دائمًا ما يكونون أذكياء وذوي قدرة عالية على تقييم العملاء ومعرفة طبقاتهم الاجتماعية، وكان واضحًا على الشاب أنه قد رأى في اهتمام **"فرانكي"** بآل **"كييمان"** أمرًا غير متوقع. قالت **"فرانكي"** مبررة:

- إنه مدين بمبلغ مالي كبير. ارتسمت على وجه الشاب في الحال تعبيرات ذهول، وإذ تعاطف كلية مع الجمال الحزين أخرج ملفات المراسلات وفعل كل ماأمكنه إلا أن بحثه لم يسفر عن أي أثر لعنوان حالي أو سابق للسيد **"كييمان"**. شكرته **"فرانكي"** وانصرفت. استقلت سيارة أجرة إلى منشأة الوكلاء العقاريين الأخرى. لم تضع وقتًا في تكرار العملية السابقة. كانت المنشأة الأولى هي التي

قامت بتأجير المنزل لـ"كييمان" وكان اهتمامها الوحيد هو تأجيره ثانية نيابة عن المالك. طلبت "فرانكي" السماح لها بالمعاينة. التقت في هذه المرة بتعبيرات الدهشة التي ارتسمت على وجه الموظف الشاب. أخبرته بأنها تريد شراء عقار رخيص الثمن لاستخدامه كمقر للمغتربات. اختفت تعبيرات الدهشة ودخلت "فرانكي" ذلك المنزل ومعها مفتاحا عقارين مماثلين آخرين، لم ترغب في معاينتهما بالتأكيد، وتصريح بمعاينة عقار رابع.

رأت أنه من دواعي حسن الحظ أن الموظف لم يبد رغبة في مرافقتها، لكن ربما لم يفعلوا ذلك إلا في حالات الإيجار المفروش. قابلت أنف "فرانكي" رائحة المنزل المغلق لمدة طويلة لحظة أن فتحت الباب الخارجي وهمّت بالدخول. كان المنزل منفرًا زهيد الديكورات الداخلية فاسد الطلاء. راجعت "فرانكي" كل موقع منه بدقة متناهية. لم يكن قد تم تنظيفه قبل تركه، فتناثرت في أرجائه قصاصات الحبال والصحف القديمة وعدد من المسامير والعدد اليدوية. أما من الأشياء الخصوصية فلم تجد "فرانكي" حتى قصاصة من خطاب ممزق. كان الشيء الوحيد الذي ارتأت له فائدة محتملة هو دليل السكك الحديدية الذي وجدته مفتوحًا فوق قاعدة إحدى النوافذ. لم يكن به ما يشير إلى أدنى أهمية لأي من الأسماء التي بالصفحة المفتوحة، ومع ذلك دونت "فرانكي" عدداً منها بدفتر مذكراتها كبديل متواضع عن كل ما كانت تأمل أن تجده.

فيما يتعلق باقتفاء أثر آل "كييمان" لم يصبح هناك أمل يُذكر. طيبت خاطرها بتذكير نفسها بأن هذا ما كانت تتوقعه. فمادام الزوجان "كييمان" متورطين في عمل يعاقب عليه القانون فلابد لهما من أن يحرصا على ألا يتمكن أحد من الوصول إليهما، وهذا نوع من الدليل الدافع السلبي على الأقل. أحست "فرانكي" بخيبة أمل مع ذلك بينما كانت تعيد المفاتيح إلى الوكلاء مع وعد بالاتصال بهم في وقت لاحق.

سارت في اتجاه المنتزه مكتئبة إلى حد ما وتتساءل ماذا عسى أن تكون خطوتها التالية؟ انتبهت من عمق تفكيرها لانهمار أمطار غزيرة. لم تر سيارة أجرة متاحة فأسرعت إلى أحد الأنفاق القريبة حتى تنقذ قبعة عزيزة عليها. حصلت على تذكرة إلى "بيكاديللي سيركس" واشترت صحيفتين من كشك الكتب. عندما استقلت القطار - وكان شبه خاوٍ في ذلك الوقت من النهار - قررت عدم التفكير في تلك المشكلة التي أغضبتها، وفتحت الصحيفة محاولة التركيز فيما ما ورد بها.

قرأت أخباراً متنوعة هنا وهناك... عدد قتلى حوادث المرور، اختفاء طالبة في ظروف غامضة، حفل السيدة "**بيتر هامبتون**" الذي أقيم في الـ"**كلاريدج**"، تماثل السيد "ملكنتون" للشفاء بعد حادث اليخت الـ"**أسترادورا**"، ذلك اليخت الشهير الذي كان ملكًا للمليونير الراحل السيد "**جون سافيج**". هل كان ذلك اليخت مشؤومًا؟ الرجل الذي بناه لقي حتفه بطريقة مأساوية، والسيد "**سافيج**" انتحر، والسيد "**جون ملكنجتون**" نجا مؤخرًا من الموت بمعجزة. أبعدت "**فرانكي**" الصحيفة عن وجهها وقطبت وهي تحاول أن تتذكر شيئًا ما.

لقد ذكر اسم "**جون سافيج**" مرتين في حضورها: إحداهما على لسان "**سيلفيا باسنجتون فرنش**" لدى حديثها عن "**ألان كارستيرز**"، والأخرى على لسان "**بوبي**" عندما كان يعيد على مسمعها الحوار الذي دار بينه وبين السيدة "**ريفينجتون**". كان "**ألان كارستيرز**" صديقًا لـ"**جون سافيج**"، وكان لدى السيدة "**ريفينجتون**" فكرة غير واضحة تمامًا عن أن لمجيء "**كارستيرز**" إلى "**إنجلترا**" صلة بموت "**سافيج**"، و"**سافيج**" هذا... ماذا بشأنه؟ نعم، لقد انتحر ظنًا منه أنه مصاب بالسرطان.

لنفترض، لنفترض فقط أن "**ألان كارستيرز**" لم يقتنع بذلك التقرير عن أسباب وفاة صديقه. لنفترض أنه قد أتى إلى هنا لتقصي هذا الموضوع برمته؟ لنفترض أن هنا – في الظروف المحيطة بوفاة "**سافيج**" – كان الفصل الأول من المسرحية التي تقوم هي و"**بوبي**" بأداء دور فيها. قالت محدثة نفسها: "هذا ممكن، نعم ممكن".

استغرقت في تفكير عميق تتساءل عن أفضل طريقة للتعامل مع هذه المرحلة من الموضوع. لم تكن لديها أدنى فكرة عمّن هم أصدقاء "**جون سافيج**" ولا عن الشخصيات المقربة إليه. لاحت بذهنها فكرة مفاجئة: وصيته، لو كان هناك ما يثير الشك حول الطريقة التي لقي بها حتفه فمن الممكن أن توفر وصيته مدخلا محتملا. كانت "**فرانكي**" على علم بأن في مكان ما بـ"**لندن**" يمكن للمرء أن يطلع على أية وصية في مقابل شلن واحد، ولكنها لم تتذكر أين كان. توقف القطار في المحطة، وكانت محطة المتحف البريطاني وبذلك تكون "**فرانكي**" قد تجاوزت محطة "**أكسفورد سيركس**" التي كانت تستهدف تغيير الوجهة فيها بمقدار محطتين.

نهضت مسرعة وغادرت القطار، وعندما خرجت إلى الشارع راودتها فكرة معينة. خمس دقائق من السير على القدمين حملتها إلى مكتب السادة "**سبراج**"، و"**سبراج جنكنسون**"، و"**سبراج**". استُقبلت "**فرانكي**" بالترحيب اللائق ودخلت مكتب السيد "سبراج" رئيس هذه المؤسسة على الفور، وكان استقباله لها

دافئًا جدًّا خاصة أنه كان ذا صوت عميق مطمئن استراح إليه جميع عملائه من الطبقة الأرستقراطية كلما قدموا إليه لحل مشكلة عويصة لديهم، وكانت هناك شائعات تقول إن السيد "**سبراج**" يعلم عن فضائح الطبقات العليا ما لا يعلمه أي إنسان في "**لندن**". قال "**سبراج**":

– أمر يدعو إلى السرور بحق يا ليدي "**فرانسيس**"، تفضلي بالجلوس، هل أنت واثقة بأن المقعد مريح؟ نعم، نعم، الجو رائع جدًّا الآن، أليس كذلك؟ يكاد يكون صيفًا معتدلا، وكيف حال اللورد "**مارتشنجتون**"؟ لعله بخير؟ أجابت "**فرانكي**" عن هذه الاستفسارات وعن غيرها على الوجه المناسب. رفع السيد "**سبراج**" بعد ذلك نظارته الأنفية وأصبح المستشار والدليل القانوني على وجه التحديد. قال:

– والآن يا ليدي "**فرانسيس**"، ما الظروف السعيدة التي أتت بك إلى مكتبي المتواضع بعد ظهر اليوم؟ وتساءل حاجباه بوضوح: "عملية ابتزاز؟ خطابات كتبت بلا تعقّل؟ تورط مع شاب مرفوض؟ دعوى قضائية مرفوعة من صانع ملابسك؟" إلا أن الحاجبين طرحا هذه الأسئلة بحكمة تليق بمحام له خبرة السيد "**سبراج**" ومكانته. قالت "**فرانكي**":

– أرغب في الاطلاع على وصية ما ولا أعلم إلى أين أذهب أو ماذا أفعل، لكنني أعلم بوجود مكان ما يطّلع فيه المرء على ما يريده في مقابل سداد شلن واحد، فهل هذا صحيح؟ فقال "**سبراج**":

– "**سومرست هاوس**"، ولكن أية وصية تلك؟ أعتقد أنه باستطاعتي أن أخبرك بأي شيء ترغبين في معرفته بشأن وصايا العائلة، يمكنني القول إن منشأتنا قد تشرفت بكتابتها منذ سنوات طويلة ماضية. فقالت "**فرانكي**":

– ليست وصية في نطاق العائلة. سأل السيد "**سبراج**" متعجبًا:

– لا؟ وكانت قدرته على استخلاص الأسرار من صدور موكّليه مذهلة حتى أن "**فرانكي**" التي لم تكن تعني الكشف له عن نياتها. أذعنت لأسلوبه وأخبرته بكل ما لديها قائلة:

– أريد الاطلاع على وصية السيد "**سافيج**"... "**جون سافيج**".

– حقيقة؟ وارتسمت علامات دهشة حقيقية واضحة على وجه السيد "**سبراج**" ونطقت بها نبرات صوته، فلم يكن يتوقع شيئًا كهذا. قال:

– هذا مطلب غريب، بل غريب جدًّا في الواقع. شابت صوته نبرات غير عادية إطلاقًا مما جعل "**فرانكي**" تنظر إليه دهشة. قال السيد "**سبراج**":

– في الواقع، في الواقع إنني لا أدري مـاذا أفـعل، ربما يمكنك يا ليـدي "فرانسـيس" ، أن تطلعيني على سبب رغبتك في الاطلاع على تلك الوصية؟ فقالت "فرانكي" بنبرة متأنية:

– لا، يؤسفني أنه لا يمكنني ذلك. تصورت أن السيد "سبراج" لسبب أو لآخر يتصرف معها بطريقة مختلفة عن أسلوبه الدمث كلي المعرفة؛ إذ بدا مهمومًا بالفعل. قال:

– أعتقد بحق أنه من واجبي أن أحذرك. سألته:

– تحذرني؟

– نعم، المؤشرات غامضة... غامضة جدًّا، لكن من الواضح أن شيئًا ما يحدث حاليًّا، وأنا لا أسمح– مهما كان الثمن – بأن تتورطي في أي شيء محفوف بالشكوك والريبة. على ضوء هذا القول كان بوسع "فرانكي" أن تؤكد له أنها متورطة حتى النخاع في عملية كان ليرفض تدخلها فيها بكل تأكيد، ولكنها اكتفت بأن تنظر إليه مستفسرة بينما استطرد السيد "سبراج" قائلا:

– الموضوع كله يميل إلى كونه مصادفة غريبة، واضح أن شيئًا ما يجري حاليًّا، لكن ما هو... أنا لست في حِلٍ لأن أقولِ الآن. واصلت "فرانكي" النظر إليه واستطرد هو يقول بينما انتفخ صدره ازدراء:

– معلومة معينة نمت إلى علمي مؤخرًا، لقد انتُحلت شخصيتي يا ليدي "فرانسيس"، انتُحلت شخصيتي عمدًا، ما رأيك في ذلك؟ ولم تستطع "فرانكي" أن تعلق بشيء بسبب لحظة ذهول مفاجئ.

الفصل الخامس والعشرون
السيد "سبراج" يتكلم

ولكنها قالت متلعثمة بعد ذلك ببضع دقائق:

– وكيف اكتشفت الأمر؟ لم يكن هذا إطلاقًا ما كانت تعني أن تقوله؛ إذ تمنت بعد لحظة لو أنها قد عضت لسانها قبل أن يدفعها الغباء إلى أن تنطق به، ولكن الكلمات كانت قد فارقت شفتيها وما كان السيد "سبراج" ليكون محاميًا محنكا لو أنه لم يدرك فيما سمعه نوعًا من الاعتراف.

– تعلمين شيئا عن هذا الموضوع إذًا يا ليدي "فرانسيس"؟ فقالت:

– نعم. توقفت عن الكلام ثم التقطت نفسًا عميقًا واستطردت قائلة:

– الموضوع كله من صنعي أنا يا سيد "**سبراج**". فقال الرجل:

– إنني متحير. شاب صوته نوع من الصراع... كان المحامي الغاضب في صراع مع محامي الأسرة الأبوي. سألها:

– وكيف حدث هذا؟ فقالت "**فرانكي**" بقدر من الخجل:

– كانت مجرد مزحة... كنا نريد أن... أن نفعل شيئًا ما. فسأل السيد "**سبراج**":

– ومن الذي خطرت بباله فكرة أن ينتحل شخصيتي؟ نظرت "**فرانكي**" إليه وهي تشحذ ذهنها ثانية وتتخذ قرارًا ثم قالت:

– إنه دوق شاب، دوق... ثم توقفت لحظة قالت بعدها:

– لا ينبغي لي أن أذكر أسماء، ليس هذا عدلا. ولكنها علمت أن الجو قد تغير وأصبح في صالحها، وكانت تشك في أن السيد "**سبراج**" من الممكن أن يغفر هذه الهفوة لشاب لا يعدو كونه ابن راعي الكنيسة، لكن ضعفه أمام النبلاء وذوي الألقاب جعله يرى وقاحة هذا الدوق وكأنها لا شيء. عاودته طباعه الدمثة فقال محركًا سبابته:

– يا لكم من شباب أذكياء! ويا لها من متاعب توقعون أنفسكم فيها! تدهشين يا ليدي "**فرانسيس**" لو أنك علمت كم التعقيدات القانونية التي من الممكن أن تترتب على مزحة عملية يبدو ألا ضرر فيها يقرر شاب تنفيذها في لحظة اندفاع فكري، معنويات مرتفعة، لكن يكون من الصعب جدًا في بعض الأحيان إنهاؤها خارج المحاكم. فقالت "**فرانكي**" بنبرة جادة:

– أنت عظيم يا سيد "**سبراج**"، هذا هو رأيي فيك بصدق، ما كان فرد واحد بين ألف شخص سيتناول هذا الموضوع بذات المحمل الذي تناولته به، وإنني أشعر بشديد الخجل من ذلك. فقال السيد "**سبراج**" بنبرة حنان أبوي:

– لا، لا يا ليدي "**فرانسيس**".

– ولكنني خجلة جدًا. لابد من أن تلك المرأة "**ريفينجتون**" هي التي أبلغتك... بماذا أخبرتك تحديدًا؟

– الخطاب معي هنا، فتحته منذ نصف ساعة فقط. مدت "**فرانكي**" يدها ووضع المحامي الخطاب بها ولسان حاله يقول: "انظري بنفسك إلى ماذا قادتكم حماقتكم". وقرأت "**فرانكي**" الرسالة التي جاء فيها:

عزيزي السيد "**سبراج**"

إنه غباء مني ولكنني تذكرت الآن شيئًا ما كان من الممكن أن يفيدك يوم أن مررت بي. ذكر"**ألان كارستيرز**" لي أنه سيذهب إلى مكان اسمه "**تشيينج سومرتون**" لا أعلم ما إذا كانت هذه المعلومة ذات فائدة لك، وكم أسعدني ماذكرته لي عن موضوع "**ملترافيز**"، مع خالص تحياتي.

المخلصة

"**إديث ريفينجتون**"

قال السيد "**سبراج**" بنبرة حادة خفَّفها لطفه قليلا:

– يمكنك أن تري أن الموضوع، كان من الممكن أن يتطور إلى ما هو أبعد من هذا، فهمت الموضوع على أن شيئًا مريبًا جداً يجري، بغض النظر عما إذا كان ذا صلة بموضوع "**ملترافيرز**" أو بموكِّلي السيد "**كارستيرز**"... وهنا قاطعته "**فرانكي**" متسائلة بدهشة:

– هل كان "**كارستيرز**" موكلا لك؟

– نعم، طلب مشورتي عندما كان في "**إنجلترا**" آخر مرة منذ شهر تقريبًا، تعرفين السيد "**كارستيرز**" ياليدي "**فرانسيس**"؟ فقالت:

– أعتقد أنه بوسعي أن أقول إنني أعرفه. فقال "سبراج":

– شخصية غاية في الجاذبية، حمل إلى مكتبي أنفاسًا من الأماكن الخلوية الفسيحة. فقالت "**فرانكي**":

– أتى لاستشارتك بشأن وصية السيد "**سافيج**"، أليس كذلك؟ فقال "**سبراج**":

– كنت أنت إذن من نصحه بأن ياتي إلي؟ لم يمكنه أن يتذكر من كان الذي أشار عليه بذلك، وللأسف لم يمكنني أن أفعل له شيئًا أكثر. سالت "**فرانكي**":

– ما الذي نصحته بأن يفعله؟ أم أن آداب المهنة تحظر عليك أن تخبرني؟ فقال "**سبراج**" مبتسمًا:

– ليس في هذا الموضوع، كان رأيي أن ليس ثمة ما يمكن فعله، لا شيء إطلاقًا، ما لم يكن أقرباء "**سافيج**" على استعداد لأن ينفقوا ملبغًا كبيرًا لكسب هذه الدعوى، وفي تقديري أنهم ليسوا على استعداد لذلك أو أن وضعهم المالي لا يسمح بذلك في واقع الأمر، وأنا لا أنصح أبدًا برفع دعوى بالمحكمة ما لم يتوفر لدي كل أمل في كسبها، فالقانون يا ليدي "**فرانسيس**" غير مضمون له التواءاته

وانعطافاته التي تذهل العقل البعيد عن المجال القانوني، كان شعاري دائمًا وسيظل: "التسوية خارج قاعات المحاكم" . قالت "**فرانكي**" متأملة:

– الموضوع كله غاية في الغرابة. أحسست بشيء ما أقرب شبهًا بالسير حافية القدمين فوق بقعة تناثرت فيها قصاصات الصفيح بحيث كانت معرضة لأن تطأ قدمها إحداها في أية لحظة، ويكون هذا هو نهاية المطاف. قال السيد "**سبراج**" :

– مثل هذه الحالات أكثر شيوعًا مما قد تتصورين. فسألت "**فرانكي**" :

– حالات الانتحار؟

– لا، لا، ما أعنيه هو حالات التأثير غير المناسب، كان السيد "**سافيج**" رجل أعمال عنيداً ومع ذلك كان مثل الشمع في يدي تلك المرأة، وأنا واثق بأنها كانت تعرف طريقها حق المعرفة. قالت "**فرانكي**" بجرأة:

– أرجو أن تخبرني بهذه القصة كاملة، فقد كان السيد "**كارستيرز**" منفعلا جدًّا بحيث لم أستطع فهم الموضوع منه بوضوح. قال "**سبراج**" :

– كان الموضوع غاية في البساطة، يمكنني أن ألخص لك وقائعه وهي متاحة لكل من يريد معرفتها؛ لهذا لا اعتراض لديَّ على أن أطلعك عليها. فقالت "**فرانكي**" :

– أخبرني بكل شيء إذن.

– تصادف أن كان السيد "**سافيج**" عائداً من "**الولايات المتحدة**" إلى "**إنجلترا**" في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام الماضي، وكان كما تعلمين واسع الثراء وبلا قرابة من الدرجة الأولى أو الثانية، تعرف في هذه الرحلة إلى سيدة تدعى السيدة "**تمبلتون**" ، لا نعرف عن هذه السيدة شيئًا أكثر من أنها امرأة بالغة الجمال وكان لها زوج في مكان ما في الخلفية. حدثت "**فرانكي**" نفسها بأنهم آل "**كييمان**" بينما استطرد السيد "**سبراج**" قائلا وهو يهز رأسه ويبتسم:

– السفر عبر المحيطات ينطوي على مخاطر عديدة، كان واضحًا أن السيد "**سافيج**" قد افتتن بهذه المرأة إلى حد بعيد، فقد قَبِل دعوتها للذهاب إلى كوخ صغير تمتلكه في "**تشيينج سومرتون**" وقضاء بعض الوقت فيه، ولا علم لي بمدى تكرار زياراته إلى هذا المكان، لكن ما من شك في أنه أكثر الذهاب إلى هناك تحت تأثير السيدة "**تمبلتون**" ثم كانت المأساة، كان السيد "**سافيج**" قلقًا منذ فترة ما على حالته الصحية، خشي أن يكون مصابًا بمرض معين. سألت "**فرانكي**" :

– السرطان؟

– حسنا، نعم، في الواقع السرطان، استحوذ الموضوع عليه وكان مقيمًا مع

آل "**تمبلتون**" في ذلك الوقت، أقنعوه بالتوجه إلى "**لندن**" واستشارة طبيب إخصائي وفعل ذلك، والآن يا ليدي "**فرانسيس**"، أنا رجل متفتح الذهن، لقد أقسم هذا الإخصائي وهو طبيب متميز وعلى رأس المشاهير في مجال تخصصه على مدى سنوات وسنوات، أقسم في التحقيق على أن السيد "**سافيج**" لم يكن مصاباً بالسرطان وانه قد أكد له ذلك، إلا أن السيد "**سافيج**" كان متأثراً باعتقاده الخاص ولم يمكنه أن يتقبل الحقيقة عندما قيلت له، والآن يا ليدي "**فرانسيس**"، وبلا مساس باحد وعلى حد علمي بمهنة الطب، أرى أن الأمور ربما جرت على نحو مختلف قليلا، فلو أن الأعراض التي كان السيد "**سافيج**" يعانيها قد حيرت الطبيب، فربما يكون قد تحدّث بلهجة جادة وبدت على وجهه علامات الاهتمام الشديد وهياه لتقبل أنواع علاجٍ عالية التكلفة، وبينما كان يطمئنه فيما يتصل بالسرطان، ينقل إليه انطباعاً بأن خطرا ما يهدد صحته، وعلماً من السيد "**سافيج**" أن الأطباء عادة ما يخفون عن مرضاهم أنهم مصابون بهذا المرض فسّر تصرف الطبيب معه على ضوء هذا المفهوم بأن الطبيب لم يكن صادقًا في طمأنته إياه وأنه يعاني بالفعل المرض الذي ظن أنه مصاب به. على أية حال عاد السيد "**سافيج**" إلى "**تشيينج سومرتون**" في حالة ذهنية مثقلة بالأسى، رأى في انتظاره موتاً بطيئاً كثير الآلام، نما إلى علمي أن أحد أقاربه توفي متأثراً بمرض السرطان وأنه لهذا السبب قرر ألا يمر بذات المرحلة من المعاناة، استدعى محامياً، وهو عضو معروف في منشأة محترمة مشهورة، حرر له وصية في ذات المكان والزمان، وقّعها السيد "**سافيج**" وسلمها لذلك المحامي للاحتفاظ بها لديه، وفي ذات ذلك المساء تناول السيد "**سافيج**" جرعة زائدة كبيرة من الكلورال تاركاً رسالة قال فيها إنه قد فَضّل موتاً سريعاً بلا ألم على موت بطيء مؤلم.

بمقتضى هذه الوصية ترك السيد "**سافيج**" مبلغ سبعمائة ألف جنيه خالصة ضريبة التركات للسيدة "تمبلتون" وبقية أمواله لعدد من المنشآت الخيرية التي حددها بالوصية. استند السيد "**سبراج**" إلى الخلف فوق مقعده بارتياح شديد، ثم أكمل روايته قائلا:

– وتقدم المحلفون بحكمهم المتعاطف المعتاد بأنه انتحار في ظروف من عدم سلامة العقل، ولكنني لا أرى أنه يمكننا أن نستنتج من ذلك الحكم أنه كان بالضرورة في حالة اختلال عقلي عندما كتبت هذه الوصية، ولا أعتقد أن أي هيئة محكمين من الممكن أن تفسره بهذا المعنى، تمت كتابة الوصية في حضور محامٍ يرى أن المتوفى عاقل بما لا يدع مجالا للشك ومتمتعاً بكامل قواه العقلية، كما لا

أرى إمكانية إثبات تأثير غير مناسب، لم يحرم السيد "**سافيج**" أي قريب له أو عزيز عليه من ميراثه، فأقرباؤه الوحيدون أبناء عمومة من ذوي القرابة البعيدة ولم يكن ليراهم في غير ظروف نادرة، وعلى حد علمي أنهم يعيشون في "**أستراليا**" بصفة دائمة. توقف السيد "**سبراج**" عن الحديث قليلا، ثم استطرد قائلا:

– كان اعتراض السيد "**كارستيرز**" يتمثل في أن مثل هذه الوصية لا تتسق مع صفات السيد "**سافيج**" وطباعه، فلم يكن السيد "**سافيج**" ممن يميلون إلى الأعمال الخيرية المنظمة وكانت له آراؤه الخاصة فيما يتصل بتوريث ذوي صلة الدم، إلا أن السيد "**كارستيرز**" لم يكن لديه الدليل المستندي على هذه التوكيدات، وكما سبق أن أخبرته، الناس يغيرون آراءهم، وفي حالة الطعنٍ في هذه الوصية ستكون هناك ضرورة للتعامل مع تلك المنظمات الخيرية جنبا إلى جنب مع السيدة "**تمبلتون**"، هذا إضافة إلى أن الوصية قد أثبتت صحتها أمام القضاء. سألت "**فرانكي**":

– ولم تثر أية مشكلة آنذاك؟

– كما قلت لك، أقارب السيد "**سافيج**" لا يعيشون بهذا البلد ولم يعلموا عن الموضوع إلا قليلا، كان السيد "**كارستيرز**" هو الذي أثار الموضوع، عاد من رحلة في عمق "**إفريقيا**" وعلِم بتفاصيل الموضوع بالتدريج فأتى إلى هذا البلد لعله يتمكن من أن يفعل شيئا بشأنه، اضطررت إلى أن أخبره بأنه في رأيي ليس ثمة مايمكن عمله، الملكية هي تسعة أعشار القانون، وكانت السيدة "**تمبلتون**" مالكه، فضلا على كل ذلك أنها كانت قد غادرت البلاد ورحلت، أعتقد إلى جنوب "**فرنسا**" لتعيش هناك رافضة أية اتصالات معها في هذا الخصوص، اقترحت الاستنارة برأي بعض المستشارين إلا أن السيد "**كارستيرز**" رأى ألا ضرورة لذلك وعمل برأيي لأنه ليس ثمة ما يمكن عمله بهذا الشأن، أو من ناحية أخرى إن ماكان من الممكن عمله في ذلك الوقت ولّى أوان تفصيله الآن، وهذا ما اختلفت فيه في الرأي معه. فقالت "**فرانكي**":

– فهمت، ولا أحد يعرف شيئًا عن هذه السيدة "**تمبلتون**"؟ هز السيد "**سبراج**" رأسه وضم شفتيه قائلا:

– رجل مثل السيد "**سافيج**" بكل هذه الخبرة الواسعة بالدنيا، كان ينبغي له ألا يُخدع بمثل هذه السهولة، لكن... وهز السيد "**سبراج**" رأسه ثانية بأسى وقد لاحت بذهنه رؤية لعديد من الموكلين الذين كان ينبغي لهم أن يكونوا أكثر حذرا،

وأتوا إلى مكتبه من أجل تسويات خارج المحاكم. نهضت "فرانكي" قائلة:
– الرجال مخلوقات غير عادية. ثم مدت يدها قائلة:
– إلى لقاء يا سيد "سبراج"، أنت مدهش... مدهش وحسب، أما أنا فاشعر بخجل شديد. فقال السيد "سبراج" وهو يهز رأسه أمامها:
– أنتم – أيها الشباب الذكي – ينبغي لكم أن تكونوا أكثر حرصًا. فقالت:
– لقدتصرفت معنا كملاك. ثم شدت على يده بحرارة وانصرفت. جلس السيد "سبراج" إلى مكتبه ثانية يفكر:
– الدوق الشاب... من يكون... كان هناك دوقان تنطبق عليهما هذه الصفة... أيهما هو؟ أخرج كتابا مشتملا على أسماء النبلاء.

الفصل السادس والعشرون
مغامرة ليلية

أقلق غياب "مويرا" "بوبي" باكثر مما كان يجب أن يعترف به. أكد لنفسه مراراً وتكراراً أنه ليس من الحكمة أن يتعجل الاستنتاجات، وأنه من ضروب الخيال أن يتصور أن "مويرا" قد لقيت حتفها في منزل مليء بشهود عيان محتملين، وأنه ربما يكون هناك تفسير بسيط مقنع، وأنه على أسوإ الافتراضات من الممكن أن تكون مسجونة بالمزرعة وحسب. أما أن تكون قد رحلت عن "ستافرلي" بإرادتها الحرة، هذا ما لم يصدقه "بوبي" ولا لدقيقة واحدة. كان مقتنعا بأنها لن تغادر المنطقة هكذا دون أن ترسل إليه خبراً بذلك أو تفسيراً له، وفضلا على كل ذلك لقد ذكرت تحديداً أن ليس لها مكان تذهب إليه.

لا، لابد من أن يكون الدكتور "نيكلسون"، هذا الشرير، المحرك لهذا الموضوع. لابد من أنه قد أدرك بطريقة أو باخرى ما كانت "مويرا" تفعله مؤخرا، وهذه هي ردة فعله عليه. في مكان ما بداخل جدران هذه المزرعة المشؤومة لابد من أن تكون "مويرا" حبيسة لا يمكنها الاتصال بالعالم الخارجي، لكن ربما لا تظل سجينة طويلا. صدق "بوبي" بكل كيانه كل كلمة نطقت بها "مويرا" وأن مخاوفها ليست وليدة خيال خصب ولا إرهاق عصبي، وأنها حقيقة مؤكدة ببساطة تامة. كان "نيكلسون" يريد التخلص من زوجته، وقد أجهضت محاولاته بضع مرات، والآن وقد أبلغت غيرها بمخاوفها فإنها تضطره إلى التصرف. أصبح لزاماً عليه أن يتصرف على وجه

السرعة أو لا يفعل شيئًا إطلاقًا، فهل ستتوفر لديه الجرأة على أن يتصرف؟

اعتقد "بوبي" أن هذا ممكن، فلابد من أنه مدرك أنه حتى إذا أصغى هذان الغريبان إلى ما قالته زوجته عن مخاوفها فلا دليل على ذلك لديهما. كذلك سوف يعتقد أنه ليس لديه سوى "فرانكي" ليتصرف معها. من الممكن أن يكون قد ارتاب في أمرها منذ البداية؛ إذ بدت استفساراته الوقحة عن الحادث الذي وقع لها مشيرة إلى شيء من هذا القبيل، ولكن "بوبي" لم يعتقد أنه بوصفه سائق الليدي "فرانسيس" من الممكن أن يكون محل شك في أنه أكثر مما يبدو عليه.

نعم، من الممكن أن يتصرف "نيكلسون"، وربما يتم العثور على جثة "مويرا" في حي ما بعيد عن "ستافرلي"، وربما يجترفها البحر أو ربما يعثر عليها عند قدم صخرة ويبدو الأمر وكأنه حادث، فقد تخصص "نيكلسون" في الحوادث، ومع ذلك رأى "بوبي" أن التخطيط لمثل هذا الحادث ثم تنفيذه يحتاج إلى وقت ليس طويلا لكن بقدر ما. لقد أطلقت يد "نيكلسون"، وأصبح لزامًا عليه أن يتصرف بأسرع مما كان يتوقع. بدا معقولاً أن يفترض أن أربعًا وعشرين ساعة على الأقل لابد من أن تنقضي قبل أن يشرع في تنفيذ أية خطة.

وقبل أن تنتهي هذه المدة البينية قرر "بوبي" أنه لابد من أن يكون قد عثر على "مويرا" لو كانت بالمزرعة. بعدما ترك "فرانكي" في "بروك ستريت" بدأ تفصيل خططه. قرر أولا أن يخبر زميله بالورشة بضرورة تغيبه فترة زمنية، خاصة أنه على حد علمه كانت هناك مراقبة للمكان اقتفاء لأثره. اعتقد أن أحداً لا يشك فيه حتى تلك اللحظة بوصفه "هوكينز"، وأوشك "هوكينز" بدوره على الاختفاء أيضا. في ذلك المساء وصل إلى بلدة "أمبلديفر" المزدحمة بالسكان شاب ذو شارب يرتدي حلة رخيصة باللون الأزرق الداكن. نزل هذا الشاب بفندق قريب من محطة السكك الحديدية وسجل إقامته باسم "جورج باركر". أودع حقيبة ملابسه هناك وخرج للتفاوض على استئجار دراجة بخارية.

في العاشرة من مساء ذلك اليوم مر راكب دراجة بخارية مرتديًا القلنسوة ومنظار الوقاية عبر قرية "ستافرلي" وتوقف عند بقعة مهجورة من الطريق لا تبعد عن المزرعة كثيرا. أسرع يخفي الدراجة خلف بضع الشجيرات المعترشة، ثم ألقى "بوبي" نظرة إلى كلا اتجاهي الطريق. رآه مهجورا تماما. ظل يتسلل بمحاذاة السور حتى بلغ الباب الصغير، وكان غير مقفل كذي قبل. ألقى نظرة أخرى إلى كلا اتجاهي الطريق ليتأكد أن أحداً لا يراقبه ثم تسلل بهدوء إلى الداخل. وضع يده

بجيب معطفه حيث أشار انتفاخ إلى حيث مسدسه، وكان ملمسه مطمئنًا له. بدا كل شيء هادئًا على أرض المزرعة.

ابتسم "بوبي" لنفسه وهو يستعيد ذكريات قصص تتجمد لها الدماء كان البطل الشرير فيها يحتفظ بغوريلاً أو بحيوان مفترس في الموقع ليتصرف مع الدخلاء. أما "نيكلسون" فبدا مكتفيًا بالقضبان والمتاريس وحتى في هذا بدا مهملا إلى حد ما. كان "بوبي" موقنًا بأن ذلك الباب الصغير ما كان ينبغي له أن يُترك مفتوحًا. بناء على ذلك بدا له أن الدكتور "نيكلسون" بصفته وغد هذه المسرحية مهمل إلى حد مؤسف. قال "بوبي" محدثًا نفسه: "لا ثعابين ضخمة مستأنسة ولا غوريلاّت ولا أسلاك مكهربة، الرجل متأخر عن عصره إلى حد مخجل".

كان يفكر في هذه الأمور بغية الترويح عن نفسه وليس لأي سبب غير ذلك، ففي كل مرة كان يفكر فيها في "مويرا" كان يشعر بانقباض يعتصر قلبه. تراءى له وجهها في الهواء: الشفتان المرتعشتان والعينان الجزعتان الواسعتان. كان في هذا الموضع تمامًا أن رآها أول مرة بلحمها وكيانها. أحس ابتهاجًا طفيفًا يسري في داخله عندما تذكر كيف طوقها بذراعه حتى لا تسقط... "مويرا"... أين هي الآن؟ ماذا فعل بها ذلك الطبيب الشرير؟ لو أنها فقط لا تزال على قيد الحياة... قال "بوبي" بكآبة من بين شفتين مشدودتين.

– لابد من أن تكون، ولن أعتقد أي شيء غير ذلك. طاف حول المنزل بحذر. ظهرت إضاءة في بعض نوافذ الطابق العلوي كما كانت هناك نافذة واحدة مضاءة بالطابق الأرضي. إلى تلك النافذة تسلل "بوبي". كانت الستائر مسدلة عليها باستثناء فاصل ضيق بينهما. ثبت "بوبي" ركبة عند قاعدة النافذة ورفع نفسه بهدوء إلى أعلى ونظر من خلال ذلك الفاصل.

تمكن من رؤية ذراع رجل وكتفه يتحركان كما لو كان يكتب. غيَّر الرجل وضعه فظهرت صورته الجانبية. كان هو الدكتور "نيكلسون". كان الوضع غريبًا. لم يكن مدركًا أن أحدًا يراقبه وواصل الكتابة بانتظام.. أحس "بوبي" نحوه بإعجاب من نوعية غريبة. كان الرجل على مقربة شديدة منه بحيث كان يمكنه أن يمد يده ويلمسه لولا وجود زجاج النافذة. أحس "بوبي" للمرة الأولى أنه يرى الرجل بالفعل كانت صورته الجانبية توحي بقوة الشخصية... ذلك الأنف الكبير الجريء والذقن الناتئ والفك القوي الحليق. لحظ "بوبي" أن الأذنين صغيرتان ومسطحتان على الرأس، وشحمتي الأذنين ملتصقتان بالوجنتين تمامًا. كانت لديه فكرة بأن

أذنين كهاتين لهما معنى معين.

وواصل الطبيب الكتابة بهدوء وتأنٍ. توقف الآن لحظة أو اثنتين كما لو كان يفكر في الكلمة الصحيحة، ثم استأنف الكتابة ثانية. تحرك قلمه فوق الورقة بدقة ونظام. خلع نظارته الأنفية مرة حيث قام بتلميعها ثم أعادها إلى أنفه ثانية، وأخيراً تنهد "بوبي" وانزلق إلى الأرض بلا صوت. بدا له أن "نيكلسون" سوف يواصل الكتابة لمدة طويلة، ورأى أن الفرصة مواتية لأن يدخل المنزل. إذا تمكن "بوبي" من الدخول من خلال نافذة بالطابق العلوي بينما الطبيب مشغول بالكتابة في حجرة مكتبه يمكنه أن يتفقد المبنى في متسع من الوقت في وقت لاحق من تلك الليلة.

طاف حول المنزل وانتقى نافذة بالطابق الأول. كان إطار النافذة مفتوحاً من أعلى، لكن لم تكن بالحجرة إضاءة وبذلك ربما تكون غير مشغولة في تلك اللحظة. كذلك كانت هناك شجرة مناسبة جداً واعدة بسهولة الوصول إلى هناك. بعد دقيقة أخرى كان "بوبي" يصعد إلى الشجرة. جرى كل شيء على خير ما يرام، وفي اللحظة التي مد "بوبي" يده فيها ليمسك بإفريز النافذة صدر عن فرع الشجرة الذي كان "بوبي" فوقه صوت قعقعة مشؤوم، وفي اللحظة التالية سقط الفرع وكان مصاباً بالسوس، ومعه "بوبي" فوق مجموعة من الشجيرات الكوبية خففت من حدة اصطدامه بالأرض.

كانت نافذة حجرة مكتب "نيكلسون" على مسافة بعيدة من ذات جانب المنزل. سمع "بوبي" صوت تعجب بصوت الطبيب وفُتحت النافذة. أفاق "بوبي" من أولى صدمات سقطته ونهض حيث تخلص من الأغصان الكوبية واندفع عبر بقعة الظلال المظلمة إلى الممر المؤدي إلى الباب الصغير. سار على الممر مسافة قصيرة ثم غاص في الشجيرات. سمع ضجيج أصوات بشرية ورأى أضواء تتحرك بالقرب من الشجيرات الكوبية المحطمة. لزم "بوبي" السكون التام كابحاً أنفاسه أيضاً، فربما يأتون على الممر وفي هذه الحالة سيجدون الباب مفتوحاً ويرجحون أن أحداً ما قد لاذ بالفرار في ذلك الاتجاه فلا يواصلون البحث أبعد من ذلك. إلا أن الدقائق انقضت وأحد لم يأت. سمع "بوبي" عندئذ صوت "نيكلسون" يعلو متسائلا. لم يستطع سماع ما قال ولكنه سمع إجابة بصوت أجش جلف:

– الجميع حاضرون وعلى ما يرام يا سيدي، قمت بالجولة المعتادة. خفتت الأصوات بالتدريج واختفت الأضواء. بدا أن الجميع عادوا

إلى المنزل، وبحذر شديد خرج "بوبي" من مخبئه ومنه إلى الممر حيث وقف

يصغي. كان كل شيء في حالة من السكون التام. اتخذ خطوة أو اثنتين في اتجاه المنزل وعندئذ ارتطم شيء ما من خارج الظلام بقفا عنقه فسقط إلى الأمام... وإلى الظلام.

الفصل السابع والعشرون
مات أخي مقتولا

توقفت السيارة الـ"بنتلي" الخضراء في صباح يوم الجمعة خارج فندق المحطة في "**أمبلديفر**". كانت "**فرانكي**" قد أبرقت إلى "**بوبي**" على الاسم الذي كانا قد اتفقا عليه ... "**جورج باركر**" بأنها مطلوبة للشهادة في التحقيق الخاص بـ"**هنري باسنجتون فرنش**"، وأنها ستمر عليه في "**أمبلديفر**" في طريق قدومها من "**لندن**"، وكانت تتوقع أن يبرق إليها برد يحدد فيه مكان لقائهما، ولكن شيئًا لم يصلها؛ لهذا قررت المجيء إلى الفندق. قال أحد العاملين بالفندق:

– السيد "**باركر**"؟ لا أعتقد أن لدينا نزيلاً بهذا الاسم، ولكنني سوف أتأكد من ذلك. عاد بعد بضع دقائق قائلا:

– لقد حضر إلى هنا مساء الأربعاء يا آنستي، ترك حقيبة ملابسه وقال إنه ربما لن يعود حتي وقت متأخر، لا تزال الحقيبة هنا ولكنه لم يأت ليأخذها. أحست "**فرانكي**" بإعياء مفاجئ فاستندت إلى منضدة قريبة بينما ظل الرجل ينظر إليها متعاطفًا. سألها:

– تشعرين بتعب ما؟ هزت "**فرانكي**" رأسها قائلة:

– أنا بخير، ألم يترك أية رسالة؟ ذهب الرجل ثانية ثم عاد يهز رأسه قائلا:

– هناك برقية وصلت إليه وهذا كل ما لدينا. رمقها بنظرات فضولية ثم سأل:

– هل ثمة ما يمكنني أن أفعله من أجلك يا آنستي؟ وهزت "**فرانكي**" رأسها. لم ترغب في تلك اللحظة في أكثر من أن تنصرف، فلابد من أن يكون لها من الوقت ما يمكنها من التفكير فيما ينبغي لها أن تفعله كخطوة تالية. قالت:

– كل شيء على ما يرام. ثم استقلت السيارة وانطلقت. أومأ الرجل برأسه متفهمًا وهو يراقبها تبتعد. قال محدثًا نفسه: "لقد تخلى عنها، خيب أملها، فتاة راقية هي، أتساءل عن هيأته". استفسر من الفتاة بمكتب الاستقبال ولم يمكنها أن تتذكر. قال الرجل:

– فردان راقيان تواعدا على الزواج سرًا ولاذ هو بالفرار. كانت "**فرانكي**" في تلك الأثناء تقود سيارتها باتجاه "**ستافرلي**"، وذهنها أشبه بمتاهة من المشاعر المتضاربة. لماذا لم يعد "**بوبي**" إلى فندق المحطة؟ هناك سببان لا ثالث لهما: إما أنه يقتفي الأثر وحملته هذه العملية إلى مكان ما بعيد، وإما... وإما أن شيئًا ما غير مرغوب فيه قد حدث. انحرفت السيارة بشدة ولكن "**فرانكي**" استطاعت السيطرة عليها في اللحظة الحرجة. إنها حمقاء تتخيل أحداثًا ولكن "**بوبي**" على خير مايرام بكل تأكيد. لابد من أنه يقتفي أثر تلك المرأة وهذا كل ما في الأمر يقتفي أثرها. سأل صوت آخر:

– لكن لماذا لم يبعث إليها بكلمة تطمئنها؟ وجدت صعوبة كبيرة في تبرير ذلك، لكن التبريرات متاحة:

– ظروف صعبة، ضيق الوقت أو عدم إتاحة الفرصة. "**بوبي**" مطمئن إلى أن "**فرانكي**" لن تقيم الدنيا وتقعدها قلقًا عليه. كل شيء على ما يرام ولابد من أن يكون.

انتهى التحقيق ببساطة الحلم، حضره "**روجر**" و"**سيلفيا**" التي بدت في قمة الجمال في ملابس الحداد، بحركتها الرشيقة وامتشاق قوامها. انتبهت "**فرانكي**" لأنها معجبة بها كما لو كانت تبدي إعجابها بأداء فوق خشبة مسرح. تمت الإجراءات بحكمة، ولأن آل "**باسنجتون فرنش**" كانوا محبوبين بالمنطقة تم كل شيء بما يراعي مشاعر الأرملة وشقيق الفقيد. أدلت "**فرانكي**" و"**روجر**" بشهادتهما، وأدلى الدكتور "**نيكلسون**" بأقواله وتم تقديم خطاب الوداع الذي كان الراحل قد حرره بخط يده، وانتهى التحقيق في زمن قصير جدًا وصدر الحكم: انتحار في ظل اختلال عقلي. الحكم "التعاطفي" كما أسماه السيد "**سبراج**". ارتبط الحادثان ببعضهما البعض بذهن "**فرانكي**".

واقعتا انتحار في ظل اختلال عقلي. هل هناك... هل من الممكن أن يكون هناك ارتباط بينهما؟ كانت مدركة تمامًا أن هذا الحادث انتحار حقيقي لأنها كانت متواجدة بمسرح الأحداث، وبناء على ذلك ينبغي استبعاد نظرية "**بوبي**" المشككة في أنها جريمة قتل على اعتبار أنها مردود عليها خاصة أن دفع "**نيكلسون**" بالغيبة كان قويًا وفي مثل صلابة الفولاذ وقد شهدت الأرملة بنفسها على صحته. ظلت "**فرانكي**" والدكتور "**نيكلسون**" باقيين بينما انصرف الآخرون بعدما صافح المحقق "**سيلفيا**" مقدمًا لها واجب العزاء. قالت "**سيلفيا**":

- أعتقد أن لك بعض الخطابات يا عزيزتي "فرانكي"، أرجو الا يضايقك أن أتركك الآن لأسترخي قليلا، كان كل ما جرى بشعاً جداً. وغادرت الحجرة مرتعشة وتبعها "نيكلسون" متمتماً بشيء عن عقار مسكن ما. التفتت "فرانكي" إلى "روجر" وقالت:

- "روجر"، لقد اختفى "بوبي".

- اختفى؟

- نعم.

- أين وكيف؟ شرحت له "فرانكي" الموضوع بإيجاز، فقال "روجر":

- ولم يظهر منذ ذلك الحين؟

- نعم، ما رأيك؟ فقال "روجر" متأنياً:

- لا يروقني وقع هذا الكلام. وغار قلب "فرانكي" فقالت:

- لا تعتقد...؟

- آه، ربما أن ليس ثمة ما يدعو إلى القلق، لكن ها هو الدكتور "نيكلسون" قادم. دخل الطبيب الحجرة بخطاه غير المسموعة المعتادة. كان يفرك يديه معا ويبتسم قائلا:

- لقد مر ذلك بسهولة ويسر، تصرف الدكتور "ديفيدسون" بحكمة ومراعاة للمشاعر، ربما يمكننا اعتبار أنفسنا سعداء الحظ جداً لأنه تولى هذا التحقيق بنفسه بوصفه المحقق المختص بهذه المنطقة. فقالت "فرانكي" بتلقائية تامة:

- أعتقد ذلك أيضاً.

- هناك فرق كبير يا ليدي "فرانسيس"، مسار التحقيق بيد المحقق كلية وله سلطات واسعة، يمكنه تيسير الأمور أو تصعيبها كما يريد، وفي حالتنا هذه تم التحقيق بأفضل صورة ممكنة. فقالت "فرانكي" بنبرة قاسية:

- كان أداء مسرحياً في الواقع. نظر "نيكلسون" إليها دهشاً، وقال "روجر":

- أعلم بما تشعر به الليدي "فرانسيس" وأبادلها ذات الشعور، شقيقي مات مقتولا يا دكتور "نيكلسون". كان واقفاً خلف الآخر فلم ير، كما رأت "فرانكي"، ذلك التعبير الجزع الذي لاح بعيني الطبيب. فتح الطبيب فاه ليجيب ولكن "روجر" قاطعه قائلا:

- أنا أعني ما أقول، ربما لا يعتبر القانون موته جريمة قتل ولكنها جريمة قتل، القتلة المجرمون الذين حثوا شقيقي على أن يصبح عبداً لهذا المخدر قتلوه تماما كما

لو كانوا فعلوا به ذلك بضربة على الرأس. انتقل من مكانه قليلا بحيث أصبحت عيناه في مواجهة عيني الطبيب، ثم قال بما يشبه التهديد:

– ولابد من أن أنتقم منهم. خفض الدكتور "نيكلسون" بصره في مواجهة عيني الآخر، ثم هز رأسه أسفاً وقال:

– لا يمكنني القول إنني أختلف معك في الرأي، أنا أعلم عن إدمان المخدرات أكثر مما تعلمه أنت يا سيد "باسنجتون فرنش" وتشجيع شخص شخصاً آخر على تعاطي المخدرات جريمة غاية في البشاعة. تواردت الأفكار بذهن "فرانكي" وعلى رأسها فكرة معينة. حدّثت نفسها بأنها مستحيلة لأنها وحشية للغاية ومع ذلك كان دفعه بالغيبة متوقفاً على شهادتها، لكن في تلك الحالة... انتبهت لتجد "نيكلسون" يتحدث إليها مبتسماً:

– أتيت بسيارتك يا ليدي "فرانسيس"؟ لا حادث في هذه المرة؟ أحست "فرانكي" بكراهية شديدة لتلك الابتسامة. قالت:

– لا، أرى أنه من المؤسف أن يتعرض المرء للحوادث بهذا القدر، ألا تتفق معي في ذلك؟ تساءلت عما إذا كان جفناه قد طرفا لحظة أم أنها هي التي تخيلت ذلك. قال:

– ربما كان سائقك هو الذي تولى القيادة في هذه المرة؟ قالت:

– سائقي اختفى. وراقبت ردة فعل "نيكلسون".

– حقيقة؟ فاستطردت قائلة:

– شوهد في آخر مرة متوجهاً صوب المزرعة. رفع "نيكلسون" حاجبيه قائلا:

– حقيقة؟ هل لدي ما يجذب معجبين؟ لا يمكنني أن أصدق. فقالت "فرانكي":

– على أية حال كان هناك قبل اختفائه مباشرة. فقال "نيكلسون":

– أرى في حديثك قدراً من المبالغة، ربما أنك تعيرين الشائعات المحلية اهتماماً كبيراً وهي واهية لا يُعتمد عليها، فقد سمعت فيها أبشع القصص والأقاويل. توقف عن الحديث قليلا ثم استطرد يقول بنبرة مختلفة قليلا:

– حتى أنه قد بلغ أذنيَّ أن زوجتي وسائقك قد شوهدا يتحدثان معاً في مكان ما على النهر. توقف ثانية ثم قال:

– أعتقد أنه شاب ممتاز يا ليدي "فرانسيس". قالت "فرانكي" محدثة نفسها في صمت: هل هذا هو الوضع؟ هل سوف يدّعي أن زوجته قد هربت مع سائقي؟

هل هذه هي لعبته الوضيعة؟ قالت بعد ذلك بصوت مسموع:
– "هوكينز" فوق مستوى السائق العادي. فقال "نيكلسون":
– هذا ما يبدو. ثم التفت إلى "روجر" قائلا:
– لابد لي من أن أرحل الآن، صدقني، لك وللسيدة "باسنجتون فرنش" مني كل عزاء. خرج "روجر" معه إلى الرواق وتبعتهما "فرانكي" إلى هناك. كان على المنضدة بالرواق خطابان باسمها. أحدهما فاتورة والآخر... قفز قلبها. كان الخطاب الآخر بخط يد "بوبي". كان "نيكلسون" و"روجر" عند عتبة الباب. فتحت الخطاب وقرأت:

"عزيزتي "فرانكي"، أنا في الأثر أخيرًا اتبعيني بأسرع ما يمكنك إلى "تشيينج سومرتون". من الأفضل أن تأتي بالقطار وليس بالسيارة؛ لأن الـ"بنتلي" مثيرة للانتباه جدًا. القطارات ليست منتظمة جدًا ولكنك ستصلين بسلامة الله. توجهي إلى منزل اسمه "كوخ تيودور". سأشرح لك الطريق إليه. لا تسألي أحدًا عن العنوان. (ذكر بعد ذلك توجيهات دقيقة) هل وضحت الصورة بذهنك؟ لا تخبري أي إنسان، (وكان هناك خط تحت هذه العبارة "لا أحد إطلاقًا").

المخلص
"بوبي"

احتوت "فرانكي" الخطاب في راحة يدها وفركته بشدة. كل شيء على ما يرام إذن، لا شيء بشع أصاب "بوبي". إنه على الأثر ...ذات الأثر الذي تقتفيه هي، يالها من مصادفة! كانت قد توجهت إلى "سومرست هاوس" لتطلع على وصية "جون سافيج" قيل لها إن "روز إميلي تمبلتون" هي زوجة "إدجار تمبلتون" مالك "كوخ تيودور" بمنطقة "تشيينج سومرتون"، وهذا يتسق أيضًا مع ما كانت قد دونته من جدول مواعيد السكك الحديدية الذي كانت قد وجدته مفتوحًا بالمنزل الواقع في منطقة "ليونارد جاردنز". كانت "تشيينج سومرتون" إحدى المحطات المدونة بالصفحة المفتوحة. لقد توجه الزوجان "كيمان" إلى "تشيينج سومرتون". كانت الأحداث والوقائع متسقة مع بعضها البعض وبذلك يكونان قد اقتربا من نهاية هذه المطاردة. استدار "روجر" وتقدم إليها. سألها بنبرة عابرة:
– هل هناك شيء مثير للاهتمام بالخطاب الذي وصلك؟ ترددت "فرانكي" لحظة. من المؤكد أن "بوبي" لم يعن "روجر" عندما طلب منها الا تخبر أحدًا، ولكنها تذكرت الخط الثقيل الذي رسم تأكيدًا لهذا المطلب، تذكرت أيضًا

فكرتها الغريبة الأخيرة. لو كانت هذه صحيحة فمن الممكن أن يفشي "**روجر**" سرهما ببراءة تامة. لم تجرؤ على أن تلمّح له بشكوكها... اتخذت قرارها ثم تكلمت:

– لا، لا شيء إطلاقًا. وستأسف على هذا القرار بمرارة قبل انقضاء أربع وعشرين ساعة. ندمت بمرارة وأكثر من مرة في غضون البضع ساعات التالية على إصرار "**بوبي**" على عدم استخدامها السيارة، فلم تكن المسافة إلى "**تشيينج سومرتون**" طويلة جدًا، ولكنها تطلبت تغيير القطار ثلاث مرات. طال انتظار القطار في كل منها على محطة السكك الحديدية إلى حد لم تتحمله طبيعة "**فرانكي**" التي تميزت بنفاد الصبر وحب الحركة وسرعة الإنجاز، ومع ذلك شعرت بأنه لابد من أن يكون هناك مبرر لهذا المطلب من جانب "**بوبي**" وتعلله بأن الـ"**بنتلي**" مثيرة للانتباه.

كانت المبررات التي أبدتها لتركها السيارة تنتظر في "**ميروَوي كورت**" واهية للغاية، ولكن لم يَجُد ذهنها عليها بأفضل منها في تلك اللحظة وفي ظل تلك الظروف. كان الظلام قد بدأ يخيم عند وصول القطار الذي سار ببطء شديد إلى محطة "**تشيينج سومرتون**". بدا الوقت لـ"**فرانكي**" أقرب إلى منتصف الليل؛ لأنه بدا لها أن القطار ظل يسير لساعات وساعات، وبدأت الأمطار تنهمر أيضًا لتضيف إلى محنتها.

أحكمت "**فرانكي**" قفل معطفها حتى العنق وألقت نظرة أخيرة إلى خطاب "**بوبي**" على ضوء مصباح المحطة، واسترجعت التوجيهات بوضوح تام ثم انطلقت. كانت التوجيهات ميسرة جدًا واتبعتها بلا صعوبة تذكر. رأت "**فرانكي**" أضواء القرية على البعد وانعطفت إلى اليسار في طريق منحدر إلى أعلى مرتفع ما، وعند قمة الطريق سلكت الطريق إلى اليمين فرأت التجمع الصغير للمنازل التي تألفت منها القرية الواقعة أسفل المنطقة التي كانت بها، كما رأت حزامًا من أشجار الصنوبر أمامها. وصلت في النهاية إلى بوابة خشبية أنيقة. أشعلت عود الثقاب فرأت لافتة عليها اسم المنزل: "**كوخ تيودور**".

لم تر أحدًا بالناحية. رفعت "**فرانكي**" المتراس ودخلت. أمكنها رؤية حدود المنزل الواقع خلف حزام أشجار الصنوبر. اتخذت لها موقعا بين الأشجار تتمكن منه من رؤية المنزل بوضوح، ثم – وقلبها يخفق بشدة نسبية – قلّدت صوت نعيق البومة بأفضل ما أمكنها. مرت بضع دقائق بلا تغيير فكررت الصوت. فُتح باب

الكوخ وظهر فيه شكل بشري يرتدي زي سائق سيارة، يطل خارجه بحذر شديد. "بوبي"! أشار إليها مستدعيا ثم انسحب إلى الداخل تاركًا الباب نصف مفتوح.

خرجت "فرانكي" من بين الأشجار وتوجهت إلى الباب. لم تكن هناك أية إضاءة بأية نافذة. كان الظلام والسكون يخيمان على كل شيء. عبرت "فرانكي" العتبة متضررة إلى الرواق المظلم. توقفت وأخذت تنظر حولها. همست:

– "بوبي"؟ وأتاها التخدير عن طريق الأنف. أين عرفت هذه الرائحة من قبل ذلك العبير الحلو الثقيل؟ وفي اللحظة التي واتها المخ بالإجابة "كلوروفورم" أمسك بها ذراعان قويان من الخلف. فتحت فاها لتصرخ فوضعت عليه إضمامة مبتلة. ملأت الرائحة الحلوة المتخمة منخريها. قاومت بشدة... أخذت تتلوى وتستدير وتركل لكن بلا جدوى، فعلى الرغم من شدة المقاومة التي بذلتها أحست بأنها تتداعى. ملأت أذنيها أصوات قرع وأحست بأنها تختنق، ثم لم تعرف مزيدا...

الفصل الثامن والعشرون
في الساعة الأخيرة

عندما استعادت "فرانكي" وعيها كانت ردات الفعل الفورية باعثة على الاكتئاب، فلا رومانسية في الآثار المترتبة على التخدير بالكلوروفورم. كانت مستلقية فوق أرضية خشبية صلبة ويداها وقدماها موثقة. تمكنت من أن تتدحرج على الأرض قليلا وكاد رأسها أن يرتطم بشدة بصندوق فحم مهشم. جرت عندئذ بضعة أحداث مؤسفة. تمكنت "فرانكي" بعد بضع دقائق تالية إن لم يكن من الجلوس معتدلة، فعلى الأقل من ملاحظة ما حولها.

سمعت أنينًا قريبًا منها حاولت أن تتحقق مما كان مصدره. كل ما أمكنها أن تستنتجه هو أنها كانت في عُلِّيَّة أو شيء من هذا القبيل، والضوء الوحيد بالمكان كان مصدره مَنْورًا بالسقف وكان ضعيفًا جداً آنذاك، وفي غضون دقائق سيخيم الظلام كليًّة. كان هناك عدد من الصور معلقة على الجدار وسرير حديدي مهشم وعدد من المقاعد المكسَّرة ودلو الفحم السابق ذكره. بدا الأنين آتيا من عند الزاوية. لم تكن قيود "فرانكي" محكمة جداً فسمحت لها بحركة شبه عنكبوتية. تسللت عبر الأرضية القذرة. صاحت فجأة:

– "بوبي"! وكان هو "بوبي" موثوق اليدين والقدمين، وقطعة نسيج مربوطة

حول فمه كان قد أوشك على أن ينجح في التخلص منها عندما أتت "فرانكي" لمعاونته، فعلى الرغم من أن يديها كانتا موثقتين معا أمكنها استخدامهما إلى حدما، وجذبة قوية بأسنانها أنهت المهمة. تمكن "بوبي" على الرغم من اختناق حلقه أن يقول:

– "فرانكي"! فقالت:

– أنا سعيدة لأننا معا، لكن يبدو لي أنه قد افترضت فينا سذاجة. فقال "بوبي" بكآبة:

– أعتقد أن هذه هي صفة الشرفاء في قاموسهم. سألت "فرانكي":

– كيف أمكنهم الاستيلاء عليك؟ هل كان ذلك بعدما كتبت لي هذا الخطاب؟

– أي خطاب؟ لم أكتب خطابا قط. قالت "فرانكي" وقد بدأت تتفهم:

– آه! فهمت كم كنت غبية... وكل تلك التحذيرات التي به بألا أخبر أحداً.

– اسمعيني يا "فرانكي"، سوف أخبرك بما حدث لي، ثم بعد ذلك أخبريني بما حدث لك. وصف لها مغامراته بالمزرعة وما تلاها من مصائب. قال:

– عندما أتيت إلى هذا الحجر القذر كان فوق صينية ما طعام وشراب، كنت جائعا جداً فتناولت قدراً منه، أعتقد أنه كان محتويا على مخدر لأنني استغرقت في النوم مباشرة تقريبا، أي يوم هذا؟

– الجمعة.

– وفقد الوعي مساء الأربعاء، لا بأس، فقد كنت فاقد الوعي طوال الوقت تقريبا، والآن أخبريني بالذي حدث لك. روت "فرانكي" مغامراتها بدءا من الرواية التي كانت قد سمعتها من السيد "سبراج" وانتهاء بظنها أنها رأت "بوبي" عند مدخل باب هذا المكان. قالت:

– قاموا بتخديري باستعمال الكلوروفورم بعد ذلك وقد قمت الآن بالقيء في دلو الفحم! قال "بوبي" مشجعا:

– أعتبر هذا سعة حيلة منك يا "فرانكي"، وأنت موثوقة اليدين هكذا، المهم الآن هو: ما الذي سنفعله الآن؟ لقد تصرفنا وفقا لرؤيتنا الخاصة طويلا، أما الآن فقد انقلبت الأوضاع. فقالت "فرانكي" نادمة:

– لو أنني فقط قد أخبرت "روجر" بما احتوى عليه خطابك، فكرت في ذلك ثم ترددت، وقررت بعد ذلك ثم ترددت، وقررت بعد ذلك أن أفعل كما قلت تماما وألا أخبر أحداً إطلاقا. فقال "بوبي" بنبرة حادة:

– والنتيجة هي أن أحداً لا يعرف أين نحن، "فرانكي" يا عزيزتي، أنا آسف لأنني أوقعتك في هذه الورطة. فقالت "فرانكي" بكآبة:
– لقد أفرطنا في ثقتنا بنفسينا. قال "بوبي" متأملا:
– ما أعجب له هو لماذا لم يسددوا إلينا ضربة على الرأس فوراً؟ لا اظن أن حركة تافهة كهذه تمثل صعوبة لشخص مثل "نيكلسون". فقالت "فرانكي" وقد اقشعر بدنها قليلا:
– لابد من أن لديه خطة ما.
– لا بأس، ومن الأفضل أن نخطط نحن أيضًا لشيء ما، لابد لنا من أن نخرج من هنا يا "فرانكي"، وما سبيلنا إلى ذلك؟ فقالت:
– يمكننا أن نصرخ. فقال "بوبي":
– نعم، ربما يكون شخص ما ماراً بالقرب من هنا ويسمع صوتنا، ولكن استناداً إلى أن "نيكلسون" لم يقم بتكميم فمك، يمكنني القول إن الفرص في هذا الاتجاه تكاد تكون معدومة، يداك موثقتان بإحكام أقل من يدي، لنر ما إذا كان يمكنني حل وثاقك بأسناني. انقضت الخمس دقائق التالية في صراع أُرجع الفضل في نتيجته إلى طبيب أسنان "بوبي". قال لاهثا:
– من الغريب أن مثل هذه الأمور تبدو سهلة في الكتب التي نقرؤها، لا أشعر بأي تقدم في العملية. فقالت "فرانكي" مؤكدة:
– نعم تحرز تقدمًا ،فقد بدأت ترتخي بالفعل، احترس، شخص ما قادم. تدحرجت مبتعدة عنه وسمع صوت وقع قدمي رجل يصعد الدرج بخطى ثقيلة مدوية. ظهر وميض ضوء أسفل الباب ثم كان هناك صوت مفتاح يدار بالقفل. فُتح الباب ببطء، وسُمع صوت الدكتور "نيكلسون" يقول:
– وكيف حال عصفوريّ الصغيرين؟ كانت بإحدى يديه شمعة، وعلى الرغم من أنه كان يرتدي قبعة تخفي عينيه ومعطفا ثقيلا رفع ياقته إلى أعلى، إلا أن صوته كان كفيلا بأن يكشف عن شخصيته في أي مكان كان. لمعت عيناه بلون باهت من خلف النظارة السميكة. هز رأسه نحوهما بخبث ثم قال:
– لا يليق برفعة مكانتك يا فتاتي العزيزة، أن تسقطي في الفخ بهذه السهولة. لم يرد أي منهما على ما قاله .كان واضحا أن "نيكلسون" قد أعزى عدم ردّهما إلى أنهما لم يهتديا إلى شيء يقولانه، فقال:
– على أية حال، لنر ما إذا كنتما مستريحين بما يكفي. فحص قيود "بوبي"

وأومأ برأسه استحساناً، ثم انتقل إلى "فرانكي" حيث هز رأسه اعتراضاً، ثم قال:

– هذا يؤكد ما كانوا يعلمونني إياه في صباي بأن الأصابع وجدت قبل الشّوك (شوك تناول الطعام) والأسنان استخدمت قبل الأصابع، أرى أن أسنان صديقك قد عملت بجد. كان بأحد الأركان مقعد من البلوط مهشم المسند الظهري. حمل "نيكلسون" "فرانكي" ووضعها فوق هذا المقعد وقيدها إليه بإحكام، ثم قال:

– وضع غير متعب جداً كما أعتقد؟ على أية حال لن يستمر طويلا. وهنا اهتدت "فرانكي" إلى لسانها فسألته:

– ما الذي ستفعله بنا؟ سار "نيكلسون" إلى الباب وأخذ الشمعة وقال:

– كم أغظتني يا ليدي "فرانسيس" بأنني مغرم بالحوادث! ربما أكون كذلك، وعلى أية حال سأغامر بحادث واحد آخر فقط. سأله "بوبي":

– ماذا تعني؟

– هل أخبرك؟ نعم، أرى أن أخبرك، السيدة "فرانسيس ديرونيت" تقود سيارتها بنفسها وسائقها إلى جوارها تخطئ منعطفاً وتسلك طريقاً مهجوراً ينتهي عند محجر، تصطدم السيارة بحافة الطريق وتتهشم فتلقى الليدي "فرانسيس" وسائقها حتفهما. سادت فترة صمت قصيرة قال "بوبي" بعدها:

– قد لا نُقتل، تفشل الخطط في بعض الأحيان، وقد فشلت إحدى خططك هناك في "ويلز". فقال "نيكلسون":

– كانت مقاومتك لتأثير المورفين جديرة بالملاحظة جداً، وكانت بالنسبة إلينا مؤسفة للغاية، لكن ليس ثمة ما يدعوك إلى القلق عليّ في هذه المرة، سوف تكون أنت والليدي "فرانسيس" قد فارقتما الحياة تماماً قبل أن يتم العثور على جثتيكما. اقشعر بدن "بوبي" رغماً عنه، فقد شابت صوت "نيكلسون" نبرة غريبة، نبرة فنان يتأمل رائعة أبدعها، وقال "بوبي" محدثاً نفسه في صمت: "يستمتع بهذه الأشياء... تمتعه بحق". قرر ألا يتيح لـ"نيكلسون" مزيداً من فرص الاستمتاع؛ لهذا قال بنبرة عابرة:

– أنت مخطئ وبخاصة فيما يتعلق بالليدي "فرانسيس". قالت "فرانكي":

– نعم، في خطابك المزيف بإتقان طلبت مني ألا أخبر أحداً، ولكنني استثنيت فرداً واحداً من هذا التحذير، وأخبرت "روجر باسنجتون فرنش" وهو يعلم كل شيء عنك، إذا أصابنا مكروه فسوف يعلم من هو المسؤول عنه، من الأفضل أن تتركنا نمضي ونرحل عن هنا بأسرع ما يمكنك. صمت "نيكلسون" لحظة قال

بعدها:

– خدعة جيدة لا أكثر. ثم استدار إلى الباب، فصاح "**بوبي**" قائلا:

– وماذا عن زوجتك أيها الخنزير؟ هل قتلتها أيضًا؟ فقال "**نيكلسون**":

– "**مويرا**" حية ترزق، وحتى متى ستظل كذلك لا أعلم بصدق، فهذا يتوقف على الظروف. انحنى لهما هازئا ثم قال:

– إلى لقاء، ستستغرق مني ترتيباتي ساعتين لا أكثر، يمكنكما الاستمتاع بمناقشة الموضوع معًا، ولن أكمم فميكما ما لم تكن هناك ضرورة لذلك، فهمتما؟ أي نداء استغاثة سأعود وأتعامل مع الموضوع. غادر الحجرة وأغلق الباب وقفله. قال "**بوبي**":

– لا أصدق ما يجري، من غير الممكن أن يكون حقيقة واقعة، مثل هذه الأمور لا تحدث. لكن لم يسعه سوى أن يشعر بأنها سوف تحدث، وتحدث له ولـ"**فرانكي**". قالت "**فرانكي**" محاولة أن تبعث بصيصًا من أمل:

– في الروايات هناك إنقاذ يتم في اللحظة الأخيرة. ولكنها لم تستشعر أي أمل، بل انخفضت معنوياتها إلى الحضيض. قال "**بوبي**" وكأنه يرجو شخصًا ما:

– الأمر برمته مستحيل... خيالي جدًا، حتى "**نيكلسون**" ذاته يبدو غير حقيقي، أتمنى لو أن نجدة في اللحظة الأخيرة تكون ممكنة، وإن كنت لا أرى من الذي سوف ينقذنا. قالت "**فرانكي**" نادمة:

– لو أنني فقط قد أخبرت "**روجر**". فقال "**بوبي**" مقترحًا:

– ربما "**نيكلسون**" يعتقد أنك قد أخبرته، على الرغم من كل شيء. فقالت "**فرانكي**":

– لا، لم يصدق ذلك إطلاقًا، هذا الرجل حاد الذكاء جدًا. فقال "**بوبي**":

– لقد مارس ذكاءه الخارق علينا، "**فرانكي**"، هل تعلمين ما الذي يضايقني جدًا فيما يتصل بهذا الموضوع؟

– لا، ماذا؟

– أننا حتى الآن، ونحن مشرفان على أن يُقذف بنا إلى العالم الآخر، مازلنا لا نعرف من هو "**إيفانز**". فقالت "**فرانكي**":

– لنسأله، من قبيل المطلب الأخير قبل الموت، من غير الممكن أن يرفض أن يخبرنا، أتفق معك في أنه لا يمكنني أن أموت قبل أن أشبع فضولي. سادت فترة صمت قال "**بوبي**" بعدها:

– هل ترين أنه من الواجب أن نصرخ طلبًا للنجدة كفرصة أخيرة؟ إنها الفرصة الوحيدة المتاحة تقريبا. فقالت "فرانكي":

– ليس بعد، أولا: لا أعتقد أن أحدا من الممكن أن يسمعنا، وإذا سمعنا أحد فلن يغامر بالمجيء إلى هنا، وثانيا: أنني أشعر بأنه لا يمكنني البقاء هنا حتى ألقى حتفي دون أن أستطيع أن أتكلم او يكلمني أحد، لنترك الصياح حتى آخر لحظة ممكنة، يريحني جداً أنك معي لأتحدث إليك. ارتعش صوتها قليلا وهي تنطق بهذه الكلمات الأخيرة.

– لقد سببت لك ورطة كبيرة يا "فرانكي".

– آه، لا بأس في ذلك، ما كان من الممكن أن تستبعدني، كنت أريد أن أكون في المعمعة دائما، "بوبي"، هل تظن أنه سوف يقتلنا بحق؟

– لشديد الأسف أنه أهل لذلك، ولن يتردد في أن يفعل ذلك.

– "بوبي"، هل تعتقد الآن انه هو الذي قتل "هنري باسنجتون فرنش"؟

– لو كان هذا ممكنا...

– إنه ممكن ،بشرط واحد... أن يكون لـ"سيلفيا" أيضًا يد في الموضوع.

– "فرانكي"!

– أعلم، فأنا فعلا فزعت عندما لاحت لي هذه الفكرة ولكنها واردة، لماذا كانت "سيلفيا" غبية إلى هذا الحد فيما يتعلق بالمورفين؟ ولماذا قاومت بكل عناد عندما أردنا أن يذهب زوجها إلى مكان آخر للعلاج بدلا من الذهاب إلى المزرعة؟ ثم إنها كانت بالداخل عندما أُطلقت الرصاصة...

– من الممكن أن تكون هي التي أطلقتها.

– آه! لا بالتأكيد.

– نعم، هذا ممكن، ثم أعطت مفتاح حجرة المكتب لـ"نيكلسون" ليضعه في جيب "هنري". فقالت "فرانكي" بصوت شابته نبرات اليأس:

– كل هذا يدفع إلى الجنون مثلما ينظر الإنسان إلى مرآة من تلك النوعية التي تشوّه الوجه والملامح، جميع من بدوا على درجة كبيرة من الكمال هم في حقيقة أمرهم أشرار حتى النخاع، كل الناس الظرفاء الطيبين العاديين. لابد من أن تكون هناك وسيلة للكشف عن الآثمين والمجرمين... عن طريق الحاجبين أو الأذنين أو أي شيء آخر. وهنا صاح "بوبي":

– يا إلهي!

– ماذا بك؟

– "فرانكي"، لم يكن هذا "**نيكلسون**" الذي أتى إلى هنا الآن.

– هل فقدت صوابك؟ مَن من الممكن أن يكون إذن؟

– لا أعلم، ولكنه ليس "**نيكلسون**"، كنت أشعر طوال الوقت بأن هناك شيئًا ما غير متسق لكن لم يمكنني تحديده، وقولك كلمة أذنين هيأت لي المفتاح إلى اللغز، عندما كنت أراقب "**نيكلسون**" في تلك الليلة من خلال النافذة لحظت شيئا غريبا في أذنيه: شحمتا أذنيه ملتصقتان بوجهه، لكن هذا الرجل الذي أتى الليلة ليست أذناه هكذا. سألت "**فرانكي**" بنبرة يائسة:

– لكن ما الذي يعنيه هذا؟

– نحن أمام ممثل قدير ينتحل شخصية "**نيكلسون**".

– لكن لماذا، ومَنْ من الممكن أن يكون؟ فقال "**بوبي**":

– "**روجر باسنجتون فرنش**"، حددنا المجرم الحقيقي منذ البداية ثم انحرفنا عن المسار الصحيح وراء طعم زائف. همست "**فرانكي**":

– "**باسنجتون فرنش**"، "**بوبي**"، أنت محق فيما تقول، لابد من أن يكون هو، كان هو الشخص الوحيد المتواجد عندما كنت أغيظ "**نيكلسون**" بشأن الحادث. فقال "**بوبي**":

– انتهى كل شيء إذن، كان يساورني أمل طفيف في أن يتمكن "**روجر**" من اقتفاء أثرنا بفعل معجزي ما، ولكن آخر أمل لنا في النجاة قد ضاع بذلك، "**مويرا**" محبوسة وأنت وأنا مقيدا اليدين والقدمين ولا يعلم أحد عن مكاننا شيئًا، لقد انتهى كل شيء يا "**فرانكي**". وبينما كان يتكلم أتى صوت من أعلى وفي اللحظة التالية سقط جسم ثقيل من المنور مصحوبا بصوت تهشم زجاج مخيف. كان الظلام دمسًا لا يسمح بالرؤية. بدأ "**بوبي**" يقول:

– ما هذا بحق الشيطان... أجابه من وسط ركام الزجاج صوت يقول:

– بـ بـ "**بوبي**"! فقال "**بوبي**":

– هذا "**بادجر**"!

الفصل التاسع والعشرون
"بادجر" يتحدث

لم يمكن التفريط في دقيقة واحدة؛ إذ بدأت الأصوات تترامى إليهم من الطابق

الأدنى. قال "بوبي" :

– أسرع يا "بادجر" ، أيها الأحمق! اخلع فردة حذائي! لا تجادل أو تسأل! اخلعها بطريقة أو بأخرى، اغرسها في وسط الركام ثم اختبئ أسفل السرير! أسرع! سمع صوت خطى تصعد الدرج وأدير المفتاح بالقفل. وقف "نيكلسون" – "نيكلسون" المزيف – بمدخل الباب والشمعة في يده. وجد "بوبي" و"فرانكي" على الوضع الذي كان قد تركهما عليه، ولكنه رأى في وسط الحجرة كومة من الزجاج المهشم وفي وسطها فردة حذاء! أخذ "نيكلسون" ينظر بحيرة من الحذاء إلى "بوبي" ورأى أن قدم "بوبي" اليسرى حافية. قال بلهجة جافة:

– أنت ماهر جداً يا صديقي... وبهلواني جداً! تقدم إلى "بوبي" وفحص قيوده وأضاف إليها عقدتين ثم أخذ يتامله متعجبا:

– اتمنى أن أعرف كيف تمكنت من أن تلقي بالحذاء إلى المنور، شيء لا يصدق تقريباً، لابد من أن بك مساً شيطانياً. نظر إليهما الواحد بعد الآخر ثم إلى المنور وهزّ كتفيه وانصرف.

– اسرع يا "بادجر". زحف "بادجر" إلى خارج السرير وكانت معه مُدية جيب سرعان ما قطع بها قيود الآخرين محرراً إياهما. قال "بوبي" متمطّئًا:

– هذا أفضل بكثير، جسدي متيبس! والآن يا "فرانكي" ، ماذا عن صديقنا "نيكلسون"؟ فقالت "فرانكي" :

– لقد أصبت، إنه "روجر باسنجتون فرنش" ، بعدما عرفت أنه "روجر" ينتحل شخصية "نيكلسون" أمكنني أن أرى ذلك بوضوح، ومع ذلك أشهد بانه ممثل قدير. فقال "بوبي" :

– أداء متقن تماما.. الصوت والنظارة الأنفية. فقاطعه "بادجر" قائلا:

– كنت في "أكسفورد" مع "باسنجتون فرنش" ، إنه ممثل بارع وإن كان لأغراض مشينة، فقد زوّر اسم أبيه على أحد الشيكات واضطر الرجل إلى تكتُّم الموضوع. راودت ذهن "فرانكي" و"بوبي" في ذات اللحظة فكرة واحدة... أن "بادجر" الذي رأيا ألا يطلعاه على أسرارهما كان من الممكن منذ البداية أن يوفر لهما معلومات قيمة! قالت "فرانكي" متأملة:

– ومزور أيضاً، ذلك الخطاب المفترض أنك كتبته لي كان متقن التزوير جداً، ولكنني اتساءل، كيف عرف خط يدك؟

– مادام على علاقة بالزوجين "كيمان" ، فمن المحتمل أن يكون قد اطلع على

خطابي إليهما بشأن موضوع "**إيفانز**". علا صوت "**بادجر**" وهو يسأل:

– ماذا عسانا أن نفعل بعد ذلك؟ فقال "**بوبي**":

– نتخذ لنا موقعًا مناسبًا خلف الباب، وعندما يعود صديقنا – ولا أتصور أنه سيعود قبل انقضاء برهة ما – ننقض عليه من الخلف ونلقّنه مفاجأة عمره، ما رأيك يا "**بادجر**"؟ هل أنت مستعد؟

– تماما!

– أما أنت يا "**فرانكي**"، فمن الأفضل أن تعودي إلى موضعك عند سماع وقع قدميه، سيراك بمجرد أن يفتح الباب فيدخل دون أن يراوده أي شك. فقالت "**فرانكي**":

– حسنًا جدًا، وما إن تطرحه أنت و"**بادجر**" أرضًا حتى أنضم إليكما وأشبعه عضًّا. فقال "**بوبي**":

– حماس أنثوي صادق، والآن لنجلس معًا على الأرض ونسمع ملابسات المعجزة التي أتت بـ"**بادجر**" إلينا من خلال المنور. فقال "**بادجر**":

– بعدما ذهبت ساءت الظروف من حولي، كثرت المسؤوليات والديون والمطالبات، أصبح الوضع أشبه بكارثة. كان "**بوبي**" قد ذهب دون أن يترك عنوانًا. كل ما ذكره هو أنه سيقود السيارة الـ"**بنتلي**" إلى "**ستافرلي**"، ولهذا رأى "**بادجر**" أن يتوجه إلى "**ستافرلي**" آملا أن يتمكن "**بوبي**" من إقراضه مالا. أحس "**بوبي**" بوخز الضمير. كان قد أتى إلى "**لندن**" ليعاون "**بادجر**" في مشروعه الجديد، لكن سرعان ما هجره لينضم إلى "**فرانكي**" في مغامرتها البحثية، وحتى الآن لم ينطق "**بادجر**" الوفي بكلمة عتاب أو لوم.

لم يرغب "**بادجر**" في أن يعرّض مشروعات "**بوبي**" السرية للخطر، ولكنه كان واثقًا بأن السيارة الـ"**بنتلي**" الخضراء لن يكون من الصعب الاهتداء إليها في مكان بمساحة "**ستافرلي**"، والذي حدث هو أنه وجد السيارة حتى قبل أن يصل إلى "**ستافرلي**"؛ إذ كانت واقفة أمام إحدى الحانات ولا أحد بداخلها. استطرد "**بادجر**" قائلا:

– قررت عندئذ أن أقوم بعمل مفاجأة، كان بالسيارة من الخلف عدد من قطع السجاد وأشياء كهذه ولم يكن هناك أحد بالمكان، دخلت السيارة ووضعت هذه الأشياء عليّ، ظننت أنها ستكون مفاجأة سارة لكما. أما ما حدث بالفعل، أن

سائقًا في الزي الأخضر خرج من الحانة، وأن "**بادجر**" عندما نظر خلسة من تحت أغطيته تبين أن السائق لم يكن "**بوبي**"، أحس بأن وجه الرجل مألوف له إلى حدما لكن لم يمكنه أن يتعرف إليه. دخل هذا الرجل الغريب السيارة وانطلق بها.

أصبح "**بادجر**" في مأزق لا يدري ماذا يفعل بعد ذلك. كان من الصعب عليه أن يشرح للرجل أسباب دخوله السيارة أو الاعتذار إليه وبخاصة في أثناء قيادة بسرعة ستة وتسعين كيلومترًا في الساعة، لهذا قرر "**بادجر**" أن يظل حيث كان وأن يتسلل إلى الخارج عندما تتهيأ له الظروف. وصلت السيارة أخيرًا إلى حيث أراد سائقها... إلى "**كوخ تيودور**". أدخلها سائقها المرآب وتركها بداخله ولكنه أغلق أبواب المرآب قبل أن يمضي فأصبح "**بادجر**" حبيسًا. كانت على أحد جوانب المرآب نافذة صغيرة استطاع "**بادجر**" من خلالها أن يرى "**فرانكي**" تقترب بعد نصف ساعة من وصوله إلى هناك. سمع صفارتها ورآها تدخل ذلك البيت. تحير "**بادجر**" إزاء ما رأى وسمع فبدأ يشك في أن شيئًا ما على غير ما يرام. قرر ألا بأس بأن يلقي نظرة إلى المكان ويتعرف إلى ما يجرى فيه.

نجح بالاستعانة ببعض العدد والأدوات التي تناثرت بالمرآب في أن يفتح قفل الباب ثم انطلق في جولة استكشافية. كانت جميع مصاريع النوافذ بالطابق الأرضي مغلقة، ولكنه تصور أنه إذا ما صعد إلى السطح فمن الممكن أن يلقي نظرة من خلال نوافذ الطابق العلوي. لم يمثل الصعود إلى السطح أية صعوبة له؛ إذ كانت هناك ماسورة ممتدة إلى ما فوق المرآب، ومن سطح المرآب إلى سطح الكوخ تسلقها بسهولة، وفي مجرى بحثه أتى "**بادجر**" إلى المنور، وقام ثقل وزن "**بادجر**" والنظريات الطبيعية بما حدث. تنهد "**بوبي**" الصعداء بعدما انتهت رواية "**بادجر**" قائلا بكل امتنان:

– أنت معجزة يا صديقي... معجزة حقيقية ومتفردة! فلولاك يا "**بادجر**" لكنَّا أصبحنا أنا و"**فرانكي**" جثتين هامدتين في غضون ساعة واحدة. روى لـ"**بادجر**" بعد ذلك ملخصًا لما قام به هو و"**فرانكي**" من تحركات وإنجازات، وقرب النهاية توقف عن الكلام قائلا:

– أحد ما يقترب، اتخذي وضعك يا "**فرانكي**"، الآن يتلقى الممثل المسرحي "**روجر باسنجتون فرنش**" مفاجأة عمره. رتبت "**فرانكي**" لأن تبدو مكتئبة فوق ذلك المقعد المهشم، بينما وقف "**بادجر**" و"**بوبي**" في حالة استعداد خلف الباب. بلغت الخطوات أعلى الدرج وظهر خط ضوء أسفل الباب. وضع المفتاح بالقفل

وأدير وفتح الباب عن آخره. كشف ضوء الشمعة عن "فرانكي" حزينة مطأطأة الرأس فوق المقعد، ودخل السجَّان من الباب. انقضَّ "**بادجر**" و"**بوبي**" عليه بكل حماس، وتمت الإجراءات بسرعة وحزم. انبطح الرجل على الأرض وطارت الشمعة من يده فالتقطتها "**فرانكي**"، وبعد ثوان معدودة كان الأصدقاء الثلاثة ينظرون بفرحة الانتقام إلى شكل بشري مقيَّد بعناية وإحكام بذات الحبال التي كانت توثق اثنين منهما. قال "**بوبي**" بلهجة فظّة لا يلومه عليها أحد:

– مساء الخير يا سيد "**باسنجتون فرنش**"، أمسية مواتية للجنازة.

الفصل الثلاثون
هروب

رفع الرجل الملقى على الأرض بصره إليهم. كانت نظارته الأنفية قد طارت بعيداً وكذلك قبعته، ولم يصبح هناك ما يدعوه إلى محاولة التنكر. كانت آثار طفيفة من الماكياج واضحة حول الحاجبين، وفيما عدا ذلك كان الوجه هو وجه "**روجر باسنجتون فرنش**" الجميل وإن كان شاحباً إلى حد ما. تحدث بذات نبرة صوته الجميلة الموحية بالاعتداد بالذات. قال:

– أمر مثير للاهتمام. كنت على يقين بأن رجلا موثوقًا مثلما كنت لا يمكنه أبداً أن يقذف بحذائه إلى سقف المنْور، لكن بسبب وجود الحذاء حيث كان في وسط الزجاج المهشَّم اعتبرت أن الواقعة على الرغم من استحالة حدوثها إلا أن المستحيل قد وقع، معلومة مهمة عن محدودية العقل البشري. وحيث أن أحداً لم يتكلم واصل الحديث بذات الصوت الموحي بالتأمل:

– بذلك تكونان قد فزتما بالجولة إذن، نتيجة غير متوقعة إطلاقًا ومؤسفة للغاية، ظننت أنني قد خدعتكما بأسلوب ظريف راق. فقالت "**فرانكي**":

– خدعتنا بالفعل، أنت الذي زوَّرت ذلك الخطاب من "**بوبي**"؟ فقال بتواضع مصطنع:

– إنني موهوب في هذا المجال.

– وماذا بالنسبة إلى "**بوبي**"؟ كان مستلقيًا على ظهره يبتسم وكأنه يجد متعة حقيقية في تنويرهما وقال:

– كنت على يقين بأنه سوف يذهب إلى المزرعة. كل ما كان عليّ أن أفعله هو

أن أنتظر بين الشجيرات بالقرب من الممر، كنت خلفه تمامًا هناك بعدما تراجع عن مساره على أثر ذلك السقوط الشديد من فوق الشجرة. انتظرت حتى خمدت الضوضاء وتوقفت الحركة، ثم سددت إلى قفا عنقه ضربة مهذبة بكيس مملوء بالرمل، وكل ما أصبح عليّ أن أفعله هو أن أحمله إلى الخارج، إلى حيث كانت سيارتي واقفة وأضعه على المقعد الخلفي وأنطلق به إلى هنا، عدت بعد ذلك إلى البيت قبل الصباح. سأله "بوبي" :

– و"مويرا" . . . هل غررت بها إلى مكان ما أيضًا؟ ضحك "روجر" بصوت خافت؛ إذ بدا هذا السؤال مسليًا له ثم قال:

– التزوير فن عظيم الفائدة يا "جونز" العزيز. فقال "بوبي" :

– أيها الخنزير! وهنا تدخلت "فرانكي" . كانت لا تزال في قمة الفضول وبدا سجينهم متجاوبا. سألته:

– لماذا تظاهرت بأنك الدكتور "نيكلسون" ؟ قال:

– لماذا فعلت ذلك؟ بدا وكأنه يطرح السؤال على نفسه، ثم قال:

– أولا على اعتقادي الاستمتاع برؤية ما إذا كان يمكنني خداع كليكما، كنتما واثقين بأن "نيكلسون" المسكين غارق في الموضوع حتى الأذنين. ضحك بينما تورد وجه "فرانكي" خجلا، ثم قال:

– لمجرد أنه دقق قليلا في استفساره منك عن الحادث الذي وقع لك بأسلوبه المتعالي، إنه بدعة مملّة منه. . . دقّة التفاصيل. فقالت "فرانكي" بتأنٍ:

– وهو بريء تمامًا في الحقيقة؟ فقال "روجر" :

– براءة الجنين في الرحم، ولكنه أدى لي دورًا مـهـمًّـا بأن لفت نظري إلى ذلك الحادث، هذا وواقعة أخرى جعلاني أرى أنه ربما لا تكونين تلك الفتاة البريئة التي تتظاهرين بأن تكونيها، ثم إنني كنت واقفًا إلي جوارك عندما اتصلت هاتفيا ذات صباح فسمعت صوت سائق سيارتك يقول: "فرانكي" . أتمتع بحاسة سمع حادة جدًّا، اقترحتِ يومئذ أن آتي معك إلى المدينة ووافقت، لكنك سرعان ما أبديت ارتياحًا شديدًا عندما غيَّرت رأيي، وبعد ذلك. . . توقف قليلا ثم هز كتفيه الموثوقتين بالقدر الذي أمكنه واستطرد قائلا:

–كنت مستمتعًا جدًّا بتحاملك الشديد على "نيكلسون" ، على الرغم من أنه أحمق عجوز لا ضرر منه مع أنه يبدو تمامًا مثل العالم المتمرس في الإجرام الذي يظهر في الأفلام، رأيت أن أواصل خداعكما لأنكما لن تعلما الحقيقة أبدًا، أفضل الخطط حَبْكة تفشل وتنهار وهذا ما يدل عليه وضعي المؤلم الحالي. قالت

"**فرانكي**" :

– شيء واحد يجب أن تخبرني به، لقد كدت أفقد صوابي فضولا، من "**إيفانز**" ؟ فقال:

– آه! لا تعلمين هذا؟ ثم ضحك وضحك ثانية. قال:

– أمر مسلٍ يبين إلى أي مدى من الممكن أن يكون الإنسان أحمق. سألته "**فرانكي**" :

– تعنينا نحن بهذا النعت؟ فقال "**روجر**" :

– لا ، أعني نفسي في هذا السياق تحديداً، تعلمين، إذا كنت لا تعرفين من يكون "**إيفانز**" فلا أعتقد أنني سأخبرك، سأحتفظ بهذا لنفسي سرًا خاصًا بي. كان الوضع غريبًا. لقد قلبوا الوضع على "**باسنجتون فرنش**"، ومع ذلك سلبهم فرحة انتصارهم عليه بأسلوب غريب، فعلى الرغم من أنه كان مقيداً مطروحًا على الأرض إلا انه كان هو سيد الموقف. سألهم:

– وهل لي أن أسأل ما هي خططكم الآن؟ لم يكن أحد حتى الآن قد كوّن أية خطط إلا أن "**بوبي**" تمتم بشيء مثل الاتصال بالشرطة، فقال "**روجر**" بمرح شديد:

– هذا أفضل شيء من الممكن أن تفعلوه، اتصلوا بالشرطة هاتفيًا وسلموني إليهم. أعتقد أنه يمكنكم اتهامي بالاختطاف، ولن يمكنني إنكار هذا تماما. نظر بعد ذلك إلى "**فرانكي**" قائلاك:

– سأدافع عن نفسي بأنني فعلت ذلك بدافع من غرام جارف. فاحمر وجه "**فرانكي**" ثم قالت:

– وماذا عن جريمة القتل؟

– يا عزيزتي، لا دليل لديكم، لا دليل إطلاقًا، فكري مليًا وسوف تتأكدين من ذلك. قال "**بوبي**" :

– "**بادجر**" ، من الأفضل أن تبقى هنا وتتولى حراسته بينما أذهب أنا إلى الطابق الأدنى وأتصلِ بالشرطة هاتفيًا. فقالت "**فرانكي**" :

– كن حذراً، فإننا لا نعرف كم منهم موجودون بهذا المنزل. قال "**روجر**" :

– لا أحد سواي ،كنت أنفذ هذا بمفردي. فقال "**بوبي**" بنبرة فظّة:

– لست مهيئًا لأن أصدقك. ثم انحنى عليه وفحص العُقَد ثم قال:

– كل شيء على ما يرام، من الأفضل أن نذهب كلنا معا ويمكننا أن نقفل الباب. فقال "روجر":

– لا ثقة لديك يا صديقي العزيز، بجيبي مسدس إذا كنت تحب أن تأخذه، ربما يجعلك أكثر سعادة، ومن المؤكد أنه لن يفيدني في وضعي الحالي. تجاهل "بوبي" نبرة التهكم التي تحدث "روجر" بها وانحنى من فوقه وأخذ المسدس قائلا:

– هذا كرم منك، ولعلمك، إنه يشعرني بسعادة بالغة. فقال "روجر":

– حسنًا، وهو مُلقَّم أيضًا. أمسك "بوبي" بالشمعة وتبعه الجميع إلى خارج العُلِّيَّة تاركين "روجر" ملقًى على الأرض. قفل "بوبي" الباب ووضع المفتاح بداخل جيبه. أمسك بالمسدس قائلا:

– سأذهب أنا أولا، ينبغي لنا أن نتأكد تمامًا ولا نفسد الأمور الآن. قال "بادجر" وهو يهز رأسه إلى الخلف في اتجاه الحجرة التي غادروها توًّا:

– إنه رجل غريب، أليس كذلك؟ فقالت "فرانكي":

– إنه خاسر كبير. حتى في تلك اللحظة لم تكن "فرانكي" قد تخلصت من تأثير سحره فيها. بضع درجات متداعية جاءت بهم إلى الطابق الأوسط. ساد هدوء تام. نظر "بوبي" من أعلى الدرابزين فرأى الهاتف في الرواق بالطابق الأرضي. قال:

– من الأفضل أن نبحث في الحجرات أولا، لا نريد أن نؤخذ في غفلة. فتح "بادجر" أبواب الحجرات الواحد بعد الآخر. في الحجرة الرابعة رقد شكل بشري نحيل فوق الفراش. صاحت "فرانكي":

– إنها "مويرا". دخل الآخران الحجرة. كانت "مويرا" راقدة مثل ميت باستثناء أن صدرها كان يرتفع وينخفض بقدر طفيف. سأل "بوبي":

– هل هي نائمة؟ فقالت "فرانكي":

– أعتقد أنها مخدَّرة. نظرت حولها فرأت محقنة تحت الجلد موضوعة فوق صينية صغيرة على منضدة بالقرب من النافذة. كان هناك أيضًا مصباح كحولي صغير وإبرة حقن مورفين تحت الجلد. قالت:

– أعتقد أنها ستكون على ما يرام، لكن ينبغي لنا أن نستدعي لها طبيبًا. فقال "بوبي":

– لنذهب إلى الطابق الأرضي ونستخدم الهاتف. وتوجه الجميع إلى هناك. خشيت "فرانكي" من أن تكون أسلاك الهاتف مقطوعة، لكن ثبت أن مخاوفها لا أساس لها. اتصلوا بقسم الشرطة بسهولة تامة ولكنهم واجهوا مشكلة في شرح

الموضوع؛ إذ كان لدى قسم الشرطة المحلي ميل إلى اعتبار هذا الاستدعاء مزحة عملية. اقتنعوا في نهاية الأمر وأعاد "**بوبي**" السماعة إلى موضعها متنفسًا الصعداء. كان قد أخبر الشرطة بأنهم يحتاجون أيضًا إلى طبيب، ووعد موظف الأمن بإجابة هذا المطلب أيضًا.

بعد عشر دقائق وصلت سيارة تقلُّ مفتشًا وموظف أمن ورجلا كبير السن نطق كل شيء فيه بنوعية مهمته. استقبلهم "**بوبي**" و"**فرانكي**" وبعدما شرحا لهم الموضوع بهدوء وتفصيل اصطحباهم إلى العُلِّيَّة وفتح "**بوبي**" الباب ثم وقف فاقد النطق تمامًا عند العتبة. كان في وسط الحجرة كومة من الحبال المقطَّعة وأسفل المَنْور المكسور كان هناك مقعد موضوع فوق السرير بعد جذبه إلى ما تحت المَنْور مباشرة، ولم يكن هناك أدنى أثر لـ"**روجر باسنجتون فرنش**". وقف "**بوبي**" و"**بادجر**" و"**فرانكي**" صامتين. قال "**بوبي**" أخيرًا:

– يتحدث عن السحر، لقد فاق سحره كل سحر، كيف أمكنه أن يقطع هذه الحبال؟ فقالت "**فرانكي**":

– لابد من أنه كانت معه مُدية في جيبه.

– حتى مع ذلك كيف أمكنه التوصل إليها وكلتا يديه موثوقتان معا خلف ظهره؟ سعل المفتش، فقد عاودته شكوكه السابقة. أصبح أكثر ميلا إلى اعتبار الموضوع كله خدعة. انتبه "**بوبي**" و"**فرانكي**" لأنهما كانا يسردان قصة طويلة تبدو مستحيلة في كل دقيقة تالية، وكانت في الطبيب نجدتهم.

عندما دخل الحجرة التي كانت "مويرا" راقدة بها أعلن على الفور أنها تحت تأثير عملية تخدير بالمورفين أو بمستحضر آخر من مستحضرات الأفيون. لم يعتبر حالتها خطيرة ورأى أنها ستفيق بطريقة طبيعية في خلال أربع ساعات أو خمس. اقترح حملها في التو واللحظة إلى إحدى دور الرعاية القريبة. وافق "**بوبي**" و"**فرانكي**" على ذلك؛ إذ لم يريا بديلا عنها. أعطوا أسماءهم وعناوينهم للمفتش الذي بدا غير مصدِّق تمامًا ما ذكرته "**فرانكي**" عن نفسها، وسمح لهم أيضًا بمغادرة "**كوخ تيودور**" وبمساعدة المفتش نجحوا في أن يقبلوا كنزلاء بفندق "النجوم السبعة" بالقرية.

لم يفارقهم الإحساس بانهم قد اعتبروا مجرمين، فكانوا شاكرين على أن ياووا إلى الفراش بحجرة لفردين من أجل "**بوبي**" و"**بادجر**"، وحجرة صغيرة جدًا لـ"**فرانكي**"، وبعدما ذهبوا إلى الفراش ببضع دقائق كان قرع على باب حجرة

"بوبي" . كانت "فرانكي" . قالت:

– لقد تذكرت شيئًا ما، مادام هذا المفتش الأحمق يصر على أننا ابتدعنا كل هذه الأحداث، فلديَّ الدليل على أنه قد تم تخديري بالكلوروفورم.

– صحيح؟ أين هو؟ فقالت "فرانكي" بإصرار:

– بدلو الفحم.

الفصل الواحد والثلاثون
"فرانكي" تستفسر

ظلت "فرانكي" نائمة حتى ساعة متأخرة من صباح اليوم التالي؛ بسبب الإرهاق الذي ألمَّ بها من جراء تلك المغامرات. كانت الساعة تشير إلى العاشرة والنصف عندما نزلت إلى حجرة القهوة الصغيرة لتجد "بوبي" ينتظرها.

– أهلا يا "فرانكي" ! ها قد أتيت أخيرًا. اتخذت لها مقعدًا وأجابته:

– ما كل هذا الحماس!

– ماذا تريدين من قبيل الفطور؟ وذكر لها الأطباق المتاحة، فقالت:

– سأكتفي بقدر من الخبز المحمص وقدح شاي، لكن ماذا بك؟ فقال:

– إنها آثار الضربة بكيس الرمل، ربما تكون قد عملت على إزالة بعض الالتصاقات بالمخ؛ لأنني أشعر بأنني مفعم بالذكاء والحيوية ومملوء بالأفكار النيرة وتواق إلى الخروج والقيام بأعمال بطولية. فقالت بهدوء:

– ولماذا لا تخرج؟

– لقد خرجت، كنت برفقة المفتش "هاموند" على مدى نصف الساعة الأخير، سوف نضطر إلى الموافقة على اعتبار ما حدث في الليلة الماضية مزحة عملية، مؤقتا على الأقل يا "فرانكي" .

– لكن يا "بوبي" . . .

– قلت مؤقتا؛ لأنه لابد لنا من أن نصل إلى جذور الموضوع يا "فرانكي" ، نحن على المسار الصحيح وكل ما تبقى علينا هو أن نتوصل إلى أصل الموضوع، لا نريد محاكمة "روجر باسنجتون فرنش" بتهمة الاختطاف بل بتهمة القتل. فقالت "فرانكي" وقد انتعشت معنويًا:

– وسوف يكون لنا هذا. فقال "بوبي" :

– نعم، هذه "**فرانكي**" التي أعرفها، تناولي قدح شاي آخر.
– كيف حال "**مويرا**"؟
– سيئ جداً، افاقت في حالة عصبية مزرية، يبدو أنها خائفة جداً، توجهت إلى "**لندن**" لإحدى دور الرعاية في منطقة "**كوينز جيت**"، تقول إنها سوف تشعر بالأمان هناك لأنها مذعورة هنا. فقالت "**فرانكي**":
– لم تكن قوية الأعصاب قط.
– من الطبيعي أن يشعر أي إنسان بالذعر وقاتل جريء مثل "**روجر**" حر طليق.
– لا يريد قتلها هي، نحن من يعني. فقال "**بوبي**":
– ربما يكون مشغولا جداً بحماية نفسه بحيث لا يفكر في إيذائنا حاليًا، والآن يا "**فرانكي**"، ينبغي لنا أن نتوصل إلى جذور الموضوع، لابد من أن تكون بدايته هي وفاة "**جون سافيج**" ووصيته، هناك شيء ما غير صحيح فيهما، فإما أن تكون تلك الوصية قد زورت، وإما أن يكون "**سافيج**" قد مات مقتولا أو شيء من هذا القبيل. فقالت "**فرانكي**":
– من المحتمل جداً أن تكون الوصية مزورة طالما كان لـ"**روجر باسنجتون فرنش**" يد في الموضوع، يبدو أن التزوير هو مجال تخصصه.
– ربما انطوى الموضوع على تزوير وقتل معاً، وعلينا أن نكتشف الحقيقة. وأومأت "**فرانكي**" قائلة:
– لدي الملاحظات التي دونتها عند اطلاعي على الوصية، كان الشاهدان هما "**روز كدلي**" الطاهية و"**ألبرت مير**" البستاني، من المفترض أن يكون من السهل الاهتداء إليهما، ثم هناك المحامون الذين أبرموا الوصية... "**إلفورد**" و"**ليه**" وهي مؤسسة محترمة كما ذكر السيد "**سبراج**".
– حسنا، لنبدأ من هناك، أرى أنه من الأفضل أن تتعاملي أنت مع المحامين؛ لأنه يمكنك أن تستمدي منهم أكثر مما أستطيعه أنا، بينما أذهب أنا للبحث عن "**روز كدلي**" و"**ألبرت مير**".
– وماذا عن "**بادجر**"؟
– لا يستيقظ "**بادجر**" أبداً قبل موعد الغداء، فلا تقلقي عليه. فقالت "**فرانكي**":
– لابد لنا من تسوية أموره في وقت ما، فهو الذي أنقذ حياتي على الأقل. فقال "**بوبي**":

– لن تلبث حتى تتعقد ثانية، آه على فكرة، ما رأيك في هذه؟ وعرض عليها قطعة من ورق كرتون قذرة... كانت صورة فوتوغرافية. فقالت "**فرانكي**" على الفور:

– إنها للسيد "**كييمان**"، أين وجدتها؟

– في الليلة الماضية كانت منزلقة خلف الهاتف.

– يبدو واضحاً إذن من هم السيد والسيدة "**تمبلتون**"، انتظر دقيقة. كانت إحدى النادلات قد دخلت الحجرة حاملة الخبز المحمص. عرضت "**فرانكي**" الصورة عليها وسألتها:

– هل تعرفين صورة من هذه؟ نظرت النادلة إلى الصورة قائلة:

– نعم، لقد رأيت هذا الرجل، لكن لا يمكنني أن أتذكر من هو جيداً، آه! نعم، إنه مالك "**كوخ تيودور**"، السيد "**تمبلتون**"، رحل الآن إلى مكان ما خارج البلاد، حسب اعتقادي. سألتها "**فرانكي**":

– من أية نوعية من الناس هو؟

– لا أدري بحق، لم يأت إلى هنا كثيرا، في عطلات نهاية الأسبوع فقط ومن وقت إلى آخر، لم يره كثيرون، أما السيدة "**تمبلتون**" فكانت ظريفة جداً، ولكنهما لم يقتنيا "**كوخ تيودور**" لمدة طويلة، مدة ستة أشهر فقط تقريبا، عندما توفي رجل ثري جداً وترك للسيدة "**تمبلتون**" كل ثروته وذهبا ليعيشا خارج البلاد، ولكنهما لم يبيعا "**كوخ تيودور**" أعتقد أنهما يعيرانه لأناس لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، ولا أعتقد أنهما سيعودان إلى هنا ليعيشا بعدما أصبحت لهما كل هذه الثروة. سألت "**فرانكي**":

– كانت لديهما طاهية اسمها "**روز كدلي**"، أليس كذلك؟ بدا أن لا اهتمام لدى الفتاة بالطهاة. ما أثار خيالها هو أن الرجل قد ترك لها ثروة. أجابت عن سؤال "**فرانكي**" بأنها لا تدري أو لا تعلم تماما ثم انصرفت. قالت "**فرانكي**":

– اتضحت الصورة، آل "**كييمان**" توقفا عن المجيء إلى هنا ولكنهما يحتفظان بالمنزل لاستخدام العصابة. اتفقا على تقسيم العمل بينهما طبقاً لما كان "**بوبي**" قد اقترحه. انطلقت "**فرانكي**" بسيارتها بعد أن هذّبت مظهرها بعدد من المشتروات المحلية وانطلق "**بوبي**" بحثا عن "**ألبرت مير**" البستاني. التقيا في موعد الغداء. سأل "**بوبي**":

– ما الأخبار؟ وهزت "**فرانكي**" رأسها قائلة بصوت محبط:

– التزوير مستبعد تماماً، قضيت وقتاً طويلا مع السيد "**إلفورد**" وهو رجل دمث الطباع، سمع شيئاً عما فعلناه في الليلة الماضية، وكان شغوفا بالاطلاع على بعض التفاصيل. لا أعتقد أنها أثارت الفضول هنا. على أية حال سرعان ما اكتسبت صداقته ثم ناقشت معه موضوع "**سافيج**"، ادعيت أنني قد التقيت ببعض أقرباء "**سافيج**" وأنهم قد لمحوا إليّ باحتمال حدوث تزوير، ثار الرجل العزيز عند سماع ذلك ونفى هذا الاحتمال على نحو قاطع! لم تكن هناك رسائل متبادلة أو شيء من هذا القبيل، فقد رأى "**سافيج**" بنفسه وأصر السيد "**سافيج**" على إبرام الوصية في ذات الزمان والمكان، كان قد أبدى السيد "**إلفورد**" رغبة في أن يذهب إلى المكتب ويعد الوصية على الوجه الواجب، تعلم كيف يقومون بمثل هذه الأعمال... أوراق وأوراق بلا داع. فقال "**بوبي**":

– لا أعلم، فلم يسبق لي عمل وصية.

– أما أنا فأبرمت وصيتين ،ثانيهما هذا الصباح، كان لابد لي من وجود مبرر أقابل المحامي بشأنه.

– ولمن أوصيت بثروتك؟

– لك.

– لم تتوخي الحكمة في ذلك؛ لأنه إذا قرر "**روجر**" التخلص منك فسأكون أنا من يحكم عليه بالشنق! قالت "**فرانكي**":

– لم أفكر في ذلك قط، حسنا، عودة إلى ما كنت أقول... كان السيد "**سافيج**" متوترا وثائرا جداً مما اضطر السيد "**إلفورد**" إلى إبرام الوصية في ذات الزمان والمكان، واستدعيت الخادمة والبستاني ليكونا شاهدين عليها، وأخذها السيد "**إلفورد**" معه بعد ذلك للاحتفاظ بها لديه. فقال "**بوبي**":

– يبدو هذا داحضاً فكرة التزوير.

– نعم، من غير الممكن أن يقع تزوير عندما ترى الرجل ذاته يوقّع الوصية، أما بشأن الموضوع الآخر وهوجريمة القتل، فسيكون من الصعب كشف أي شيء عنها الآن، فالطبيب الذي استُدعي توفي بعد ذلك بقليل، والرجل الذي رأيناه أمس جديد لم يأت إلى هنا إلا منذ شهرين تقريباً. فقال "**بوبي**":

– يبدو أن لدينا عدداً كبيراً من الوفيات.

– كيف؟ من مات أيضاً؟

– "**ألبرت مير**".

– هل تعتقد أنه قد تم التخلص من هؤلاء جميعاً؟

– يبدو الأمر أقرب إلى نظام الجملة، لكن "**ألبرت مير**" مؤهل للاستفادة من عدم كفاية الأدلة، فقد توفي عن اثنين وسبعين عاماً. فقالت "**فرانكي**" :

– لا بأس، لنعتبر وفاته راجعة إلى ظروف طبيعية، وهل اختلف الحظ بشأن "**روز كدلي**" ؟

– نعم، بعدما تركت آل "**تمبلتون**" ذهبت إلى مكان ما بشمال "**إنجلترا**" ، ولكنها عادت بعد ذلك وتزوجت رجلا في هذه المنطقة، يبدو أنها كانت تعرفه طوال السبع عشرة سنة الماضية، ولسوء الحظ أنها أصيبت بقدر من الخرَف حاليا. يبدو أنها لا تتذكر أي شيء عن أي شيء، ربما يمكنك التصرف معها. فقالت "**فرانكي**" :

– سأضطر إلى المحاولة فلي تجارب مع المخرَّفين، أين "**بادجر**" بهذه المناسبة؟ فقال "**بوبي**" :

– يا إلهي! لقد نسيته تماماً. فنهض وغادر الحجرة ثم عاد بعد بضع دقائق قائلا:

– كان نائماً وبدأ يستيقظ الآن، يبدو أن إحدى العاملات قد حاولت إيقاظه أربع مرات ولم تفلح. فقالت "**فرانكي**" وهي تنهض:

– حسنا، من الأفضل أن نذهب ونلتقي بتلك المخرَّفة، ثم لابد لي من أن أشتري فرجون أسنان وقميص نوم وإسفنجة استحمام وبعض مستلزمات الحياة الراقية الأخرى، كنت قريبة جداً من الطبيعة في الليلة الماضية بحيث لم أفكر في أي منها، خلعت ملابسي الخارجية فقط واستلقيت فوق الفراش. فقال "**بوبي**" :

– أعلم، وهذا ما فعلته أيضاً. فقالت "**فرانكي**" :

– هيا بنا، لنذهب ونتحدث إلى "**روز كدلي**" . كانت "**روز كدلي**" – السيدة "**برات**" حاليًّا – تعيش في كوخ صغير بدا مملوءاً بالتحف المصنوعة من الخزف الصيني وقطع الأثاث. بدت هذه المرأة متبلدة الملامح بدينة، ذات عينين تشبهان عيون الأسماك، وبها كل ما يشير إلى إصابتها بالزوائد الأنفية. بادرها "**بوبي**" بقوله:

– لقد عدت إليك كما ترين. تنفست السيدة "**برات**" بصعوبة ونظرت إليهما بغير مبالاة. فقالت "**فرانكي**" موضحة:

– أعجبنا أن علمنا أنك كنت تعيشين مع السيدة "**تمبلتون**" . فقالت المرأة:

– نعم يا سيدتي. فواصلت "**فرانكي**" حديثها محاولة أن تبدو وكأن علاقة حميمية تربطها بتلك الأسرة:

– تعيش خارج البلاد حاليًّا على حد علمي. فقالت السيدة "**برات**" :

– سمعت ذلك. سألتها "فرانكي":

– كنت معها فترة من الزمن، أليس كذلك؟

– كنت مع من يا سيدتي؟ فقالت "فرانكي" ببطء ووضوح:

– مع السيدة "تمبلتون" فترة من الوقت.

– هذا غير صحيح يا سيدتي، شهرين فقط.

– آه! ظننت أنك كنت معها فترة أطول من ذلك.

– كانت تلك "جلاديس" يا سيدتي، خادمة الردهة، كانت معها ستة أشهر.

– كنتما أنت وهي؟

– نعم، كانت هي خادمة الردهة وأنا الطاهية.

– كنت هناك عندما توفي السيد "سافيج"، أليس كذلك؟

– معذرة يا سيدتي.

– كنت هناك عندما توفي السيد "سافيج"؟

– لم يمت السيد "تمبلتون"، لم أسمع ذلك على الأقل وسافر إلى خارج البلاد. فقال "بوبي":

– ليس السيد "تمبلتون"، بل السيد "سافيج". رمقته السيدة "برات" بنظرات زائفة، فقالت "فرانكي":

– الرجل الذي ترك لها كل ثروته. لاح بوجه السيدة "برات" شعاع يشبه الذكاء. قالت:

– آه! نعم يا سيدتي، الرجل الذي كان هناك تحقيق بشأنه؟ فقالت "فرانكي" وقد غلبت على صوتها نبرة فرحٍ إزاء النجاح الذي أحرزته:

– هذا صحيح، كان معتادًا أن يأتي ويقيم على نحو متكرر، أليس كذلك؟

– لا يمكنني أن أتأكد من ذلك يا سيدتي، كنت قد التحقت بخدمتهم حديثًا. "جلاديس" هي التي يمكنها أن تعرف.

– لكن طلب منك أن تكوني شاهدة على وصيته، أليس كذلك؟ شرد ذهن المرأة ثانية، فقالت "فرانكي":

– دخلت هناك ورأيته يوقع ورقة وجعلوك توقعينها أيضًا. لاح شعاع إدراك آخر وقالت المرأة:

– نعم يا سيدتي، أنا و"ألبرت"، لم أفعل مثل هذا الشيء من قبل ولم أحب أن أفعله، قلت لـ"جلاديس" إنني لا أحب أن أوقع أوراقًا وهذا صحيح، وقالت "جلاديس" لابد ألاّ ضرر من ذلك؛ لأن السيد "إلفورد" حاضر وهو رجل محترم

جداً ومحام أيضاً. سأل "بوبي":

– ما الذي حدث بالضبط؟

– معذرة يا سيدي؟ فسألتها "فرانكي":

– من الذي دعاك لتوقِّعي باسمك؟

– السيدة يا سيدي، أتت إلى المطبخ وطلبت مني أن أخرج وأستدعي "ألبرت" ونأتي كلانا إلى حجرة النوم الممتازة (التي كانت قد تركتها للسيد، ذلك السيد، في الليلة السابقة) وكان هناك ذلك السيد جالساً على الفراش، كان قد عاد من "لندن" وتوجه إلى الفراش رأساً، وكان يبدو شديد الإعياء، لم أكن قد رأيته من قبل، ولكنه كان شاحباً جداً، وكان السيد "إلفورد" هناك أيضاً، تكلم بطريقة لطيفة جداً وقال إنه ليس هناك شيء يدعو إلى الخوف، وطلب مني أن أوقِّع باسمي في المكان الذي وقع الرجل فيه، ووقَّعت وكتبت الطاهية بعد توقيعي وكتبت عنواني وفعل "ألبرت" ذات الشيء، ثم ذهبت إلى الطابق الأدنى إلى "جلاديس" وأنا أرتعش بشدة، وقلت لها إنني لم أر قط رجلا يبدو وكأنه ميت هكذا، فقالت لي "جلاديس" إنه كان يبدو على خير ما يرام في الليلة السابقة، ولابد من أن شيئاً ما حدث في "لندن" قد أغضبه، وأنه كان قد ذهب إلى "لندن" في وقت مبكر جداً قبل أن يستيقظ أحد، ثم أخبرتها بأنني لا أحب أن أكتب اسمي على أي شيء، وقالت "جلاديس" إن لا خوف مادام السيد "إلفورد" كان موجوداً.

– وهذا الرجل، السيد "سافيج"، متى توفي؟

– في صباح اليوم التالي مباشرة يا سيدتي، أغلق على نفسه باب الحجرة في تلك الليلة ولم يسمح لأحد بأن يقترب منه، وعندما نادته "جلاديس" في الصباح كان متيبساً تماماً وميتاً وبجوار فراشه خطاب كتب فيه: "إلى المحقق". آه، لقد أصيبت "جلاديس" بصدمة عصبية شديدة، ثم كان هناك تحقيق وما إلى ذلك، وبعد حوالي شهرين أخبرتني السيدة "تمبلتون" بأنها سوف تسافر إلى خارج البلاد لتعيش هناك، ولكنها ألحقتني بالعمل بمكان جيد جداً في شمال البلاد بأجر كبير، وأعطتني هدية جميلة وكل هذه الأشياء، سيدة ظريفة جداً السيدة "تمبلتون".

بدت السيدة "برات" الآن مستمتعة جداً بروايتها. نهضت "فرانكي" قائلة:

– حسنا، لقد استمتعت بما قلته. ثم أخرجت مبلغاً من المال وضعته في يد المرأة قائلة:

– يجب أن تقبلي مني، أعني هدية صغيرة، فقد أخذت الكثير من وقتك.

– حسنا، أشكرك جداً يا سيدتي، يوم سعيد لك ولزوجك المحترم. احمر وجه

"فرانكي" خجلا فتراجعت مسرعة وتبعها "بوبي" بعد بضع دقائق. بدت عليه علامات انشغال ذهني. قال:

– حسنا، يبدو أننا قد حصلنا منها على كل ما تعرفه. فقالت "فرانكي":

– نعم، وهو مترابط تماما، يبدو انه لا شك في أن "سافيج" قد أبرم تلك الوصية، وأرى أن خوفه من الإصابة بالسرطان كان حقيقيًا بما يكفي. من غير الممكن أن يكونوا قد تمكنوا من رشوة طبيب في "هارلي ستريت"، وأعتقد أنهم قد اغتنموا فرصة إبرامه تلك الوصية ليودوا بحياته على وجه السرعة قبل أن يغير رأيه، ولكنني لا أدري كيف يمكننا نحن أو أي إنسان آخر أن يثبت أنهم قد أودوا بحياته؟

– أعلم ذلك، قد نشك في أن السيدة "تمبلتون" أعطته شيئا ما لينام، لكن لا يمكننا إثبات ذلك، ربما يكون "روجر باسنجتون فرنش" قد زوّر الخطاب الموجه إلى المحقق، لكن لا يمكننا إثبات هذا أيضا بعد مرور كل هذه الفترة، فمن الممكن أن يكون هذا الخطاب قد دُمِّر بعد تقديمه كدليل في التحقيق.

– وبذلك نعود إلى المشكلة الأصلية، ما الذي يخشى "باسنجتون فرنش" وشركاه من أن نكتشفه؟

– ألا ترين شيئًا غريبًا بوجه خاص؟

– نعم، لا أعتقد ذلك، هناك شيء واحد على الأقل، لماذا أرسلت السيدة "تمبلتون" إلى البستاني ليأتي ويشهد على الوصية بينما خادمة الردهة كانت متواجدة بداخل المنزل، فلماذا لم يطلبوا من خادمة الردهة؟ فقال "بوبي":

– غريب أن تقولي ذلك يا "فرانكي". بدا صوته غريبًا جدًا مما جعل "فرانكي" تنظر إليه دهشة وتقول:

– لماذا؟

– لأنني تأخرت في الرحيل قليلا حتى أسأل السيدة "برات" عن اسم "جلاديس" وعنوانها.

– ثم؟

– اسم خادمة الردهة: "إيفانز".

الفصل الثاني والثلاثون
"إيفانز"

لهثت "فرانكي" بينما ارتفع صوت "بوبي" بانفعال:

– هل رأيت؟ لقد طرحت ذات الاستفسار الذي سأل "**كارستيرز**" عنه، لماذا لم يطلبوا من خادمة الردهة؟ لماذا لم يطلبوا من "**إيفانز**"؟

– آه يا "**بوبي**"، أوشكنا على الوصول أخيراً!

– لابد من أن ذات الفكرة قد لاحت لـ"**كارستيرز**"، كان بصدد البحث – مثلنا تماماً – عن شيء غير سليم، وأن هذه النقطة بدت غريبة له كما بدت لنا، والأكثر من هذا أعتقد أنه قد أتى إلى "**ويلز**" لهذا الغرض بالذات، "**جلاديس إيفانز**" اسم ("**ويلزي**" من "**ويلز**") ربما "**إيفانز**" فتاة ويلزية وكان يقتفي أثرها إلى "**مارتشبولت**"، وكان شخص ما يتعقَّبه وبذلك لم يصل إليها قط. قالت "**فرانكي**":

– لماذا لم يطلبوا من "**إيفانز**"؟ لابد من أن هناك سبباً ما، نقطة صغيرة لا وزن لها ومع ذلك مهمة جداً، وهناك خادمتان بالمنزل لماذا يرسلون في طلب البستاني؟

– ربما لأن "**كدلي**" و"**ألبرت مير**" كانا غبيين، بينما "**إيفانز**" فتاة على قدر من الذكاء.

– من المستحيل أن يكون هذا وحده هو السبب، السيد "**إلفورد**" كان متواجداً وهو رجل حاد الذكاء، آه يا "**بوبي**"، الموضوع كله متعلق بهذا السبب، لو أنه يمكننا فقط التوصل إليه، "**إيفانز**"، لماذا "**كدلي**" و"**مير**" وليس "**إيفانز**"؟ توقفت عن الكلام فجأة واضعة يديها على عينيها، ثم قالت:

– إنه في الطريق إليّ... ضرب من لمحة... سوف يأتي في غضون دقيقة. ظلت ساكنة تماما مدة دقيقة أو اثنتين ثم رفعت يديها عن وجهها ونظرت إلى مرافقها وقد لاح في عينيها شعاع غريب. قالت:

– "**بوبي**"، لو ذهبت لزيارة وكانت بالمنزل خادمتان فأيهما تعطي بقشيشاً؟ فأجاب "**بوبي**" دهشا:

– خادمة الردهة بالتأكيد، لا يعطي أحد بقشيشاً لطاهية أبداً؛ لأنه لا يراها أبداً وهذا هو أهم الأسباب.

– صحيح، كما أنها هي لا تراك، من الممكن أن يقع بصرها على نحو خاطف عليك إذا بقيت هناك طويلا، أما خادمة الردهة فهي التي تخدمك على مائدة العشاء وتتحدث إليك وتناولك قهوتك.

– إلام تهدفين يا "**فرانكي**"؟

– ما كان ليمكنهم أن يجعلوا "**إيفانز**" تشهد على تلك الوصية؛ لأن "**إيفانز**" كانت ستعرف أن الذي يبرم الوصية ليس السيد "**سافيج**".

– يا إلهي يا "**فرانكي**"! ما الذي تعنينه؟ من كان إذن؟
– "**باسنجتون فرنش**" بكل تأكيد! هلاّ فهمت أنه هو الذي انتحل شخصية "**سافيج**"؟ وأراهن على أن "**باسنجتون فرنش**" هو الذي ذهب إلى الطبيب وأثار كل تلك الضجة حول إصابته بالسرطان، ثم أرسل في طلب المحامي، رجل غريب لا يعرف السيد "**سافيج**"، لكن يمكنه فيما بعد أن يقسم على أنه رأى السيد "**سافيج**" وهو يوقِّع تلك الوصية وتدوَّن شهادة شخصين عليها إحداهما لم تكن قد رأت الرجلٍ من قبل والآخر رجل مسن ربما يكون ضعيف البصر جداً، وربما لا يكون هو أيضاً قد رأى "**سافيج**". هل فهمت الفكرة الآن؟
– لكن أين كان "**سافيج**" الحقيقي طوال هذا الوقت؟
– آه، لقد وصل بالفعل وأشك في أنهم قد خدَّروه ووضعوه في العُلِّيَّة واحتفظوا به هناك مدة اثنتي عشرة ساعة بينما قام "**باسنجتون فرنش**" بعملية انتحال شخصيته وأعيد بعد ذلك إلى فراشه وأعطي جرعة الكلوروفورم ووجدته "**إيفانز**" ميتاً في صباح اليوم التالي.
– يا إلهي! أعتقد أنك قد توصلت إلى لبِّ الموضوع يا "**فرانكي**"، لكن هل يمكننا إثبات كل هذا؟
– نعم، لا، لا أدري، لو أننا عرضنا على "**روز كدلي**" – أعني السيدة "**برات**" – صورة للسيد "**سافيج**" الحقيقي فهل تعتقد أنها ستكون قادرة على أن تقول "ليس هذا هو الرجل الذي وقع الوصية؟" فقال "**بوبي**":
– أشك في ذلك، فهي مخرِّفة جداً.
– ولهذا اختاروها في تقديري، ولكن هناك أمراً آخر: يمكن لخبير أن يكتشف أن التوقيع مزوَّر.
– لم يكتشفوا ذلك من قبل.
– لأن لا أحد أثار هذه النقطة، لم تبد هناك لحظة ممكنة واحدة، من الممكن تزوير الوصية في خلالها، لكن الوضع قد اختلف الآن. قال "**بوبي**":
– شيء واحد ينبغي لنا أن نفعله، أن نعثر على "**إيفانز**"، قد يمكنها أن تخبرنا بالكثير، فقد كانت مع السيدة "**تمبلتون**" مدة ستة أشهر، ألا تذكرين؟ فقالت "**فرانكي**" مزمجرة:
– من شأن هذا أن يزيد لنا الأمور صعوبة. فقال "**بوبي**" مقترحاً:
– ما رأيك في أن نلجأ إلى مكتب البريد؟ كانا مارين به في تلك اللحظة تماماً. بدا وكأنه أحد المخازن العمومية وليس مكتب بريد. اندفعت "**فرانكي**" إلى داخله

مفتتحة حملتها. لم يكن بالمكتب سوى رئيسته، فتاة ذات أنف طويل نوعًا. اشترت "فرانكي" دفتر طوابع بريد وعلقت على حالة الطقس، ثم قالت:

– ولكنني أعتقد أن لديكم هنا طقسًا أفضل مما لدينا في المقاطعة التي أعيش فيها، أنا أعيش في "ويلز"، "مارتشبولت"، من غير الممكن أن تصدقي كم الأمطار عندنا. قالت الفتاة إنه كان لديهم كم غير عادي من الأمطار، وإنه في يوم العطلة الرسمية الماضي انهمرت الأمطار بلا رحمة. قالت "فرانكي":

– في "مارتشبولت" امرأة من هذه المنطقة أصلا، أتساءل عما إذا كنت تعرفينها؟ اسمها "إيفانز"، "جلاديس إيفانز". لم يساور الفتاة أدنى شك وقالت:

– نعم، أعرفها بالتأكيد، كانت تعمل في هذه المنطقة لدى "كوخ تيودور"، ولكنها ليست من هنا أصلا بل من "ويلز"، وقد عادت إلى هناك وتزوجت، أصبح اسمها الحالي "روبرتس". فقالت "فرانكي":

– هذا صحيح، ألا يمكنك أن تعطيني عنوانها؟ لقد استعرت منها معطف مطر ونسيت أن أعيده إليها، لو أمكنني الحصول على عنوانها فسأرسله إليها بالبريد. فقالت الأخرى:

– نعم، أعتقد أن هذا ممكن، أتلقى منها بطاقات بريدية بين حين وآخر، فقد التحقت هي وزوجها بعمل معًا، انتظري دقيقة. تركت "فرانكي" وتوجهت إلى أحد الأركان حيث بحثت بعض الوقت، ثم عادت وبيدها قصاصة ورق. قالت:

– ها هو. قرأه "بوبي" و"فرانكي" معًا وكان آخر ما يتوقعانه.

السيدة "روبرتس"
مقر القس
الناحية "مارتشبولت"
"ويلز".

الفصل الثالث والثلاثون
واقعة مثيرة بمقهى الشرق

كيف غادر "بوبي" و"فرانكي" مكتب البريد دون أن ينهارا خزيًا؟ لم يعرف أي منهما، وما إن أصبحا خارجه حتى نظر كل منهما إلى الآخر وانفجر ضاحكًا. قال "بوبي" لاهثًا:

– في بيت أبي طوال هذا الوقت! فقالت "فرانكي" نائحة:

– وأنا التي بحثت حول أربعمائة وثمانين ممن يسمون "**إيفانز**".

– فهمت الآن السبب في أن "**باسنجتون فرنش**" كان فرحًا جدًا عندما تبين أنه لم تكن لدينا أدنى فكرة عمن كانت "**إيفانز**"!

– ومن المؤكد أن تلك المعلومة خطرة من وجهة نظرهم، كنت أنت و"**إيفانز**" تحت سقف واحد بالفعل. قال "**بوبي**":

– هيا بنا، ستكون "**مارتشبولت**" هي محطتنا التالية. فقالت "**فرانكي**":

– مثل النقطة التي ينتهي عندها قوس قزح، عودة إلى مسقط الرأس العزيز. فقال "**بوبي**":

– بغض النظر عن كل شيء، حان الوقت لأن نفعل شيئًا من أجل "**بادجر**"، هل معك نقود يا "**فرانكي**"؟ فتحت "**فرانكي**" حقيبة يدها وأخرجت قبضة من أوراق النقد.

– أعطه هذه واطلب منه إجراء بعض الترتيبات مع دائنيه، وأخبره بأن والدي سوف يشتري الورشة ويعينه مديرا لها. فقال "**بوبي**":

– حسنًا جدًا، ولكن أفضل ما ينبغي لناأن نفعله الآن هو أن ننطلق من هنا بأقصى سرعة ممكنة

– ولماذا هذا التسرع المخيف؟

– لا أدري، ولكنني أشعر بأن شيئًا ما قد يحدث.

– إحساس فظيع، لنسرع إذن.

– سأتحدث إلى "**بادجر**" بينما تذهبين وتشغلين محرك السيارة. فقالت "**فرانكي**":

– يبدو أنني لن أشتري فرجون الأسنان أبدًا. بعد خمس دقائق كانا ينطلقان مبتعدين عن "**تشيينج سومرتون**"، ولم يكن لدى "**بوبي**" مبرر للشكوى من بطء السير، ومع ذلك فاجأته "**فرانكي**" بقولها:

– "**بوبي**"، لا أرى أن هذه السرعة كافية. ألقى "**بوبي**" نظرة إلى مؤشر السرعة فرأى إبرته تشير إلى مائة وثمانية وعشرين كيلومترا، فقال بنبرة جافة:

– لا أرى ماذا أيضا بوسعنا أن نفعله. فقالت "**فرانكي**":

– يمكننا أن نستقل طيارة أجرة، نحن على مسافة أحد عشر كيلومترًا فقط من مطار "**ميدشوت**". فصاح "**بوبي**":

– يا فتاتي العزيزة!

– لو فعلنا ذلك فسنصل بلدتنا في غضون ساعتين. فقال "**بوبي**":

– حسنًا جدًّا، لنستقل طيارة أجرة. بدأت الإجراءات برمتها تتخذ شكل حلم في منام. لماذا كل هذا الاستعجال للعودة إلى "مارتشبولت"؟ لم يعلم "بوبي" لذلك سببًا، وكان يفترض أن "فرانكي" لا تعلم أيضًا. كان الدافع إلى ذلك مجرد إحساس. عندما بلغا "ميدشوت" طلبت "فرانكي" مقابلة السيد "دونالدكينج" فاستُدعي لها شاب مشعث المظهر أبدى سرورًا عميقًا برؤيتها. بادرها بقوله:

– أهلا بك يا "فرانكي"، لم أرك منذ دهر ،ما طلباتك؟ فقالت:

– طيارة أجرة، تعمل في مثل هذه الأنشطة، أليس كذلك؟

– إي نعم، إلى أين تريدين أن تذهبي؟ فقالت "فرانكي":

– أريد العودة إلى البيت على وجه السرعة. رفع السيد "دونالد كينج" حاجبيه مستفسرًا وقال:

– هل هذا كل ما في الأمر؟ فقالت "فرانكي":

– ليس تمامًا، ولكنه المطلب الرئيسي.

– آه! حسنا، يمكننا أن نلبي طلبك وبالسرعة المطلوبة. فقالت "فرانكي":

– ساعطيك شيكًا. لم تمض خمس دقائق حتى كانا في الجو، فسأل "بوبي" قائلا:

– "فرانكي"، لماذا نفعل هذا؟ أجابته:

– ليست لدي أدنى فكرة، ولكنني أشعر بضرورة أن نتصرف بهذه السرعة، الا يساورك ذات الإحساس؟

– مما أتعجب منه أنه يساورني، ولكنني لا أعرف سببًا لذلك، فعلى أقل الافتراضات لن تمتطي السيدة "روبرتس" العصا السحرية وتطير بها لتختفي مثلما تفعل الجنيّات.

– ربما تفعل ذلك، وتذكّر أن لا فكرة لدينا عما يخطط "باسنجتون فرنش" لأن يفعله. فقال "بوبي" متأملا:

– هذا صحيح. كان الظلام قد بدأ يخيم عندما وصلا، أنزلتهما الطائرة في المنتزه وبعد خمس دقائق كان "بوبي" و"فرانكي" يستقلان سيارة اللورد "مارتشنجتون" الـ"كريزلر" بداخل حدود "مارتشبولت". توقفا أمام باب مسكن القس؛ لأن الممر الملحق بالمنزل لم يكن يسمح بحرية حركة السيارات الفاخرة. غادرا السيارة مسرعين إلى الممر. قال "بوبي" محدثًا نفسه: "سوف أستيقظ حالا، ما هذا الذي نفعله ولأي سبب؟" كان شكل بشري نحيل واقفًا عند عتبة الباب. تعرف "بوبي" و"فرانكي" إليه في ذات اللحظة. صاحت "فرانكي":

– "مويرا" ! استدارت "مويرا" وقد بدت مترنحة قليلا.

– آه، إنني سعيدة جداً برؤيتكما، ولا أدري ماذا أفعل..

– لكن ما الذي أتى بك إلى هنا؟

– ذات الهدف الذي أتى بكما كما أتوقع. سألها "بوبي" :

– هل اكتشفت من "إيفانز" ؟ فأومأت "مويرا" قائلة:

– نعم، إنها قصة طويلة. فقال "بوبي" :

– تفضلي بالدخول. لكن "مويرا" تراجعت إلى الخلف قائلة بلهجة سريعة:

– لا، لا، لنذهب إلى مكان ما يمكننا أن نجلس ونتحدث فيه، لديَّ ما يجب أن أخبركما به قبل أن ندخل المنزل، ألا يوجد مقهى أو مكان كهذا في البلدة؟ مكان يمكننا أن نتوجه إليه؟ فقال "بوبي" وهو يبتعد عن باب المنزل بغير رضا:

– لا بأس ،لكن لماذا؟ فقالت "مويرا" بإصرار:

– سوف تعرف كل شيء عندما أتحدث إليكما، هيَّا أسرعا، ليس لدينا دقيقة نضيِّعها. استسلما لإلحاحها، كان "مقهى الشرق" يقع عند منتصف الشارع الرئيسي، اسم عظيم لا يتناسب مع الديكورات الداخلية للمقهى. دخل ثلاثتهم الواحد بعد الآخر ،وكانت الساعة تشير إلى السادسة والنصف. جلسوا إلى مائدة صغيرة بأحد الأركان وطلب "بوبي" ثلاثة أقداح قهوة. قال:

– والآن؟ فقالت "مويرا" :

– انتظر حتى تأتي النادلة بالقهوة. حملت النادلة إليهم القهوة المطلوبة ثم مضت، فقال "بوبي" :

– نعم؟ فقالت "مويرا" :

– لا أعرف من أين أبدأ، حدث هذا في القطار المتجه إلى "لندن"، أغرب مصادفة رأيتها طوال حياتي، كنت أسير في الممر و... توقفت عن الكلام فجأة، كان مقعدها مواجها لباب المقهى. استندت إلى الأمام وأخذت تدقق النظر. قالت:

– لابد من أن يكون قد تبعني إلى هنا. فصاحت "فرانكي" و"بوبي" معاً:

– من؟ فقالت "مويرا" همسا:

– "باسنجتون فرنش" .

– رأيته؟

– إنه خارج المقهى ومعه امرأة حمراء الشعر. فصاحت "فرانكي" :

– السيدة "كيمان" ! قفزت هي و"بوبي" متوجهين صوب الباب، صدر عن

"مويرا" اعتراض لم يأبه به أي منهما، أخذا ينظران إلى الشارع في كلا الاتجاهين ولم يكن لـ"**باسنجتون فرنش**" أي أثر يُرى. لحقت "**مويرا**" بهما تسأل بصوت مرتعش:

– هل اختفى؟ أرجوكما أن تكونا حذرين، إنه خطر، خطر جداً. فقال "**بوبي**":

– لن يمكنه أن يفعل أي شيء طالما كنا جميعاً معاً. وقالت "**فرانكي**":

– تماسكي يا "**مويرا**"، لا تكوني جبانة إلى هذا الحد. فقال "**بوبي**" عائداً معهما إلى المنضدة:

– لا بأس، ليس باستطاعتنا أن نفعل أي شيء في الوقت الحالي، واصلي ما كنت تقولينه لنا يا "**مويرا**". رفع قدح قهوته ليرتشف منه، وفي تلك اللحظة فقدت "**فرانكي**" توازنها، وسقطت عليه فانسكبت القهوة فوق المنضدة. قالت "**فرانكي**" معتذرة:

– آسفة. ثم مدت يدها إلى المنضدة المجاورة، وكانت معدَّة لتناول وجبة لأي قادم محتمل. كانت عليها سلة صغيرة بها زجاجتان ذات غطاءين زجاجيين بإحداهما قدر من الخل وبالأخرى كم من الزيت. قامت "**فرانكي**" بحركة غريبة لفتت انتباه "**بوبي**" إليها. أفرغت زجاجة الخل بوعاء مخصص للنفايات وبدأت تسكب بداخلها قهوة من قدحها. سألها "**بوبي**":

– هل فقدت صوابك يا "**فرانكي**" أم ماذا أصابك؟ ما هذا الذي تفعلينه؟ فقالت:

– أحصل على عينة من هذه القهوة ليقوم "**جورج أربثنوت**" بتحليلها. ثم التفتت إلى "**مويرا**" قائلة:

– لقد انتهت اللعبة يا "**مويرا**"، تكشَّف لي كل شيء بلمح البصر عندما كنا واقفين عند الباب الآن، وعندما دفعت مرفق "**بوبي**" فانسكبت قهوته رأيت ماارتسم على وجهك، فقد وضعت في قدحينا شيئاً ما بعدما بعثت بنا إلى الباب عدواً لنبحث عن "**باسنجتون فرنش**"، لقد تكشَّف المستور يا سيدة "**نيكلسون**"، أو "**تمبلتون**"، أو أيما تحبين أن تسمي نفسك! وهنا صاح "**بوبي**":

– "**تمبلتون**"؟! فقالت "**فرانكي**" بانفعال:

– انظر إلى وجهها، إذا أنكرت فاطلب منها أن تاتي إلى منزل والدك حتى نرى ما إذا لم يمكن السيدة "**روبرتس**" أن تتعرف إليها. ونظر "**بوبي**" إلى وجهها... رأى ذلك الوجه الساذج الفاتن يتحول إلى شيء مختلف تماماً بفعل غضب شيطاني. فُتح ذلك الفم الجميل وانسكب منه فيض من الشتائم المزرية واللعنات.

مدت يدها إلى داخل حقيبتها تعبث بشيء ما.

كان "بوبي" لا يزال مذهولا بفعل تلك الصدمة المفاجئة، لكن أمكنه أن يتصرف في الثانية الأخيرة، فكانت يده التي أمسكت بالمسدس أولا. طارت الطلقة فوق رأس "فرانكي" واستقرت بجدار المقهى، ولأول مرة في تاريخ هذا المقهى أسرعت إحدى نادلاته. اندفعت إلى الشارع وهي تصرخ:

– النجدة! جريمة! الشرطة!

الفصل الرابع والثلاثون
خطاب من أمريكا الجنوبية

بعد بضعة أسابيع من هذه الواقعة تلقت "فرانكي" خطابا يحمل مظروفه ختم إحدى الولايات الأمريكية الجنوبية الأقل شهرة. قرأته ثم أعطته إلى "بوبي". جاء فيه:

"عزيزتي "فرانكي"، أهنئك من كل قلبي، فقد نجحت أنت وصديقك الشاب– البحار السابق – في تحطيم خطط عمري، كنت قد رتبت لكل شيء بإحكام تام. هل تحبين بحق أن تعرفي كل شيء عنها؟ لقد فضحت صديقتي أمري بكل دقة وإخلاص (بدافع من الحقد، يؤسفني القول إن جميع النساء حاقدات!) حتى أن اعترافاتي مهما بلغت من الخطورة فمن غير الممكن أن تلحق بي مزيداً من الضرر. فضلا على ذلك لقد بدأت حياتي من جديد وبذلك لم يصبح لـ"روجر باسنجتون فرنش" أي وجود.

أتصور أنني دائماً ما كنت الفتى الشرير، حتى وأنا في "أكسفورد" كانت لي زلة ما... غبية لأنه كان لابد لها من أن تُكتشف. لم ير والدي أن يخذلني فبعث بي إلى المستعمرات. سرعان ما التقيت بـ"مويرا" وعصابتها. كانت هي الرأس المدبر... كانت قد أصبحت مجرمة محنكة ببلوغها الخامسة عشرة. عندما التقيت بها كانت الظروف قد بدأت تشتد عليها؛ إذ كانت الشرطة الأمريكية في تعقب دائم لها. أعجب كل منا بالآخر، قررنا أن نحول هذا الإعجاب إلى علاقة زوجية، لكن كان هناك عدد من الخطط الواجبة التنفيذ أولا.

بادئ ذي بدء تزوجت "نيكلسون" وبذلك نقلت نفسها إلى عالم آخر، وضلت الشرطة الطريق إليها. كان "نيكلسون" قد أتى لتوه إلى "إنجلترا" لينشئ مركزا لعلاج مرضى الأعصاب. كان يبحث عن مكان مناسب يمكنه شراؤه بسعر زهيد

وأوصلته "**مويرا**" إلى المزرعة. كانت تعمل مع عصابتها في تجارة المخدرات، وكان "**نيكلسون**" ذا فائدة كبيرة لها دون أن يعلم. كنت أطمح دائما إلى شيئين: أن أصبح أنا مالك "**ميرووي**"، وأن تكون لي ثروة طائلة. لعب أحد أفراد عائلة "**باسنجتون فرنش**" دورا محوريًا في حكم الملك "**تشارلز الثاني**"، ومنذ ذلك الحين تدهورت أحوال العائلة حتى أصبحت في عداد الطبقة المتوسطة. شعرت بقدرة على أن أقوم بدور عظيم أيضا، لكن كان لابد لي من الحصول على المال.

قامت "**مويرا**" بعدة سفريات إلى "**كندا**" بدعوى زيارة أهلها، وكان "**نيكلسون**" يحبها حبًا جمًا ويصدق كل كلمة تقولها له، العدد الأكبر من الرجال مثله في ذلك، وبسبب التعقيدات التي تواجه تجارة المخدرات كانت تسافر بأسماء مختلفة. كانت تقوم برحلة تحت اسم السيدة "**تمبلتون**" عندما التقت بـ"**سافيج**". كانت تعلم عنه وعن ثرائه الفاحش كل شيء فقررت إغواءه. أعجب بها لكن ليس إلى الحد الذي يفقده صوابه.

وضعنا خطة لذلك، تعلمين هذه القصة جيداً، قام الرجل الذي تعرفينه باسم "**كيمان**" بدور الزوج اللامبالي بمشاعر زوجته، وتم إغراء "**سافيج**" بأن يأتي ويقيم في "**كوخ تيودور**" أكثر من مرة، في المرة الثالثة التي أتى فيها كانت خطتنا قد اكتملت، لا أرى داعيًا إلى الخوض في كل ذلك لأنك تعرفينه جيداً. وتم كل شيء بسهولة تامة. استولت "**مويرا**" على الثروة وزعمت السفر إلى خارج البلاد؛ لأنها في الواقع عادت إلى "**ستافرلي**" وإلى المزرعة. كنت في تلك الأثناء أقوم بصقل خططي الخاصة، كان لابد من التخلص من "**هنري**" ومن "**تومي**"، كنت سيئ الحظ فيما يتصل بـ"**تومي**". فشل حادثان كنت قد رتبت لهما بدقة من أجله، ورفضت محاولة استخدام الحوادث فيما يتعلق بـ"**هنري**". كان يعاني آلامًا روماتيزمية مبرحة على أثر إصابة وقعت له في مجال الصيد. قدمت إليه المورفين وقَبِلَهُ بنية خالصة. كان شخصية بسيطة سرعان ما أدمن هذا المخدر، وكانت خطتنا تقضي بأن يتوجه إلى المزرعة للعلاج، وأنه بينما هو هناك إما أن ينتحر وإما أن يتناول جرعة زائدة من المورفين تودي بحياته، وكانت "**مويرا**" هي التي ستقوم بهذه المهمة بحيث لا تكون لي أنا أية صلة بالموضوع.

بعد ذلك بدأ ذلك الأحمق "**كارستيرز**" يتحرك، يبدو أن "**سافيج**" قد كتب له خطابًا على ظهر السفينة حدثه فيه عن السيدة "**تمبلتون**" وضمنه أيضًا صورة فوتوغرافية لها. قام "**كارستيرز**" برحلة صيد بعد ذلك بفترة قصيرة، وعندما عاد من رحلته بالغابات وعلم نبأ وفاة "**سافيج**" وموضوع الوصية لم يصدق ماسمع.

أحس بأن تلك الرواية غير حقيقية. كان واثقًا بأن "**سافيج**" لم يكن منزعجًا بشأن حالته الصحية، ولم يصدق أنه كان يخشى إصابته بالسرطان. كذلك بدا له نص الوصية غير متسق مع شخصية الرجل وميوله؛ إذ كان "**سافيج**" رجل أعمال عنيدًا، وبينما كان من المحتمل أن يقيم علاقة عاطفية مع امرأة جميلة لم يصدق "**كارستيرز**" قط أنه من الممكن أن يوصي لها بكل هذا القدر من ثروته، ويوصي بماتبقى لأعمال الخير. كانت فكرة أعمال الخير من عندي لأنها تضفي على الوصية قدرا من الاحترام وتُبعد عنها الشبهات.

أتى "**كارستيرز**" إلى هنا وكله تصميم على الخوض في الموضوع. بدأ بحثه، وعلى الفور خاننا الحظ. أتى به بعض الأصدقاء ليتناول الغداء معنا فرأى صورة "مويرا" موضوعة على البيان، تعرف إليها... على أنها صاحبة تلك الصورة الفوتوغرافية التي كان "سافيج" قد بعث بها إليه. توجه إلى "**تشيينج سومرتون**" وبدأ يستقصي. بدأنا أنا و"**مويرا**" نرتاع، أرى في بعض الأحيان أنه لم يكن هناك مبرر لذلك، لكن كان "**كارستيرز**" رجلا ذكيًا.

تبعته إلى "**تشيينج سومرتون**"، أخفق في الاهتداء إلى الطاهية "**روز كدلي**"، كانت قد ذهبت إلى شمال البلاد، لكن أمكنه أن يقتفي أثر "**إيفانز**"، عرف اسمها بعد الزواج وتوجه إلى "**مارتشبولت**"، بدأت الأمور تتحول إلى الخطورة، فلو أمكن "**إيفانز**" أن تتعرف أن السيدة "**تمبلتون**" هي ذاتها السيدة "**نيكلسون**"، يصبح الموقف صعبًا. كذلك قضت هذه السيدة بالمنزل فترة من الزمن ولم نكن على علم بالقدر الذي ربما تعرفه.

قررت أنه لابد من قمع "**كارستيرز**"، كان يمثل إزعاجًا كبيرًا لنا، وأتتني الفرصة. كنت خلفه تماما عندما تصاعد الضباب. تسللت أقرب إليه ودفعة مفاجئة قمت بالمهمة على خير وجه، ولكنني كنت في حيرة شديدة مع ذلك لأنني لم أعلم ماعساه أن يكون حاملا معه من أدلة دامغة تديننا، ولحسن الحظ أن صديقك البحار الشاب أدى لي خدمة جليلة. كنت بمفردي مع الجثة فترة وجيزة كافية تماما لتحقيق هدفي. كانت معه صورة "**مويرا**"، كان قد حصل عليها من المصورين، ربما لتساعده على التعرف إلى صاحبتها. أخذت هذه وجميع الخطابات والأوراق التي تساعد على التعرف إلى هويته. وضعت عوضًا عن كل هذا صورة واحدة لأعضاء العصابة.

وجرى كل شيء على أفضل وجه. أتت الشقيقة وزوجها المزيَّفان وتعرفا إلى صاحب الجثة، بدا أن كل شيء قد تم على الوجه المرضي، وبعد ذلك سبب لنا

صديقك البحار قلاقل مزعجة، يبدو أن "**كارستيرز**" استعاد وعيه قبل الوفاة مباشرة ونطق ببعض الأمور. ذكر اسم "**إيفانز**" وكانت "**إيفانز**" تعمل بالفعل بمقر إقامة القس.

أعترف بأننا بدأنا نتخبط بناء على ذلك. فقدنا صوابنا إلى حد ما. قررت "**مويرا**" ضرورة التخلص منه. جربنا خطة وفشلت. تعهدت "**مويرا**" أن تتولى هذا الموضوع بنفسها. ذهبت بالسيارة إلى "**مارتشبولت**". استثمرت فرصة متاحة بكل عناية واتقان، وضعت قدراً من المورفين في زجاجة جعته بينما كان نائماً ولكن معدة هذا الشيطان لم تمتصه، كان هذا سوء حظ بحت.

وكما سبق أن أخبرتك، كان استفسار "**نيكلسون**" المدقق لك هو ما دفعني إلى أن أتساءل عما إذا لم تكوني سوى ما تظهرين عليه، لكن لك أن تتصوري الصدمة التي لحقت بـ"**مويرا**" عندما كانت تتسلل إلى الخارج لمقابلتي في تلك الليلة فوجدت نفسها وجهاً لوجه مع "**بوبي**"! تعرفت إليه على الفور لأنها كانت قد حفظت ملامحه جيداً عندما وجدته نائماً في ذلك اليوم. لا عجب في أنها أصيبت بذعر شديد كاد أن يودي بحياتها. تبينت بعد ذلك أنها لم تكن هي موضع شكوكه، فاطمأنت وواصلت القيام بذلك الدور.

أتت إلى الفندق وروت له عدداً من القصص المثيرة، صدقها بكل سذاجة، تظاهرت بأن "**ألان كارستيرز**" كان عاشقاً سابقاً لها، وأمعنت في سرد وقائع خوفها من "**نيكلسون**". بذلت كذلك جهداً كبيراً في تبديد شكوككما فيما يتصل بي. فعلت أنا ذات الشيء عندما نعتُّها بأنها مخلوقة ضعيفة وعاجزة، "**مويرا**" التي من قوة الأعصاب بحيث تتخلص من أي عدد من الناس دون أن تحرك ساكناً!

كان الوضع خطيراً. استولينا على المال وكنا موفَّقين فيما يتصل بالخطة الخاصة بـ"**هنري**"، لم أكن متعجلا بشأن "**تومي**"؛ إذ كان بوسعي الانتظار قليلا، وكان من السهل جداً التخلص من "**نيكلسون**" عندما يحين الوقت، لكن أنت و"**بوبي**" كنتما مزعجين، ركزتما شكوككما في المزرعة. ربما يثير اهتمامك أن تعرفي أن "**هنري**" لم ينتحر بل أنا الذي قتلته! عندما كنت أتحدث إليك بالحديقة رأيت ألا ثمة وقت يمكن إضاعته ،ذهبت إلى الداخل على الفور وتوليت الأمر.

تلك الطائرة التي حلقت في تلك الآونة منحتني فرصتي. دخلت حجرة المكتب وجلست بجوار "**هنري**" وكان مشغولا بالكتابة. قلت له: "انظر إليّ يا شقيقي العزيز"، وأطلقت الرصاص عليه! غطت ضوضاء الطائرة صوت الطلقة، كتبت بعد

ذلك رسالة مؤثرة ومحوت بصماتي من على المسدس، وضغطت على يد "**هنري**" بعد أن وضعت المسدس بها ثم تركته يسقط على الأرض، وضعت مفتاح حجرة المكتب في جيب "**هنري**" وانصرفت، ثم أقفلت الباب من الخارج مستخدما مفتاح حجرة المائدة الذي يناسب هذا القفل أيضا. لن أدخل في تفاصيل الترتيبات التي أجريتها بالمدخنة بحيث تحدث فرقعة بعد أربع دقائق.

حدث كل شيء على نحو رائع. أنت وأنا كنا بالحديقة معا وسمعنا صوت "الطلقة النارية"، واقعة انتحار مكتملة العناصر، وكان الشخص الوحيد الذي عرّض نفسه للشك هو "**نيكلسون**" المسكين، فقد عاد هذا الأحمق في اللحظة الحرجة ليسترد عصا أو شيئا من هذا القبيل. من المؤكد أن كثرة تردد "**بوبي**" إلى المزرعة بدافع من شهامة رجولية لم يكن مناسبا لـ"**مويرا**"، لهذا ذهبت إلى الكوخ، تصورنا أن تعليل "**نيكلسون**" الخاص بغياب زوجته من المؤكد أن يثير شكوككما.

وفي الكوخ أظهرت "**مويرا**" همّة حقيقية، تبينت من الضوضاء التي حدثت بالطابق العلوي أنني قد دفعت فسقطت على الأرض وأصبحت تحت سيطرتكما، أسرعت وحقنت نفسها بجرعة كبيرة من المورفين واستلقت فوق الفراش، وبعد أن توجهتم جميعا إلى الطابق الأرضي لتستخدموا الهاتف تسللت إلى العُلّيّة وقطعت قيودي. بدأ تأثير المورفين بعد ذلك وبوقت وصول الطبيب كانت قد تخدّرت بحق واستغرقت في نوم عميق.

ومع ذلك لم تفقد السيطرة على أعصابها، خشيت أن تتوصلا إلى "**إيفانز**" وتعلما منها كيفية إبرام وصية "**سافيج**" وظروف انتحاره. كانت تخشى أيضا أن يكون "**كارستيرز**" قد كتب إلى "**إيفانز**" قبل مجيئه إلى "**مارتشبولت**". تظاهرت بالذهاب إلى إحدى دور الرعاية في "**لندن**" ولكنها أسرعت إلى "**مارتشبولت**"، والتقت بكما عند عتبة الباب! أصبحت فكرتها آنذاك أن تتخلص منكما، وسائلها فجّة إلى أقصى درجة، ولكنني أعتقد أنه كان يمكنها أن تهرب بفعلتها، وأشك في أن النادلة كان سيمكنها أن تتذكر الكثير عن شكل ومظهر المرأة التي دخلت المقهى معكما، كانت "مويرا" ستعود إلى "**لندن**" وتختفي في إحدى دور الرعاية، وكان الموضوع برمته سيخمد تماما بعد التخلص منك ومن "**بوبي**".

ولكنك تعرفت إليها ففقدت صوابها، ثم ورطتني معها في التحقيق! ربما كنت قد بدأت أملُّها.. لكن لم يخطر ببالي أنها كانت تعرف ذلك. كانت قد حصلت

على المال، مالي أنا! ما كنت لأتزوجها حتى يصبح من الممكن أن أملّها فأنا محب للتنويع. لهذا هأنا أبدأ حياة جديدة... وكل هذا راجع إليك وإلى صديقك الشابِ البغيض "بوبي جونز"... ولكنني لا أشك في أنني سوف أنجح وأصنع صلاحا! أم أنه ينبغي لي أن أكون أن يكون شراً وليس صلاحا؟ لم أنصلح بعد. ولكن إذا لم ينجح المرء في بادئ الأمر فعليه أن يحاول ويحاول ويحاول مرة بعد الأخرى.

وداعا يا عزيزتي، أو ربما إلى اللقاء فلا يمكن لأحد أن يعرف، أليس كذلك؟
"عدوك المحب بطل المشهد الشرير الجريء".

"روجر باسنجتون فرنش"

الفصل الخامس والثلاثون
خبر من مقر القس

أعاد "**بوبي** الخطاب إلى "**فرانكي**" التي أخذته متنهدة. قالت:

– شخصية متميزة. فقال "**بوبي**" بنبرة فاترة:

– طالما أعجبت به. قالت:

– له سحر خاص. ثم أضافت :

– وكذلك "**مويرا**" أيضاً. فاحمر وجه "**بوبي**". قال:

– من الغريب جداً أن يكون مفتاح اللغز كله تحت سقف مقر والدي طوال الوقت، تعلمين يا "**فرانكي**" أن "**كارستيرز**" قد كتب إلى "**إيفانز**" بالفعل، أعني إلى السيدة "**روبرتس**"؟ أومأت "**فرانكي**".

– أخبرها بأنه سيأتي لمقابلتها وأنه يريد معلومات عن السيدة "**تمبلتون**" حيث كانت لديه مبررات لأن يعتقد أنها مجرمة دولية خطرة مطلوبة من الشرطة، وأنه عندما دُفع وسقط على الصخرة لم يمكنها أن تستنتج سبب عدم مجيئه. فقالت "**فرانكي**":

– هذا لأن ما قيل هو أن الرجل الذي سقط على الصخرة اسمه "**بريتشارد**"، جزئية التعرف إلى الجثة هذه كانت عملية غاية في الذكاء، فمادام الرجل الذي سقط هو "**بريتشارد**" فكيف من الممكن أن يكون هو "**كارستيرز**"؟ هكذا يعمل العقل العادي. استطرد "**بوبي**" قائلا:

– والأمر الغريب أنها تعرفت إلى "**كييمان**"، ألقت نظرة خاطفة إليه على الأقل وهي تدخله المنزل وسألته عمن كان فقال إنه السيد "**كييمان**" فقالت: غريب...

إنه صورة طبق الأصل من رجل كنت أعمل في خدمته. فقالت "**فرانكي**":
– هل تصدق؟ حتى "**باسنجتون فرنش**" كشف نفسه مرة أو اثنتين، ولكنني لم أنتبه لشدة حماقتي.
– هل حدث هذا؟
– نعم، عندما قالت "**سيلفيا**" إن الصورة التي بالصحيفة تشبه "**كارستيرز**" بدرجة كبيرة، قال إن الشبه ليس كبيراً جداً. كاشفاً بذلك عن أنه قد رأى وجه الرجل المتوفى، ثم بعد ذلك أخبرني بأنه لم ير وجه الرجل المتوفى قط.
– كيف يا "**فرانكي**" أمكنك أن تتعرفي إلى حقيقة شخصية "**مويرا**"؟ فقالت بطريقة حالمة:
– أعتقد أنه من وصف السيدة "**تمبلتون**"، قال الجميع إنها كانت سيدة ظريفة جداً، ولم يتسق هذا مع وصف تلك المرأة "**كييمان**"، ما كانت أية خادمة ستصفها بأنها ظريفة، ثم إننا ذهبنا إلى مقر والدك وكانت "**مويرا**" هناك، فلاح بذهني فجأة ماذا لو أن "**مويرا**" هي ذاتها السيدة "**تمبلتون**"؟
– ذكاء خارق من جانبك. قالت "**فرانكي**":
– إنني آسفة جداً من أجل "**سيلفيا**"، وبخاصة بعدما أرشدت "مويرا" عن "**روجر**" في التحقيقات، لابد من أن هذا سبب لها فضيحة لا يستهان بها، ولكن الدكتور "**نيكلسون**" ظل ملازماً إياها ولن أدهش أبداً لو أنهما ارتبطا بعلاقة زوجية في النهاية. قال "**بوبي**":
– يبدو أن جميع الموضوعات قد قدرت لها نهايات سعيدة: "**بادجر**" ناجح في عمله بالورشة بفضل والدك، وبفضل والدك أيضاً حصلت أنا على فرصة العمل المدهشة هذه.
– هل هي مدهشة حقًّا؟
– إدارة مزرعة بن في "**كينيا**" براتب فلكي يجب أن أعتبرها كذلك، إنها نوعية الفرصة التي كنت أحلم بها طوال حياتي. توقف قليلا ثم قال بحماس:
– يقصد كثيرون "**كينيا**" في رحلات. فقالت "**فرانكي**" بحكمة:
– وكثيرون جداً يعيشون هناك.
– ولكنك يا "**فرانكي**"، لا تحبين أن تعيشي في بلد كهذا؟ احمر وجهه وتلعثم ثم استعاد شجاعته قائلا:
– أم أنك تحبين؟ فقالت:
– أحب... أعني أنني سأعيش هناك. فقال "**بوبي**" بصوت مكبوح:
– دائما ما كنت مغرما بك، وكنت أشعر بالأسى لأنني أعرف ألا فائدة.

– أعتقد أن هذا ما دفعك إلى أن تكون وقحًا يوم أن كنا نلعب الجولف معًا؟

– نعم، كنت أشعر بكآبة شديدة. فقالت "فرانكي" :

– همم، وماذا عن "مويرا"؟ بدت على "بوبي" تعبيرات عدم ارتياح شديد، ثم قال معترفا: -

– جذبني جمال وجهها إليها. فقالت "فرانكي" :

– وجهها أفضل بكثير من وجهي.

– هذا غير صحيح، ولكن سحرها كان يطاردني، ثم عندما كنا في العُلِّيَّة وكنت أنت مثالا حيًّا للشجاعة اضمحلت "مويرا" ببساطة من مخيلتي، كدت لا أهتم بماعسى أن يكون قد أصابها، لم أر سواك أنت، أنت وحدك، فقد كنت رائعة جدًّا! شجاعة إلى حد مزعج. فقالت "فرانكي" :

– لم أكن أشعر بشجاعة داخلية، كنت أرتعش داخليًّا وخارجيًّا، لكنني كنت أريد أن أثير إعجابك.

– وأعجبت يا حبيبتي، وأنا معجب بك حاليًّا، وكنت معجبًا بك دائمًا، وسأظل دائمًا على إعجابي بك. هل أنت واثقة بأنك لن تكرهي الحياة في "كينيا"؟

– سوف أحبها حبًّا جمًّا، فقد زهدت حياة "إنجلترا".

– "فرانكي".

– "بوبي". وهنا قال الكاهن وهو يفتح الباب ويُدخل عددًا من ضيوف الشرف أعيان المنطقة:

– تفضلا بالدخول. ثم أغلق الباب معلنًا:

– ابني – أحد أبنائي – سوف يعلن خطبته. ثم استطرد الكاهن قائلا:

– شاب صالح كان في وقت من الأوقات لا يميل إلى أن يأخذ الحياة بجد، ولكن أحواله تحسنت بدرجة كبيرة في الآونة الماضية، سوف يسافر إلى "كينيا" ليباشر عمله هناك، مديرًا لإحدى كبريات مزارع البن. قال أحد الحضور هامسًا إلى الجالس بجواره:

– هلاّ رأيت؟ الفتاة التي قبَّلها العريس هي الليدي "فرانسيس ديروينت". ولم تمض ساعة حتى كان الخبر قد طار إلى جميع أنحاء "مارتشبولت".

تمت بعون الله